

الفجرية والمجنون

الفجرية والمجنون

رواية

رضا الحمد

اسم الكتاب: العجربة والمجنون

اسم الكاتب: رضا الحَمَد

تدقيق لغوي: رضا الحَمَد

تصميم الغلاف: فارس حسن

الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى - ديسمبر ٢٠١٩ م

رقم الإيداع: 2019 /



١١٤ ع جنوب الأحياء - السادس من أكتوبر

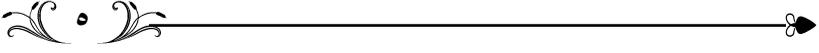
Arabiclibrary2017@gmail.com

Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كلياً أو جزئياً، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر،



إهداء

إلى امرأةٍ مثل غصنٍ أخضرٍ رطيبٍ أظنُّ أنه سقط لي سهواً من قافلةٍ كانت تمرُّ بالأرضِ قادمةً من الجنةِ ذاهبةً إلى الجنةِ.

رضا الحمّد

(١)

الدكتور مالك المجنون

مع أول شروقٍ لشمسٍ يومٍ جديدٍ دَوَّتْ صيحةٌ عاليةٌ :

- هناك رجلٌ مقتولٌ بجانب سور الحديقة .. الكل هنا يعرفه

كانت تلك الصيحةُ من عاملٍ لزملائه بفرع خضراوات وفواكه أولاد رجب بمدينة نصر ، ذاك المواجه لسور الحديقة الدولية الخلفي من ناحية المطاعم والمقاهي ، فقد رأى العاملُ جثةَ رجلٍ على الرصيفِ الملاصقِ للسور . وكانت هناك سكينٌ مغروسةٌ في رقبته بينما يرقد رقودا أبديا في وداعةٍ وغموض .

وكانت عينا القتل مفتوحتين عن آخرهما ، تنظران للسماءِ ذاهلتين وكأنهما تخبران بأنَّ صاحبهما كان يعرف قاتله ، وكأنَّ نَمَّةَ علاقةٍ ما كانت تربطهما ، فذاق لذلك ألما شديدا لا يُحتمل ، حيث يبدو أنه تلقى صدمتين ، الأولى أنه فوجيء بأنَّ نهايته كانت بيد أقرب الناس إليه ، والثانية صدمة السكين التي اخترقت الرقبة بكل وحشية .

وأُسرع العمالُ والباعةُ وبعضُ الناس واجتمعوا حول الجثةِ في صمتٍ ، والتفتُ نظراتُ الجميع معا في آنٍ واحدٍ على منظر السكين وهيئة القتل الراضية ، وقد كانت ملامحه بعد الموت هادئة مستكينة ، وكان وجهه نقيا صافيا يحمل علاماتِ الاطمئنان ، ومع ذلك كان هناك شبهُ ابتسامةٍ ساحرةٍ ترسُمُ على فمه ، كتلك التي كانت لا تفارقه وهو حي في كثيرٍ من الأحيان .

وليس مُستبَعداً أن يكونَ هذا الرجلُ قد ودَّعَ الدنيا ضاحكاً هازناً من كل شيءٍ فيها ، وربما يكون قد أخرجَ لسانه لقاتله بطريقة جنونية ذاهلة وهو يطعنه الطعنة الوحيدة برقبته ، ومع ذلك فَمِنَ المتوقع منه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أن يكون قد ردَّدَ الدعاءَ لقاتله بالرحمة والمغفرة أكثر من مرة . ثم ردَّدَ الشهادتين ، وغاب مع مصيره .

مات الرجلُ وتمَّ قَبْرُهُ بمدافنٍ مجهولة دون أن تُدرَفَ عليه دمعةٌ واحدةٌ ، مات ولم تبعثْ مِنْ حوله أهاتٌ حزني ، أو تنطلق خلفه صيحاتُ بكاءٍ وعويل ، مات ولم تُلَطِّمَ مِنْ أَجله حدودٌ ، أو تُشَقَّ وراءه ثيابٌ أو يتعلق بجثته أطفالٌ وصبيةٌ يصرخون باسمه باكين مرددين : (لا تتركنا .. خذنا معك)

مات المسكينُ ولم تنحنِ على وجهه قبل أن يُدفنَ امرأةٌ تتلمسه بيديها ، وتضم رأسه بين كفيها ، وترفعها إليها وهي تصرخ وتنقل عينها ما بين جسده والسماء كمدًا وقهراً عليه ، ومع ذلك فقد كان له حبيبةٌ واحدةٌ تعشقه بقدر ما عرفتُ الأرضُ مِنْ عشقِ النساءِ للرجال ، لكنها مع ذلك امرأةٌ قدرةٌ رغم نقائه . وشيطانةٌ رغم ملائكيته ، لعلها الآن هناك بمكانٍ ما تنسج شباكه لصيد بعض البشر ، أو سلب أموالهم وحياتهم منهم ، ولا تعلم مَنْ سلب منها حبيبها الوحيد ، ولو أنها علمتْ ما حدث به لتركتْ كلَّ شيءٍ ، وجاءت مسرعة ، وقتلت كل مذنبٍ و بريء ، فقط مِنْ أَجله .

وَحَمِلَ القَتيلُ إلى مئواه الأخير دون أن يحملَ نعشَه إخوةٌ له يبكون ألماً لفراق رفيق اسمهم إلى الأبد ، فما هو إلا أحد هؤلاء المجانين الذين ملأوا شوارع المحروسة جواراً للمتسولين والمتسكعين وأطفال الشوارع والمشردين ، هؤلاء الذين سقطوا جميعاً مِنْ حسابات الأحياء .

وكان قد حدث قبل هذا اليوم بسنين عددا أن دوَّتْ صبيحةً فرحةً غامرةً ، وقال الأب للأُم :

_ جاء أميرنا مالك يا حبيبة .. فأوقدي النار في البيت شهرا دون انطفاء لإطعام الفقراء

وكانت علاقة مالك بالدنيا قد بدأت عندما وضعتُ أمه يدها على بطنها تتحسسها بعد شعورٍ بالرغبة في القيء ، ثم أخبرتُ عن ذلك أباه التاجر أحمد الأمير وبريق الفرحة يتألق في عينيها ، فذهب الزوجان على الفور إلى الطبيب فأخبرهما أنّ الأم تحمل جنينا ، فتبادل الاثنان نظرات السعادة في غرفة الطبيب دون كلام ، ثم تبادلوا كلمات التهناني طيلة الطريق حتى البيت .

وفي البيت الثري السعيد راح الزوج يعامل الزوجة كملكة ، ثم أسرع فاشترى لها كل أنواع الطعام التي تشتهيها ، وطلب منها بصدقٍ ألا تُرهق نفسها في أشغال البيت ، بل ساعدها في كثيرٍ من الأعمال ، ثم راح بين وقتٍ وآخر يتحسس بطنها ، ويُنصت بأذنيه إلى حركات الجنين ، وبعد بضعة شهور أخبرهما الطبيب واثقا أنّ الجنين ولدٌ لا يكفُّ عن الحركة ، فطارا من الفرحة انتظارا للابن القادم الذي سيملا البيت والدنيا بهجةً ، ويرث عن الأب الأموال الحلال وفضائل الأخلاق وأمانة إعالة الفقراء ، وراحت الأم تُهيء الملابس والسرير وفرشاة الشعر وكل الاحتياجات ، وبعد طولٍ شوقٍ جاء الأمير مالك ليكون قرة عين أمه وأبيه الطبيين .

وشبَّ مالك بين أبوين هانئين ، وصار أبوه التاجر أحمد الأمير يخصص كل يوم نصف ساعة ، يعلم خلالها ابنه البكر دروسا في الدين وفي التعامل الحسن مع الناس ، ولا يكفُّ عن أن يكرّر له :

- الفقراء ثم الفقراء يا مالك



- حاضريا أبي
 - الله أكرمى لأنى أُكْرِم كل محتاج يا بني
 - فعلا يا أبي
 - لا ترد يدا تقصدك فى شىء دون إكرام
 - سأفعل دائما مثلك
 - كُنْ قدوة لإخوتك فى ذلك
 - لا تقلق .. فإخوتي والفقراء هم أمانتك عندي يا أبى
- وتخرَّج مالك من كلية الطب ثم تزوّج ، ومات أبوه تاجر الأقمشة الأمين فى السنة التى تزوّج فيها ، ثم لحقت أمه بأبيه فى أقل من شهرين ، فصار لإخوته الأب والأم والأخ ، وتولّى إدارة تجارة والده ومَحَالِّه ، وأنفق على كل من فى أمانته بسخاء من ربح هذه الأملاك ، وكان مع ذلك يمارس عمله كطبيب قلبٍ ، فأوقف عمله على علاج قلوب الفقراء بالطب والصدقات ، ثم انتهى به الحال بأن سيق على أيدي زمرة من السفلة الشياطين إلى الجنون .
- يا الله ! .. كيف تختلف النهايات عن البدايات إلى هذا الحد؟ .. ألم نتعلم أنّ البداية المعينة المحسوبة بخطواتٍ معينة تؤدى إلى نهايةٍ معينة محتومة لا حيد عنها؟ .. يحدث هذا فى علوم كالرياضيات والمنطق .. فلماذا يحدث هنا مع كثيرٍ من الكائنات بأن تكون البدايات رائعة ثم تؤول شيئا فشيئا إلى شىء آخر؟!
- ولننظر كيف يتلمس بعض البشر خطاهم وخطأ أبناءهم حذرين من كل أنواع الخطر ، ثم فجأة يقع الخطرُ من حيث لا يحتسبون ، وأنا بالطبع لا أعترض أبدا على أشياء محسومة بعالم الغيب ومشينة الخالق وإرادته ، لكننا بعض البشر كنا قد أعددنا أنفسنا وسلكننا الطريق المستقيم ، وكنا قد اتبعنا (الكتالوج) كما يقول

الكتاب ، فلماذا الخذلان؟ .. لماذا تتعطل آلة الحياة عما أردناها وتمنينها؟ .. لماذا المعاناة؟ .. لماذا القتل المؤلم بالحرق والغرق وقطع الرؤوس؟ .. لماذا الظلم والإرهاب وداعش؟ .. ولماذا هذه السكين المغروسة في رقبة هذا المسكين؟!

حتما إنَّ كل هذا يعود إلى إرادة الله وحكمته التي لا يُسأل عنها إلا بتصديق ، ونحن يقينا قد آمنّا بالله إيماننا راسخا في كل شيء ، فالله أرحم الراحمين ، لذلك فربما لا يشعر بالألم هذا الكائن الحي الذي صار مقتولا بالحرق أو الغرق أو الذبح طالما كان مظلوما .. ربما .. وتلك الدواجن والأنعام التي تُذبح كي نتنعّم بأكلها ، كيف لها أن تتألم لنشعر نحن بلذة؟! .. إنَّ من اليقيني أنّ الحياة مليئةٌ بالغوامض والغرائب ، وأنَّ الخالق قد غيَّب عن المخلوق حقائق كثيرة ، وحجب أشياء يصير العلمُ بها شيئا مؤلما ، لكن حقا ليس هناك شيءٌ أشدَّ غرابة في الدنيا من الدنيا نفسها ، أو أشدَّ إيلاما من أن يرحل إنسانٌ بالسفر أو الموت دون أن يودعه أحد .

وإنَّ الوداعَ شيءٌ مريحٌ لمن لا بد له أن يفارق ، وهو شيءٌ مؤلمٌ في ذات الوقت لمن لا يتحمل الفراق ، واللقاء شيءٌ محببٌ إلى النفس المشتاقة ، وكلُّ المخلوقات بما فيها الإنسان قد جاءوا بمظاهر استقبال مبهجة وإن كانت من الأم فقط ، صاحبة المنبع الوحيد الذي يلفظ الأحياء الجدد إلى الدنيا الغامضة ، لكن هناك الكثيرين قد رحلوا في غموضٍ أيضا دون وداع ، ولذلك فلحظات الميلاد محبوبة ، ولحظات الموت منبوذة عند كل المخلوقات .

اتصل أحدُ الواقفين بالشرطة ، وجاء رجالها بعد وقتٍ طويلٍ ، وحين عرفوا أنّ القتيلَ مجنونٌ ألقوا نظرة سريعة على هيئة الجثة وحالتها ، ومن تلك النظرة أعلن أحدُهم أنّ مالك المجنون هذا لم يقاوم قاتله ، وأعلن ثانياً أنه قد استطاب أن

يأتي أحدٌ ويخلصه من حياة التشرد ، وأعلن ثالثٌ أنه قد تلقى طعنةً وحيدةً قاتلةً برقبته بينما كان مستلقيا كأنه عاش ينتظرها لينام نومته الأبدية في استسلام .
حملوا المجنون القتيل والسكين في رقبته ، وقد كان السكينُ من هذا النوع الذي يُستخدم لقطع الموز ، ولذلك تمَّ القبضُ على كلِّ عمالِ فرع الخضراوات والفواكه ، لكن لم يكن القاتلُ أحدًا من بينهم ، عُرف ذلك بعد رفعٍ سريعٍ للبصمات وتحرياتٍ على عجلٍ في محيط الحديقة الدولية ، فأفرجوا سريعاً عن الجميع ، وسُجِّلَت القضية قتلا عمدا والقاتل مجهول ، ثم جاءت تحرياتٌ أخرى تؤكد وجود صديق كان يُرى مع المجنون القتيل في بعض الأحيان ، كان يراه الناس مجنوناً لأنه كان بارعا في أن يبدو مجنوناً ، والأصل أنه كان يتظاهر بالمجنون .. اسمه يعقوب الأصفر .

فقبل بضعة أعوام من هذا الحادث ، كان يحلوا لملك المجنون أن يقضي يومه وليله وحيدا منفردا منعزلا ، وكان يَكُثُرُ له أن يمشي على الرصيف الفارق بين اتجاهي شوارع وطرق القاهرة .. كان معروفا للكثيرين من المارة الذين يحبون أن يراقبوا من نوافذ سياراتهم ما يحدث خارجها على الجانبين ، ومهما كان المراقبون للمجنون كثيرين فإنه لم يكن مهتم لنظرات أحدٍ من المارة ، أو يعاب بسخرية الصبية والأطفال الذين يرمونه بما يؤذيه من نوافذ السيارات ، بل كان يتلقَى الوخز أو الحرق بأعقاب السجائر من سائقي الميكروباصات في تجاهلٍ مُحِبِّرٍ ، ولا يسعه إلا أن يبتسم لهم ، وفي ذات الوقت كان يتناول من بعضهم زجاجة ماء أو بعض بقايا الطعام شاكرا بطريقة مهذبة مع كثيرٍ من كلمات الحكمة ، حتى لقد ظنَّ كثيرون أن هذا المجنون ليس بمجنون .

طويلٌ هو ، بائِنُ الطولِ ، غزير الشعر ، فائق الإلهام ، كثير الصمت .. هكذا كان الدكتور مالك الأمير قبل أن يُصاب ببعض علامات الجنون ، وهكذا هو أيضا بعد أن صار أغرب مجنون في المحروسة .

أما عن زميله في الجنون يعقوب الأصفر ، فقد كان شخصا ماكرا ماهرا في كل شيء ، غريب الأطوار في كل تصرفاته ، حاقدا على كل ذي نعمة ، يُخفي بداخله شرا قاتلا ، ومع ذلك فهو يحرص على زوجته ويحب أولاده حبا مميّزا ، وكان على استعدادٍ إن كان له ألفُ روح أن يبذلها جميعا من أجل ألا يرى دمة حزن تسيل من عين أحدهم .. كان يكره كلَّ الناس إلا أولاده ، ويأمل أن تحترق الدنيا بمن فيها وما فيها غير تلك البقعة من الأرض التي تتسع لذويه فقط .

وكان قد قتل شخصا ، وصار على وشك أن يقضي حياته كلها خلف القضبان ، فهدها شيطانه إلى التظاهر بالجنون ليهرب بفعله ذاك ، وبرع في أن يقضي حياته في ثوبه الجنوني الجديد ، ويبدو أنه راق له كثيرا ، خاصة أنه أراد الثراء الفاحش السريع ، لذلك فقد أخبر زوجته وأولاده أنهم سيكونون أفضل بغيابه ، وأنه سيعود إليهم تكرارا ، لذا عليهم أن يكفوا عن البحث عنه ، وإنه ذات يوم لا بد أن سيعود ليستقر بينهم فيعوضهم عن سنوات الفراق بأموالٍ وفرحةٍ تُنسبهم كلَّ الآلام .. كان حقا رجلا غريبا .

وخرج هذا الشيطان بطموحه وشره من بين أحضان بيته إلى أحضان الشوارع وهو يحمل فوق كاهله أربعين عاما من الحقد على الأغنياء ، وقد حزن على ضياع غالب عمره دون ثراء ، وتعرّف بعد ذلك بالمجنون مالك الأمير أسفل كوبري العباسية تعارف اثنين من العاقلين لا اثنين من المجانين ، فعرف كل منهما عن الآخر الكثير ، ثم هجرا سويا هذا المكان ، فقد جاءهما إلى هناك مجانين آخرون

ذكرانا وإنائنا ، وصار يتوافد عليهما في كل يوم متسولون كثيرون ، وتكاثر عليهما أطفال الشوارع الذين سخروا منهما ومن اختلافهما عن البقية ، فأذوهما بالطرده المطاردة والتعقب حتى تركا منطقة العباسية وميدان عبده باشا إلى شرق القاهرة .

نقلا معيشتهم المتشردة إلى شوارع مدينة نصر ، وتوطدت صداقتهم هناك أكثر فوق أرصفة الطرق بها ، وحول صناديق القمامة وهما يتبادلان مخلفات الطعام وبقايا زجاجات الألبان ومعلبات العصائر وقشور الخضراوات والفواكه بين غيرهما من المجانين ومن العقلاء أيضا ، وأمام شعور الجوع يصير العاقل والمجنون متشابهين ، وكانت الحدايق المظلمة بيوتهم المتنقلة ، والسماء الممتدة هي السقف الوحيد لأهنا شخصين صارا يعيشان بغير عقلٍ في المحروسة أمام الناس . وبكثيرٍ من العقل عندما ينفردان .

وذات ليلة كان الصديقان نائمين على الرصيف بجوار سور الحديقة الدولية عندما قال يعقوب الأصفر لمالك الأمير وهو يمرر أصابعه بين ثنايا لحيته الطويلة الكثيفة ليفك ما تعقد وتشابك منها :

- مالك يا صديقي .. هل تعتبر نفسك مجنونا؟

ضحك مالك ضحكة هادئة وقال :

- أنا وأنت من أعدل الناس يا يعقوب .. لكن يبدو أننا لم نتحمل الصدمات

المتتابعة

- يبدو أنك عانيت كثيرا يا مالك

- نعم عانيت عانيت

- قالها مالك بعد أن ضحك كأنه يغني ، فضحك يعقوب قائلاً :
- تُذَكِّرني بكاظم الساهر.. حتى أنك تشبهه كثيراً
 - أنا أحب كل أغانيه .. وأحب نزار قباني الذي يغني له معظم كلماته
 - وأنا أكرههما
 - لِمَ تكرهما ؟
 - لأن الناس تحبهما .. فأنا في الأساس أكره كل الناس خاصة المحبوبين والأغنياء
 - أنا غيرك .. أنا أحب كل الناس يا يعقوب
 - كيف تحب كل الناس ومنهم الظالم والقاتل وأيضا الغني الذي يتنعم وغيره
- يشقى؟
- أحيهم لأنَّ من خلقهم هو الله .. فكيف أكره خلق الله؟
 - أه من قلبك الجميل هذا .. والله إنَّ الجنون لا يليق بك .. يجب أن نعالجك
 - لا تُشغِلْ بالكِ بي أيها المجنون
 - كيف لا أشغل بالي بك ونحن توأمان في الجنون ومتشابهان في الكثير؟
 - الحقيقة أننا لسنا متشابهين في أي شيء يا يعقوب .. نحن متناقضان تماما
 - كيف؟
 - أنتَ خرجتَ للشارع فخرج أهلك خلفك يبحثون عنك يريدون عودتك .. وأنا خرجتُ للشارع فخرج أهلي خلفي يتأكدون من عدم عودتي
 - معقولٌ هذا يا صديقي؟! .. كيف وأنتِ كالملائكة؟! .. أنتَ لا تنام حتى تراني
- أكلت وشبعت

وضحك مالك الأمير ضحكة خفيفة ، ثم راح يقول في حسرة :
 - " أنتَ لا تنام حتى تراني أكلت وشبعت " .. هذه الجملة لخصت كل حكايتي
 يا يعقوب .. فلا تسألني عن شيء آخر الآن .. يكفي أن أخبرك أنني هنا على هذه الحال
 بسبب هذه الجملة .

- والله لا أستطيع أن أفهمك أبدا أيها المجنون
 - وهل هناك مجانيين يفهمون؟
 وابتسم يعقوب الذي راح يعدل من وضع ملابسه المتسخة حول جسده ثم قال :
 - ما أجمل أن يظننا الناس مجنونين يا مالك! .. والله هذا أكثر راحة لنا
 - معك حق .. فالمجنون يعيش في راحة لأنَّ العيون لا تراه
 قالها مالك ثم بكى ، ثم عاد فقال بنبرة حكيم :

- أنا أرى والله أننا أكثر الناس حرية ومتعة يا يعقوب .. مَنْ مِنَ الناس ترى
 عيناه جمال النجوم كما نراها كل ليلة؟ .. مَنْ مِنَ الناس مثلنا؟ .. نمشي كما نشاء ..
 ونأكل كما نشاء .. ونتفوه بما نشاء .. بل ونبول بالشوارع كما نشاء دون أن يلومنا
 أحد .. أعين الناس قد تعودت ألا ترى المجانين أو المتسولين في الشوارع .. الكل في
 عالمه الخاص .. فكفانا الله بذلك شرورهم

- معك حق يا مالك .. فانشغال الناس عنا يبعدنا عن مشاكلهم المُعقّدة
 ويُيقينا في نعيم

وحقا صدق مالك ويعقوب، حيث لم يكن للرجلين أن يعيشا في راحة إلا هكذا
 بالعيش على هامش الحياة ، وبالطبع ليسا وحدهما من يعيشان على هامش الحياة
 ، هناك الكثير ، لكن أسوأ شيء قد طرأ هو أن هامش الجميع هنا قد صار معكوسا
 مختلفا عن هامش صفحات الكتب ، هامشهم المؤلم هو بقدر الصفحة كلها ،

وهامش الصفحة الصغير السعيد هول هؤلاء الذين يعيشون كلَّ النعيم رغم كل ما يخرج منهم من ظلمٍ ونفاق .

هذا وقد أهمل مَنْ يظنون أنفسهم أغنياء وعقلاء فئَةً من الناس هم عندهم سواء ، الفقراء والمجانين ، حتى إنهم لا يرونهم إذا مروا بهم .. يعزلون أنفسهم عنهم داخل سياراتهم المكيفة ذات الزجاج المُغلق إلى آخره في الصيف والشتاء ، لا يفتحونه إلا عند الاستفسار عن طريق ، وقد صار عالم الفقراء للأغنياء أشبه بعالم الجن ، موجودٌ لكنه لا يُرى ، وهذا أمرٌ خطير .. فالجنُّ إذا غضبوا صاروا شياطين .

وتلك ميادين القاهرة التي يجب تجاهها ألا نغفلَ أنَّ تحت كبارها مجتمعا موازيا لمجتمعات الناس الأسوياء ، هو مجتمع المتسولين والنشالين وللصوص وأطفال الشوارع والمجانين والبلاطجة المحتلين لكل أماكن ركن السيارات ، جعلهم الفقر والجهل مجتمعا يتسم بكل سمات الحقارة والقذارة والغدر والنذالة ، يجمع أفراده في الظاهر علاقات التشرذم والضياح ، وفي الباطن تفرقهم علاقات التصارع والتصادم والحقد ، غير أنَّ الحقد الذي يكون بين تلك الأنواع من البشر يضاعف الحقد بين طبقات السادة بمراحل لا حد لها ، والشر الذي يخرج منهم لمن حولهم لا يخطر على بال بشر ، والعلاقات الشيطانية المُحرَّمة بينهم ليس لها قانون أوراوع من أي نوع .. لهم قوانين خاصة دنيئة ، وعادات أخط من الرذيلة .. كل شيء في مجتمعهم مُباح ، مخدرات وسرقات وشذوذ وخداع وغدر في كل وقت .

وتلك الشوارع والميادين والطرق والحدائق الكثيرة التي تملكها الدولة من أجل الجميع هم أيضا يملكونها ، والسيارات الواقفة في إشارات المرور يُقسِّمونها فيما بينهم حسب ألوانها وأنواعها وأنواع راكبيها ، والغنائم الكبرى تكون على قدر

القدرة على البلطجة والسيطرة .. كلُّ هذا قد عاشه المجنون القتيل الدكتور مالك الأمير ، ذلك المجنون العاقل الحكيم كما كان عند غجر الشوارع ، ثم لحق به يعقوب الأصفر ، ذلك المجنون العاقل الآخر غريب الأطوار . والمشكوك في جنونه عند غجر الشوارع أيضا .

وها هو يعقوب الأصفر يظهر بعد أربعة أيام من مقتل مالك عائدا إلى المكان الذي تعودا أن يقضيا وقتهما فيه كثيرا في الشهور الأخيرة . فأبلغه الناس ما أن رأوه أنهم وجدوا صديقه مالك المجنون قتيلا بجوار سور الحديقة منذ أيام ، فإذا به ينخرط في البكاء والصراخ ، وصار يرمي جسده الضخم بالأرض ثم يقوم ، ثم دخل في حالة صمت غريبة حتى جاءت الشرطة باتصالٍ من أحد العمال بالمكان، فقاده إلى قسم أول مدينة نصر كواحدٍ من المشكوك بهم .. سأله ضابط المباحث:

- لماذا قتلتَ زميلك المجنون مالك الأمير يا يعقوب؟
- إنه صديقي .. هل يقتل أحد صديقه؟
- نعم المجانين يقتلون بعضهم البعض لأتفه الأسباب
- لكني لا أقتل أصحابي يا باشا
- اعترف أيها المجنون .. فالمجرم دائما يعود ويحوم حول مكان جريمته ..

وهذا ما فعلته أنتَ

- أنا لستُ مجرما .. أنا مجنون
- لكني أرى أنَّ كلامك لا يدل على جنون .. أظنك تُخفي إجرامك وراء تظاهرك بالجنون .. إنَّ المكروالشر يشعان من عينيك يا رجل
- المكروالشر يخرجان من العقلاء فقط يا باشا

- هل هناك مجنون يتفوه بكلام الفلاسفة هكذا مثلك؟
- تعلمتُ من صديقي مالك أنَّ الفلسفة نفسها نوع من الجنون
- واللهِ إنَّ كلامك يعجبني .. لذلك لن أحبسك إذا اعترفتَ بجريمتك
- يا باشا أنا لا أتذكر أني قتلتُ أحدا .. لكن إن كنتَ متأكدا أنتَ أني قتلته

فاحبسني

- هل هذا اعتراف أنك قتلته أم تظاهر بالسذاجة يا يعقوب؟
- من فضلك يا باشا لا تسيء إليَّ .. أنا مجنون ولستُ ساذجا
- اعترف يا يعقوب اعترافا صريحا وسأحولك فقط لمستشفى المجانين
- يا باشا .. لقد كان مالك طيبا معي .. فلماذا أقتله؟
- ربما تشاجرتما على طعام أو نقود
- المجانين لا يقتلون بعضهم من أجل الطعام والنقود .. إنما العقلاء من

يفعلون ذلك

- معك حق في ذلك يا مجنون .. والله كل كلامك حكم
- وسكت الضابط قليلا ، وراح ينظر في بعض الأوراق والأشياء التي كانت في جيب القتيل ، فلم يجد شيئا ذا فائدة سوى صورة امرأة .. رفعها أمام عين يعقوب ، ثم ناولها له سائلا :

- هل تعرف هذه المرأة الجميلة يا يعقوب؟
- وبالطبع كان يعقوب يعرفها جيدا ، لكنه أطل النظر إلى صورتها ، وتظاهر بأنه ينظر أكثر ليتذكرها ، وفي الحقيقة هو يفعل ذلك فقط ليمنح نفسه وقتا كافيا ليقرر ماذا يقول ،



وانتهى الرجل إلى أن يذكر للضابط جزءا بسيطا مما يعرفه .. قال :

- وعد .. هي وعد .. وعد المحروس

نظر له الضابط باهتمام وسأله :

- من وعد المحروس تلك؟ .. ولم كانت صورتها في جيب القتيل؟

- وعد امرأة متسولة كانت تعطف على مالك

- ما أنواع العطف تلك؟

فهم يعقوب ما يلمح له الضابط فابتسم وقال :

- كل أنواع العطف يا باشا

- كلها؟

- كلها

مدَّ الضابط يده ليعقوب والتقط صورة المرأة منه، ونظر لها ثم نظر ليعقوب

قائلا:

- المرأة جميلة جدا ومثيرة يا يعقوب .. يبدو أنَّ مالك صديقك هذا لم يكن

مجرد مجنون

- اذكروا محاسن موتاكم يا باشا

فهقه الضابط عاليا ثم قال يسأل يعقوب :

- ماذا تعرف أيضا عن هذه المرأة؟

- لا شيء آخر

- عموما سنتحري عنها وسنعرف كل شيء

- الله يعينكم يا باشا

ورجع الضابط بكرسيه للخلف وقال :

- ونعود لك يا مجنون .. أين كنت منذ أربعة أيام؟
- كنتُ مسجوناً
- فسأله الضابط مندهشاً بسرعة :
- أين؟
- هنا في حبس القسم
- نظر الضابط له باستغراب ثم قال :
- لماذا لم تقل هذا من البداية؟
- ضحك يعقوب ضحكة خبيثة اكتفى بها كإجابة ، ورفع الضابط صوته ينادي عسكرياً ، فجاء مسرعاً فأمره بوضع يعقوب بالحجز ثم مراجعة كشوف المسجونين في آخر أسبوع ، فذهب العسكري به ، ثم عاد بعد ساعة ليخبر الضابط بصحة كلام يعقوب ، فأمر بإرجاعه له مرة ثانية . فلما جاء قال له :
- معك حق يا مجنون .. لقد كنتُ مسجوناً عندنا وقت وقوع الجريمة
- فوقف يعقوب رافعاً يديه عالياً وصائحاً :
- الحمد لله .. ظهر الحق ظهر الحق .. يحيا العدل يحيا العدل
- ابتسم الضابط وهو يقول له :
- فلتصبر قليلاً ولا تتعجل .. ستظل معنا لأيام
- لِمَ؟
- لا تسأل يا مجنون
- وهل يجزؤ أحد أن يسألكم .. لكن لي طلبٌ واحد يا باشا
- ما هو؟
- لا تنساني في الحبس

(٢)

وعد الفجرية

وقريبا من الحديقة الدولية وذلك المكان الذي تمّ العثور فيه على جثة المجنون مالك الأميركان هناك تلك الإشارة التي تجمع كثيرا من المتسولات وبعض المتسولين ، والتي تقطع شارعي الطيران ومصطفى النحاس بين مطعم البرج ومسجد نوري خطاب في منطقة مبنى الحي ودار طالبات جامعة الأزهر أول الحي السابع ، وكانت تلك الإشارة مقصد مالك المجنون كثيرا .. كان يقصدها في البداية دون هدف ، وهل لمجنون أن تكون له أهداف في الحياة إلا إذا كان كييعقوب الأصفر؟

وكانت حاكمة هذا المكان امرأة اسمها (وعد قابيل المحروس) .. كانت تصغره بأكثر من عشر سنوات ، وكان يعرفها وتعرفه جيدا ، عرفته عاقلا ، وعرفته مجنونا ، وعرفها امرأة سيئة السمعة ، ثم صارت تمنحه كل شيء تهفو نفسه إليه ، الطعام والشراب والثياب ، وأشياء أخرى كثيرة ، أغلبها قدرة .

وأما عن وعد فهي امرأةٌ عجريّةٌ شابةٌ من النّور ، والعجر الموجودون في مصر ينتمون إلى مجموعة "الدومر" إحدى المجموعتين الأساسيتين اللتين تشكلان مجتمعات العجر على مستوى العالم ، والمجموعة الثانية هي مجموعة "الرومن" ، وتلك تسكن أوروبا ، وفي مصر ينقسم عجر "الدومر" إلى مجموعات عرقية أخرى هي (النّور والحلب والمساليب)

وأما عن أصل الفجر ، فمنهم مَنْ يُعيد أصلهم إلى أنصار قابيل الذي قتل هابيل ، حيث حُكِمَ عليهم بالتشرد والترحال وعدم الاستقرار بـمكان ، ومنهم مَنْ يُعيد أصلهم إلى أبناء جَسَّاس بن مُرَّة ابن عم الزير سالم ، صاحب الحكايات الشعبية والصراعات المشهورة ، والتي انتهت بانتصار الزير سالم ، ومن هنا جاء اسمهم الأجنبي (جيبسيس) . ولكن هذا الأمر لا يمكن الوثوق به ، ولكن ما يمكن الاستناد إليه بثقة أنَّ الفجر لعبوا دورا كبيرا في حفظ قصص السيرة ، حيث تفننوا في روايتها بالغناء الشعبي الذي برعوا فيه ، إلى جانب الرقصات والألعاب الشعبية ، والتي تُعدُّ مصدر بهجة وسعادة في حياة المجتمع المصري .

ويقول البعض : "لولا الفجر لضاعت السيرة الهلالية التي تفننوا بها ، فهي جزء من هوية الثقافة المصرية ، ويرجع ذلك إلى أنها كانت مورد رزق لهم ، لذلك نجد أنَّ معظم رواة هذه السيرة هم من الفجر ، والتي تأتي على شكل غنائي احترافي مذهل تجعل الناس ترحل إليهم لسماع قصص السيرة منهم" .

وإنَّ كثيرا من الأغاني الشعبية الموروثة يعود الفضل في حفظها إلى الفجر وخاصة النساء ، حيث كنَّ يذهبن إلى الفلاحين في الأراضي الزراعية للغناء لهم مقابل القليل من المال أو الحبوب ، وحاليا يتجولون أسفل المنازل في شوارع الأحياء الغنية ، يغنون ويضربون الدفوف والطبول لتسقط عليهم الأموال والمساعدات من الشرفات ، ودائما فإنَّ نساء الفجر يحترفن الرقص في الأفراح ، ويتغنَّين بالبطولات والغزوات ، لذلك أطلق المصريون على الراقصات الفجريات اسم (الغوازي)

وَيَصْعَبُ حصر أعداد العجّر في مصر في الوقت الراهن ، وتشير بعض الدراسات إلى أرقامٍ تقريبية يصعب التأكد منها ، وسبب ذلك أنّ الكثيرين منهم غير مُسجّلين في دفاتر المواليد ، وما زال معظمهم يعيشون الحياة العجّرية الأولى ، حيث لا توجد لهم شهادات ميلاد رسمية ولا حتى بطاقات هوية ، أما المسجّل منهم فلا تعرف الدولة إنّ كان عجّريا أم لا .

كما انخرط بعض العجّر في حياة الناس المدنية ، لكنهم يخشون ذكر أصولهم خوفاً من نظرة المجتمع الظالمة لهم ، وصار العجّر القاطنون في المدن يسمحون لأبنائهم بالتعليم خلفاً لأسلافهم القدماء ، فابتعد بعضهم عن العادات والتقاليد الخاصة ، لكن ذلك لا يمنع أنّ بعض العجّر ما زالوا يتحدثون فيما بينهم بلغتهم الخاصة للحفاظ عليها وحفظ موروثهم الشعبي .

ويمكن حصر أماكن تواجدهم في حوش العجّر بسور مجرى العيون في حي مصر القديمة بالقاهرة ، وفي حي المقطم وأبي النمرس وحي منشية ناصر العشوائى ، كما يتواجدون في حي غريال بالإسكندرية ، وقرى سنباط ، وقرى طهواى بمحافظة الدقهلية التي يُقال أنّ بها حوالي خمسة آلاف عجّري ، وأماكن أخرى كثيرة متعددة ، ويقدر البعض أرقامَ العجّر في مصر بين نصف المليون والمليون نسمة ، لكن لم يُعرف حتى الآن على وجه الدقة التاريخ الذي قدم فيه العجّر إلى مصر ، فالبعض يشير إلى منتصف القرن السادس عشر ، فيما يرجح البعض أنهم أتوا إليها مع بداية حكم محمد علي .

وأعمال هؤلاء العجّر يقوم بها النساء ، حيث إنّ أغلب رجالهم لا يعملون ، إنما ينتظرون نساءهم في خيامهم أو بيوتهم كي يأتين لهم بالطعام والأموال ، وقد يجلس بعض رجال العجّر قريبا من النساء بينما تعملن لحمايتهن من بعيد .

وأعمالُ النساءِ تنحصر في التسول والسرقة والرقص والغناء ورسم الوشوم على الأجسام ، هذا إلى جانب قراءة الكف والطالع ، ولا ينسى أحد تلك الجملة المعروفة منهن " آيين زين وأضرب الودع " ، فتلك الجملة نسمعها كثيرا تخرج من عجربة على شاطئ البحر أو ضفة النيل .

أما بعض الرجال الذين يعملون منهم فهم يحترفون أعمال الحوافة في الموالد الشعبية ، وصناعة المناخل من شعر الخيل ، ومن يشعُر بالحاجة منهم يُضطرُّ إلى التسول لكسب قوته .

أما عن تلك العجربة وعد قبائل المحروس ، فقد نزحت مع أهلها إلى القاهرة من قرى طهواي بالدقهلية ، ثم استأجروا سكنا لهم بمنطقة العجر بحى مصر القديمة بجوار سور مجرى العيون .

وكان أول عهد هذا المكان بتلك المرأة حيث إشارة تقاطع شارعي الطيران ومصطفى النحاس قد بدأ منذ كانت فتاة في الخامسة عشرة من عمرها قبل أن يخرج الدكتور مالك الأمير مجنوننا إلى الشوارع بسنوات ، حيث كانت هناك متسولات معروفات تحتل هذا المكان ، منهن عجريات ، ومنهن غير عجريات ، ومنهن من تتظاهرن ببيع المناديل الورقية ، ومنهن من تحملن أطفالا وتوزعن وريقات على راكبي السيارات بأنهن أرامل يحتجن للمساعدة العاجلة لأن معهن أطفال دون طعام ودواء وكساء ، ومنهن قطعنا من تتسول طالبة المساعدة بطريقة مباشرة دون قناع ، وما أكثر هؤلاء! .

وكان يوما من أيام الشتاء الباردة سنة ١٩٩٤ ، عندما جاءت الفتاة وعد العجربة للتسول مع نهاد ابنة خالتها .. أعجب المكان وعد كثيرا ، ومنذ ذلك اليوم صارت لا تغادره إلا لتعود ، وشيئا فشيئا فرضت سيطرتها عليه بجرأتها ومكرها

وأنوئتها الطاغية .. تختفي منه أياما تقصر أو تطول ثم تظهر كما تريد ، مرة بالنقاب وهي تحمل طفلا رضيعا أو طفلة ، ومرة بوجهها المكشوف بعد أن ترسم عليه علامات الفقر والمسكنة ، وهي تستجلبُ المساعدة من الناس بطريقةٍ تحمل مودة وتظاهر بالطيبة والوداعة ، وطرقٍ أخرى فيها كثير من الخلاعة وإثارة غرائز الرجال خاصة الشباب والمراهقين في أغلب الأحيان .

كانت وعد العجربة ساحرةً حقا ، تُثير الجسمَ والقلبَ معا ، وتحبها العينُ وتتقنُ بها منذ أن تراها ، لكن ما هي إلا لحظةً نُغمضُ عينيكَ عنها لتفتحها على لذعةٍ منها أبشعُ ألما من لذعةِ العقرب ، فتصير ولو كنتَ من أقوى الرجالِ مرتميا عند قدميها ذاهلا بين الحلم والحقيقة .. حرياء تملؤن بألف لون ، وأفعى تنفثُ سمومها بداخلك دون أن تدري بنفسك إلا طريح الأرضِ تصارعُ الموتَ الأليم ، وهي تعشقُ المالَ عشقا جما يفوقُ عشقَ الأم لوليدها آلاف المرات ، وتكذب ، تسرق ، تزني ، تقتل ، تفعل كلَّ شيءٍ من أجل المال ، وإن حلتَ بمكانٍ تركتُ خلفها جريمة كبيرة غامضة مُعقّدة ، ومع ذلك كله إن ترها فقد نظمتها ملاكا .

عندما كانت في العاشرة من عمرها عادت لأمها الطاف وبيدها حلقةٌ ذهبي عليه

آثار دماء .. سألتها أمها :

- وعد .. ما هذا؟

أجابتها بكل هدوء :

- جذبتته من أذن طفلة في الشارع

سألتها أمها سريعا :

- هل رأكَ أحد؟

- لا



- احذري دائما .. ولا تجعلي أحدا يراك
- وفي الثالثة عشرة من عمرها خرجت لتجمع القطن في أحد الحقول .. راودها ابنُ صاحب الحقل عن نفسها مقابل جنبيين فوافقتُ ، وفعلا ما فعلا ليلا دون وصولٍ للنهاية ، وعادت لأمها بالجنبيين مبتهجة فقالت لها الأم أُلطاف بهدوء :
- يا وعد .. المثل يقول إن سرقت اسرق جمل .. وإن عشقت اعشق قمر فقالت لها ابنتها :
- ماذا تقصدين؟
- أجابت الأم بكل بساطة :
- ما بين فخذك هذا غالٍ جدا يا وعد .. إنه ثروة .. فلا تفرطي فيه إلا بالمال الكثير

- فهمتُ .. واطمئني أنا لم أفرطُ فيما تقصدين
- وكانت الأم هي صاحبة فكرة انتقال الأسرة إلى القاهرة من أجل العمل في التسول بالميادين الكبيرة ، لذلك فقد راحت تعد ابنتها وعد لهذا جيدا .. جلستُ معها ودرّبتها مع كثيرٍ من نصائح الشر.
- وها هي العجرية وعد المحروس ابنة العجرية أُلطاف تقف بالإشارة تتسول وهي ترتدي ثيابا مزركشة ومزينة بألوان كثيرة متداخلة ، وتضع فوق رأسها غطاءً رأسٍ بنفس ألوان ثيابها ، ويسري في وجهها حمرةٌ مميزة تنم عن اختلاف أصلها عن أصول بقية المصريين رغم مولدها ونشأتها في مصر ، ويبدو قوامها ساحرا داخل ثيابها الواسعة في الغالب ، والتي لا تحدد تفاصيل جسدتها أكثر من أن تُنبئ عن أن صاحبته أنثى كاملة الأنوثة ، وتتعمد دائما أن تترك الحرية لخصلات من شعرها كي تتدلى من تحت غطاء رأسها لتعلن للناس عن نعومتها وجماله ، وأما عن عينيها

فهما واسعتان زرقاوان تشعان سحرا وشرا ، مَنْ يرها ويُمعِن النظر في عينها يصدق فوراً تلك المقولة : (العيون الزرقاء عيون مأكرة خبيثة) .

كانت تجمع حولها كلَّ العيون ، وكم أضع سائقو السيارات الخاصة والعامة لحظات انتظارهم قبل السماح لهم بتخطي الإشارة في تتبعها ومراقبة حركاتها وابتسامتها وكلماتها وطريقتها في التسول التي جذبت كل الأنظار وكل الأموال ، وقد أثارت بسبب ذلك منذ يومها الأول شجارا وعراكا مع امرأة عجرية متسولة مثلها اسمها نوال .. قالت نوال غاضبة :

- هذه الإشارة نحن نملكها فابحثي لك عن مكانٍ آخر .. صرنا لا نستطيع أن نعمل بسببك

نظرتُ لها وعد وابتسمتُ ابتسامة ثقة ثم أجابتها باستهزاء :

- لا تكرري كلامك هذا لي وإلا ستندمين

قالت نوال وهي أكثر غضبا :

- أنا هنا منذ زمن .. هذا مكاني أنا ومَنْ معي

- أنتِ عجربة وتعرفين أننا العجر نملك كل الأرض .. نحن نضع أقدامنا في

المكان الذي يحولنا

- هذا مكان عمل وليس خيمة أو بيتا .. وقد جئتُ إلى هنا قبلك

- لن أترك هذا المكان .. وأريني ماذا ستفعلين؟

وذهبتُ نوال مسرعة إلى نهاد ، وقالت لها :

- نهاد .. لقد سمحنا لكِ أنتِ فقط بالعمل هنا معنا .. لكننا لا نسمح لوعد

قربيتك .. لا نعرف من أين جئتنا بتلك المصيبة



قالت نهاد وهي تبتسم :

- وعد هناك .. اذهبي وقولي لها هذا الكلام .. لكن نصيحة فكري أولا .. وعد لا يقدر عليها أحد

- أنتِ مَنْ جئتِ بها هنا .. خذها وفارقينا لأي مكان آخر

قالتها نوال بغضب ، فضحكتُ نهاد وقالت لها :

- قلت لك .. لو تملكين الجرأة فاذهبي وقولي لها ذلك

وعادت نوال إلى وعد وقالت لها بكل صرامة :

- لا تأتي إلى هنا بعد ذلك .. لن نتركك تحتلين مكاننا .. هل فهمتِ كلامي؟

ضحكتُ وعد ضحكة ساخرة قائلة :

- قلتُ لكِ مِنْ قِبلِ .. أنا لن أترك هذا المكان .. فلقد أعجبتني العمل هنا

ورفعتُ نوال يدها لتجذبها من شعرها ، فأمسكتُ وعد بها ، وجذبتها على

الأرض بحركة سريعة كأنها تدربتُ عليها كثيرا مِنْ قِبلِ ، ثم أخرجت مِنْ فمها شفرة

حلاقة ، وأحدثتُ بكل خفة ومهارة قطعاً بظاهر كف نوال وهي تقول لها بثقة :

- هذه إصابة بسيطة في يدك التي رفعتها لإيذائي .. المرة القادمة سأشوه

وجهك

واجتمعتُ المتسولات الأخريات حولهما يحجزن بينهما ، ونوال تنظر إلى الدماء

التي سالت منها وتصرخ وتلطم خديها وهي تضغط على مخرج الدماء بمناديل ورقية

للتوقف ، ثم انسحبتُ مِنْ مكانها ، واتخذتُ لنفسها مكانا فوق الرصيف بجوار

شجرة استندتُ عليها ، ثم راحت تنظر لوعد في غيظ وحقد ورغبة في الانتقام ،

ووعد لا تلتفتُ إليهما ، بل راحت تواصل عملها ، وقد تجمعتُ عندها كل أموال

المارة المعجبين بجمالها وخفة تحركاتها وطريقتها المميزة في التسول وجذب الأنظار.

فقد كانت جذابة جدا ، وذكية جدا ، شريرة جدا ، ماهرة جدا وجريئة ، وكانت تجيد القراءة والكتابة وتفهم الكثير .. مَنْ يتحدث لها يظهرها حاصلة على أعلى الشهادات الجامعية ، فقد ربتها أمها ألطف على شرها ومكرها تربية خاصة مقصودة لتجعلها واعية قوية الثقة بنفسها ، فصار لها آراءً خاصةً في كل شيء ، وهي مع ذلك أو من أجل ذلك ساخطة على كل الأعراف والتقاليد والموروثات ، دائمة الحقد والحسد لكل مَنْ فوقها ، ولا تتقي أحدا على الإطلاق على خلاف الغجر الذين يؤثرون الخضوع واثقاء الناس ، وكانت شديدة الطموح شديدة التطلع إلى ما في يد غيرها ، وعازمة على أن تناله بأية طريقة ، المال والقصور والرجال والبنات والبنين ، كل شيء .

في اليوم التالي جاءت نوال بزوجها معها للانتقام من الشيطانة وعد ، ولم تكن وعد قد وصلت المكان ، فجلس الزوج ينتظرها حتى جاءت فوقف لها ، ثم اتجه ناحيتها .. قال لها :

- من عائلة مَنْ أنتِ؟

نظرت له بازدراء ، ثم نظرت ناحية نوال ، وفهمت أنه يتبعها ، فقالت في سخرية:

- هل جئت لتخطبني؟

فتعجب الرجل من جرأة كلامها ، ونظر إلى زوجته وقال لها :

- جئتُ كي أخذ حق زوجتي .. فمن أي عائلات الغجر أنتِ؟

- من عائلة المحروس .. والدي اسمه قابيل .. هل تعرفه؟ .. الذي قتل هابيل

فنظر لها الرجل بقلقٍ واستغرابٍ من جرأتها وكلامها وسألها :

- لماذا ضربت زوجتي بالأمس؟

- كنتُ أودعها حتى لا ترفع يدها عليّ مرة ثانية

- لو كانت بلطجة فبإمكانني أن أكنس بكِ تراب الشارع الآن
- والله لن تستطيع .. وأحسن لك أن تنصرف الآن
- بل انصرفي أنتِ .. هنا مكان عملها .. هي صاحبة المكان .. وأنتِ جئتِ لتأخذه منها
- لن أترك هذا المكان
- ستتركينه رغما عنك وعن أهلك
- وهنا صاحت وعلد ترفع صوتها وتمسك بملابس الرجل وتصرخ :
- الحقوني .. الحقوني .. هذا الرجل يحاول أن يمسك صدري .. الحقوني يا ناس
- واجتمع الناس حولها، ونزل الكثيرون من سياراتهم يحيطون بالرجل ويوسعونه ضربا وتوبيخا، ثم جاء رجل المرور وكان قريبا منهم، فتحبّر لوعده ثم اتصل بقسم الشرطة القريب، فجاء ضابط وأمينان، واقتادوا الرجل إلى هناك .
- وذهبت وعد للقسم، وأخبرتهم كذبا أن الرجل تحرّش بها، وأسمعها كلماتٍ بذيئة، فلما عارضته هدها، وطلبت من ضباط القسم أخذ تعهد عليه وعلى زوجته بعدم التعرض لها، وكررت أمامهم أن مسؤولية أمنها تقع عليهم، فتعهد لها الضباط بحمايتها، وأوسعوا الرجل ضربا وشتما حتى أنهم لم يسمحوا له بالتفوه بكلمة واحدة، ثم وضعوه في الحبس شهرا إكراما للعجيرة الجميلة .
- ومرّ أكثر من شهر على تلك الواقعة، وإذا بالعجيرة نوال تأتيها بخمس نساء، وكانت وعد قد بدأت عملها في هذا اليوم في ساعة مبكرة دون أن تأتي معها ابنة خالتها نهاد .. كانت تحمل مجموعة مناديل كأنها تبيعها .. تقدمت نوال ناحيتها ومقاصد الشر تيرق في عينها ..

قالت لوعده :

- أريني اليوم كيف ستصرخين وتقولين أنّ زوجي تحرّش بك أيّتها العاهرة؟
قالت وعد بكل ثقة و غضب :

- ألم أهدرك من قبل؟ .. هل تريدان أن أشوه وجهك؟

وهنا مدّت نوال يدها لتغرس أصابعها في وجهه وعد قائلة بكل حقد :

- سأريك من ستشوه الأخرى

وأمسكت وعد بيدها تبعدها عن وجهها ، ولكن نوال بالفعل كانت قد وصلت بأظافرها الحادة إليه ، وسال الدم على وجهه وعد ، وتكاتف عليها النساء الأخريات حتى ألقينها على الأرض ، لكنها لم تستسلم ، وراحت تحاول التملص من تحتها وهي تمد إحدى يديها إلى داخل جوربها لتخرج شيئا ، وبالفعل أخرجت مطواة ، وفتحتها وزجّت بطرفها من استطاعت أن تطالها منهن طعنا وتقطيعا ، فصرخ تحتها واحدة تلو الأخرى ، وقُمنَ عنها يتحسسن مواضع طعناتهن ، ولم يتبق سوى نوال التي نهضت من تحتها لتجري ، فطاردها وعد بكل إصرار كي تمسك بها ، وأمسكت بها ، وبحركة سريعة خفيفة كانت قد أحدثت بوجهها قطعاً غائراً ، وراحت نوال تصرخ من شدة الدهول والألم ، ووعد تقول لها بعينين بارقتين :

- ليس هذا فقط .. إنما سأسجنك أيضا يا بنت الكلب

وتوجهت وعد على الفور إلى قسم الشرطة وهي تبكي وتذرف كثيرا من الدموع ، وأبلغتهم بأن نوال التي تعدت عليها بالضرب من قبل قد عادت ومعها خمس نسوة لضربها ، وهنّ من أحدثن الجروح التي بوجهها ، وذكّرتهم بأنّ زوج نوال كان قد تعهد هنا في القسم بعدم التعرض لها سواء بشخصه أو بتحريض آخرين ، فاستجلبت بذلك عطف كل من سمعها ، وعلى الفور خرجت قوة من القسم

فألقْتُ القبض على نوال والنسوة معها ، وكانوا قد أطلقوا سراح زوجها ، فأعادوه إلى الحبس ثانية .

يقولون إنَّ العجرا لا يعرفون اليأس ، وأنك إنْ قَطَعْتَ عَجْرِيَا إلى عشر قطع ، فلا تظن أنك أنهيته أو قتلته ، إنما أنتَ بذلك قد صنعتَ منه عشرة عَجْرِيَيْنِ آخرين ، وهذا صحيح ، فقد عادت نوال بعد خروجها ومعها نساءٌ كَثُرَ ورجالٌ تابعون لها يقفون على البعد ، وتقدمتُ ناحية وعدت قول بكلِّ تحديٍّ :

- رجعتُ لكِ أيتها الشيطانة

فنظرتُ وعد لها ولمن معها وقالت بمكرو تودد :

- نوال .. أئن نتوقف عن المشاكل؟

ضحكتُ نوال بسخرية قائلة :

- أنتِ أساسا سبب كل المشاكل

وسكتتُ وعد قليلا ، ثم قالت لنوال بطريقة تحمل توددا أكثر:

- نحن جميعا يا نوال من عَجْر النَّورِ ويربطنا أصل واحد .. ولن تفيدنا

العداوة .. وتعرفين أنَّ العَجْر هم أبناء الرياح .. حياتنا كلها خفة وتنقل وترحال ..

اليوم هنا وغدا هناك .. لذلك سأعرض عليكِ عرضا أفضل .. أريدكِ معي وزيرة في

جمهوريتي .. وربما أترك لكِ الحكم يوما .. فما رأيك؟

ونظرتُ لها نوال بذهول ، وفتحت فمها دون أنْ تنطق ، حيث لم تفهم كلمة مما

قالتها وعد ، فعرفتُ وعد أنها لم تفهمها فضحكتُ قائلة :

- ملخص كلامي أني أعرض عليكِ أنْ تعلمي هنا تحت زعامتي .. ستكونين

نائبة لي

ويبدو أنّ نوال قد فهمتُ أخيرا ، وراق لها هذا الأمر ، فانتظرتُ قليلا تسمع لها ، ثم عادت إلى النساء والرجال ، وطلبتُ من الجميع الذهاب فذهبوا ، وعادت إلى وعد تخبرها :

- وعد .. أنا موافقة
- أخيرا يا نوال تركنا عداوتنا
- لكن في غيابك أنا الزعيمة هنا
- في وجودي وغيابي أنتِ نائبة لي فقط .. أنا الزعيمة دائما يا نوال .. فهل اتفقنا؟

- اتفقنا

وبهذا تسيّدتُ وعد العجربة عرش هذا المكان بكل حكمة وقوة وذكاء ، ونائبتها العجربة نوال ، إذ لم يكن أمام نوال إلا قبول ذلك خيرا من لا شيء ، فقد فهمتُ أنّ الأمر سيؤول في كل الأحوال لوعد سواء انتقمتُ منها بضررها أم لا ، وعلمتُ أنّ بجعبة وعد الكثير من الحيل والمكائد التي تعينها على ألا تستسلم لها بسهولة ، فرضيتُ بعرض وعد ، وأحببتها مع الأيام فأخلصتُ في النيابة عنها ، ولم تملك أية متسولة أو بائعة بعد ذلك الجراءة لأنّ تنزل إلى أرض تلك الإشارة لتعمل إلا بعد أن تذهب لوعد ملكة المكان ، وتدفع لها مبلغا ماليا في البداية يُسمى تأميننا ، ثم يتفقان على إتاوة يومية تُدفع لوعد إن كانت موجودة ، أولنوال في غيابها ، أو لابنة خالتها نهاد في غياب الاثنين .

وكان هناك شاب قد تعوّد أن يمرّ من هذا المكان بسيارته تكرارا ، ثم يوقف السيارة جانبا ، ويظل ينظر منها إلى الفتاة العجربة المتسولة وعد ، ينظر لها ويبتسم ، ويتابعها في كل حركاتها ، وقد انتهت وعد لذلك ، لكنها كانت تتظاهر بعدم

الاهتمام .. كان الشاب فوق الخامسة والعشرين ، قصيرا ممتلئا ، ناعم الشعر قليلا ، أسمر اللون كثيرا ، صاحب ابتسامة ساذجة .. أرسل لها ورقة مطوية مع طفلة صغيرة متسولة ، ثم وقف يراقب ردّها .. تناولتها وعد بكبرياء وقرأت (وعد .. أريد أن أتحدث معك على انفراد .. فهل تسمحين؟)

نظرتُ العجيرة وعد ناحيته حتى تأكدتُ أنه يراها ، فرفعتُ الورقة عاليا ثم مزقتها ، ورمتها جانبا ، وراحت تواصل عملها في التسول ، فابتسم الشاب ابتسامة حذرة ، ثم أدار سيارته وانطلق .

وعاد في اليوم التالي ، فأرسل لها ورقة أخرى يقول : (وعد .. إنَّ غرضي شريف .. أين تسكنين؟ .. أريد أن أتقدم لك لأتزوجك .. سالم السعدي) وعادت ونظرتُ له ، ثم ذهبْتُ له بالورقة وهي تُطَيِّقُ يدها عليها . ورمتها أمامه قائلة وهي تبتعد عنه :

- أنا عجيرة .. والعجيرة لا تتزوج من الأعراب .. أظنك لا تفهم ذلك فلا تضيع وقتك

فابتسم سالم السعدي وناداهما فلم تلتفت له ، فأدار سيارته وانطلق . وفي اليوم التالي أوقف سيارته ، وأرسل لها مع طفلٍ متسولٍ شالا كان يلفه حول عنقه ، فتناولته ثم نظرتُ له وابتسمتُ ثم ظلتُ لفترة مترددة ، يبدو خلالها أنها تفكر في شيء ، وتوازن خلال ثوانٍ بين كل اختياراتها المستقبلية ، وكان سالم ينظر لها وينتظر الرد في قلق ، وأخيرا نظرتُ وعد ناحيته وابتسمتُ ، ثم لَقَّتُ الشال حول عنقها ، فنزل من سيارته فرحا منتشيا ، واتجه ناحيتها وعلى وجهه ابتسامة كبيرة .

(٣)

وبدأ طموح الشر

إنه الحبُّ الذي جاء يطرق قلب فتاة في الخامسة عشرة ، خرج من قلب شاب فوق الخامسة والعشرين ، فهل استجاب قلب الفتاة؟ .. وما معنى أن يرسل لها الشاب شاله مبتسما فتتلقاه مبتسمة ثم تلف عنقها به؟ .. ألم تكن تلك الفتاة قد صدته مرتين من قبل؟.. لماذا وافقته الآن هكذا؟

إنها عاداتُ العُجْر ، فإنَّ سالم السعدي شاب عُجْرِي ، ولم تكن الفتاة وعد العُجْرِيّة تعرف عنه ذلك في البداية ، فالزواج في الثقافة العُجْرِيّة يُبنى على أنَّ العُجْر لا يتزوجون من خارج دوائريهم ، إذ يمثل زواج الأقارب لديهم قاعدة صارمة لا يمكن تجاوزها ، فالعُجْرِي لا يتزوج إلا عُجْرِيّة ، والعُجْرِيّة لا يتزوجها إلا عُجْرِي ، ولذلك فإنَّ كثيرا من الأغاني التي يغنيها العُجْر في أفراحهم وأفراح غيرهم ، وكذلك أفلام السينما مثل "تمر حنة" تتحدث عن كثرة العشاق الذين أحبوا بنات العُجْر ولم يستطعوا الزواج بهن .

وغالبا يتمُّ عقد الزواج دون حضور مأذون ، لأنهم لا يعتمدون في الزواج سوى على الثقة المتبادلة بينهم ، وفترة الخطوبة لديهم لا تزيد على خمسة أشهر ، وعادة ما يتم الزواج عند العُجْر في سن مبكرة ، ويمتاز بطابع خاص ، حيث يُرسل العُجْرِي في بادئ الأمر رِبْطَة عنقه أو الشال الخاص به إلى العُجْرِيّة التي يرغب في الزواج منها كما فعل سالم مع وعد ، فإذا ارتدت ما يرسله فهذا يعني أنها قبلت بالزواج منه ، سواء كان قبولها عن حب أو بغير حب ، ويُعد الطلاق بينهم أمرا نادر الحدوث .

كما أنّ تعدد الزوجات أمرٌ مُسَلَّمٌ به عند الفجر ، ترضى عن ذلك الفجرية دون رفضٍ أو جدال ، فيتزوج بعض الفجر من زوجتين أو ثلاث أو أربع ، يقمّن بالعمل والإنفاق على الرجل في كثير من الأحيان ، وثرأء الرجل منهم يُقاس غالبا بعدد زوجاته من السيدات اللاتي تعملن للإنفاق عليه .

وبالطبع لم يستجب قلب الفتاة وعد الفجرية للحب ، إنما استجاب عقلها لفكرة أنّ تتزوج شابا عجريا يبدو أخرق ساذجا ، فهي تعلم جيدا أنه لا يمكنها أن تتزوج إلا عجري مهما بلغت من الجمال والسحر والتميز . كما تعلم أنه يجب عليها أن تتزوج قبل أن يفوتها قطار الزواج الذي يقف للعجبرية في سن صغيرة لتستقله ، فإن تقاعست حتى تصل للعشرين تركها وانطلق بعد أن يتركها للقبل والقال من قبل الحاسدات من نساء الفجر .

وإنّ تلك الفتاة العجبرية وعد عندما وافقت على سالم وافقت وهي توقن في قرارة نفسها أنها لا يمكن أن تخضع يوما لرباط الحب ، فلماذا الانتظار؟ .. فليكن سالم زوجها فقط ، وليكن حلمها بالثراء الفاحش معشوقها الخفي .. إنها قد أحببت طموحها ونفسها وشيطانها إلى درجة العشق .. لم تعرف إخلاصا إلا الإخلاص لذلك ، وقد تخون الجميع ، لكن من الصعب أن تخون طموحها ، وإنها امرأةٌ مغرورةٌ للدرجة التي تجعلها تمارس عملها بالتسول بين السيارات بكبرياء وشموخ كبيرين لا يتناسبان مع عمل التسول ، فكيف لها أن تتواضع إلى تلك الدرجة التي تجعلها تحب شابا مثل سالم؟

حقا إنّ سالم السعدي - هذا الشاب العجري - بالنسبة لها لا يملك أية ميزات في هيئته الشخصية ، ولا شك أنّ الحاسدات لها من فتيات الفجر سيجدن في

شكله المتواضع بالقياس لها منافذ كثيرة للسخرية منها ، وقد ترفضه أمها ويرفضه أبوها لهذه الأسباب إن لم يكن يملك شيئا آخر يعوض النقص .

لكن وعد رغم كل ذلك قد قبلت الزواج بسالم عندما قبلت شاله ولقته حول عنقها ، فما الذي أعجبها في سالم؟ أو لماذا قبلت الزواج منه؟ .. السبب ليس أكثر من أنها قالت لنفسها عندما فكرت قبل أن تقبله (ظلُّ رجل أفضل من ظلِّ حائط) خاصة إن كانت المرأة شديدة الطموح ، شديدة الشر كوعد ، وكان هذا الرجل يبدو كسالم الغجري .. إنها تريد منه الظلَّ فقط الذي تمشي خلاله لتحقيق كلِّ أحلامها الشريرة دون أن يمنعهما أو يقول لها : (كَفَى)

ذهب سالم السعدي مع البعض من أهله إلى بيت أهل وعد بمصر القديمة لخطبتها .. أخبرهم أنه يملك محلا لتصليح الساعات وبيعها في العتبة ، وله زوجتان قبل وعد ، لم يُنجِبَ منهما بعد ، وسوف يستأجر لها شقة الزواج بمدينة العبور .. نظر أبوها لها ورأى في عينها القبول ، ثم نظر إلى أمها أطفاف .. حبست أمها في نفسها كلاما كثيرا لتقوله لابنتها الجميلة بعد انصراف الضيوف .

وانصرف الضيوف وخلت الأم بابنتها .. قالت لها :

- هل جُننتِ؟ .. ماذا يعجبك فيه؟

ضحكتُ وعد ضحكة ساخرة وقالت :

- وماذا يعجب أية عجيبة في الرجل غير أنه رجل؟ .. نحن من نعمل ونربي

ونحمل الهمَّ كله

- وعد .. ألا يزعجك أنه متزوج من اثنتين؟

- وماذا في ذلك؟ .. نحن نقبل ذلك في عاداتنا

- ولماذا لم ينجب حتى الآن من الآخرين؟

- قد يكون بسببهما يا أمي .. لا تظلميه
 - وعد يا ابنتي .. ألا تعرفين قيمة نفسك؟ .. ألا تنظرين في المرأة؟ ..
- سالم هذا.....

وقاطعتها وعد قائلة :

- لا يهمني شكله .. أنا موافقة عليه هكذا
 - أتجيبينه يا وعد؟
 - أمي .. أنا لا أحب غير المال .. أنت تعرفين طموحي .. أنا تربية يدك يا الأطف
 - وهل سالم هذا هو من سيحقق طموحك؟ .. لا تنظري إلى سيارته .. إنه
- مجرد ساعاتي

- لا تقلقي .. لن يتحقق طموحي إلا في ظل رجل كسالم
 - وعملك في مدينة نصر .. كيف ستذهبين إليها كل يوم من العبور؟
 - لا شيء يبُعد على العجريا أمي
- وتزوجت وعد المحروس من سالم السعدي ، وبالطبع لم تتوقف عن ممارسة عملها في التسول بمكانها في مدينة نصر ، كان يبيت عندها يومين في الأسبوع ، وقد ارتاحت لذلك ، فلم تكن لتتحمله أكثر من يومين ، لكنه كان قد غرم بها وبجمالها الأثنوى إلى درجة الافتتان ، فقد وجد عندها ما لم يجده في الزوجتين السابقتين لها .. أشبعته جنسيا ، وملكته عليه كل تفكيره .. كانت موهوبة في الجنس حقا ، باهرة في الرقص والغناء ، أراد أكثر من مرة أن يقضي معها أياما أكثر ، لكنها كانت تصده عن ذلك بحجة أنه يجب عليه أن يعدل بينها وبين الآخرين .

ومرَّ عام ولم تحمل وعد ، وهنا بدأت شكوك أمها تتزايد بأنه رجلٌ عقيم لا
ينجب .. قالت لوعد :

- أنا خائفة يا وعد من أن يكون زوجك كالشجرة التي لا تثمر.. أوراق وفقط
- الأوراق تكفييني يا أمي .. أخبرتك من قبل أني لا أريد منه إلا الظل
- لكن أنتِ تحتاجين للثماريا وعد .. الأولاد لهم طعم مختلف يُنعش القلب
- ربما أكون أنا الأرض البور التي تموت كل نبتة توضع بها .. قد يكون السبب
مني

- ومَن ينام معهما قبلك يا وعد .. الأَرْضان اللتان يرويهما لسنوات .. هل هما
أيضا بور؟

ولم تهتم وعد بكلام أمها أو تقلق بشأن الإنجاب .. إنها لم تتشوق يوما للأطفال ،
ولم تحب أبدا الأطفال .. إنَّ كامل تفكيرها يتركز حول طموحها في أن تكون ثرية ،
فإن صار لها يوما طفل وجب أن يكون ثريا مثلها ، ولذلك فقد بدأت تفكر في نقل
عملها للخدمة في البيوت مع الاحتفاظ بمكانها ومكانتها في إشارة مطعم البرج ، فقد
تقع على شيء ثمين ، وبالفعل راحت تخطط لهذا الأمر وتحدث عنه كثيرا مع نوال
ونهاد على أنهما سينوبان عنها ويجمعان ما يُسمى (الغلَّة) في غيابها ، وهي تعود
لهما تكرارا لتحصيل نصيبها .

وبالطبع لم يخلُ ذهن سالم السعدي من التفكير في أمر الإنجاب ، ورغم ذلك
لم يفكر يوما في أن يذهب إلى طبيب ، كان خائفا إلى درجة الرعب والخزي من أن
يخبره الطبيب بأنه لا يُنجب ، لذلك وضع رأسه بالرمال كالنعام حتى كان اليوم
السعيد له .. استقبلته زوجته الثانية صباح بسعادة مصنوعة صنعا بخبرة امرأة

عجربة بينما كان عائداً من عمله للمبيت عندها بمدينة النهضة .. قالت للمسكين
الساذج :

- أنا حامل يا سالم .. أنا حامل

طار من الفرحة ، حملها من باب الشقة حتى حجرة النوم .. وضعها برفق على
سريرها قائلاً :

- هذا أسعد خبر سمعته في حياتي .. الحمد لله

- هل رأيت؟ أنا أول زوجة ستحقق حلمك وتُنجب لك .. هل تريد ولداً أم بنتاً؟

- لا مهم .. المهم أنني قادر على الإنجاب

- طبعاً يا سالم .. أنت سنع الرجال

وثبتت سالم كتفها أمامه بيديه ، وراح ينظر لعينيها بجدية ، فأصابها القلق ،
لكنه زال بقوله :

- لا أريدك أن تخرجي للعمل طوال فترة الحمل

وكان أول ما فكّر فيه سالم فور ذلك أن قطع كل هذه المسافة البعيدة ليذهب إلى
مكان عمل واعد بإشارة مطعم البرج .. أخبرها بهذا الخبر السعيد ، فما كان منها إلا أن
ابتسمت ابتسامة مصنوعة وقالت :

- ألف مبروك يا سالم .. يتربى في عزك

- الله يبارك فيك .. عقبالك

ولحظ سالم عدم اهتمامها ، وظنّ الزوج المخدوع ظنّ السذاجة أنها قد غارت
من صباح فقال لها :

- لا تقلقي .. ستحملين قريباً

وابتسمتُ وعد وصمتتُ لكنها قالت في نفسها : (وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنِّي قَلِقَةٌ أَيْهَا السَّادِجُ أَوْ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَحْمَلَ مِنْكَ؟ .. ثم إنني أَظُنُّ أَنَّ تِلْكَ الْعَاهِرَةَ صَبَاحٌ حَامِلٌ مِنْ غَيْرِكَ)

وعلمتُ راضية الزوجة الأولى لسالم بخبر حمل زوجته الثانية صباح ففرحتُ لها ولسالم كثيرا ، وكانت شقتها بمنشية ناصر ، فذهبتُ فوراً أَنْ عرفتُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى النَهْضَةِ لِتَبَارِكُ لَهَا .

كانت راضية طيبة القلب ، تحبُّ زوجها سالم صدقا لا كذبا ، وقد تزوجته عن قصة حب بينهما ، ولا تنقطع عن أَنْ تقصها لكل مَنْ تعرف باستمرار ، وقد فضّلت أَنْ تعمل بالخدمة في البيوت عن أَنْ تعمل في التسول كما تعمل الغجريتان الأخرتان صباح ووعد .

وكان شعاعُ الحبِّ الذي سطع بقلب سالم تجاه حبيبته الأولى راضية قد خبا نهائيا ليسطع في سماء أخرى أمام وعد ، حيث صار حبه لها وشغفه بها يزداد يوما بعد الآخر ، فلا يرى في الدنيا غيرها ، وما كان اهتمامه بصباح إلا لأنها ستنجب له ولدا أو تنجب بنتا .. لا يهم .. الأهم أنها ستُنهي إحساسه بالمعرة والنقص الذي طالما عاش يشعر به منذ شهوره الأولى في الزواج .. والأكثر أهمية من ذلك أَنَّ صباح بحملها ستضاعف حجمه كثيرا في عين وعد ، فسوف يظهر أمامها في النهاية أنه الرجل الفارس القادر على الإنجاب ، وإن كان قد تأخر ذلك كثيرا .

وبدلاً مِنْ أَنْ يوجه سالم اهتماما أكثر بزوجه الحامل صباح راح يصبُّ كلَّ اهتمامه وغرامه عند وعد وزوجه الساحرة ، إنه قد كفاه من صباح أنها حامل ، لكن وعد الساحرة قد بلغ بها الضيق ذروته بسبب اهتمامه الزائد بها واقتطاعه من ليالي الزوجتين الأخرتين لها ، خاصة من راضية .

وراحت بسبب ذلك تفكر بكل جدية لتجد حلا لمنع مبيته الكثير عندها ، فوصلت لحل فكرت فيه من قبل ، وهو أن تنقل عملها من التسول للخدمة في البيوت ، فهذا سيجعلها قريبة جدا من تحقيق حلمها بالثراء لأنه سيقربها من الأغنياء ، ودائما حكمتها في الحياة " من جاور السعيد يسعد " فقد تجد فرصة لإغواء رجل ثري يمنحها الأموال نظير جمالها ، إلى جانب أنها ستستطيع أن تبني بيت الخدمة كما تشاء بعيدا عن وجه سالم زوجها العاشق لها .

إنها لم تحبه أبدا ، ولم تسمح لقلبي أن تحبه ، بل إنها قد جاهدت كثيرا حتى لا تسمح لقلبي أن ينجرف مع أي تيار مما يجرف قلوب النساء من حب وعشق ، بل لقد اختارت سالم لأنها رأته أبعد كثيرا عن أن يكون جديرا بفتى أحلام .. تعرف أن الحب كما يحيي بعض النفوس فإنه يقتل نفوسا أخرى .. إنها تخشى أن تحب فيضعفها الحب عن أن تصل إلى مساعيها ، وهي لا تسعى إلا لهدف واحد ، المال فقط ، وقد جمعت من عملها مبلغا من المال تحفظه بعيدا عن سالم في البريد ، وكلما زاد رصيدها تزداد فرحتها ، وعلى الرغم من كل ذلك فقد بدأت تشعر بالإحباط لأنها لم تخرج بعد إلى الطريق .

سامح الله أمها أطفاف العجيرة ، كانت شديدة الطموح ، شديدة الحقد على الأغنياء ، تكره الفقروالفقراء وهي منهم ، تنقم على كل شيء بحياتها ، كانت قد عزمت على أن تكون أغنى سيدة عجيبة بين قومها ، وسلكت في هذا الطريق بضع خطوات ، ثم أحببت شابا وسيما فأنساها الدنيا ، ونسيته معه كل طموحها ، فأرادت أن تعيد زراعة ما ذبل من أحلامها في بنت لها ، فلم تجد أرضا تستجيب لغرسها الشيطاني غير ابنتها الجميلة وعد .. كانت تردد لها دائما : (المال هو كل

شيء في الدنيا .. المال يشتري لبن العصفور .. مَنْ معه مال يساوي مال .. المال يُطيل العمر ويعوض الهم)

وكانت ألطف قد تحدثتُ حديثاً سرياً مع وعد قبل إتمام زواجها من سالم ، نصحتها بالألّا تخيب خبيبها ، وما زال أمامها أن تنتظر مَنْ هو أغنى منه ، لكن وعد ابنتها غرس يديها طمأنتها بأنها اختارت سالم لأنه بطيبته وسذاجته لن يكون عائقا أمامها في شيء ، وإن صار عائقا داسته بقدمها بالطلاق أو بغيره ، ومرّت على أشلائه لاستكمال طريقها ، فارتاحتُ الأم لتفكير الابنة الشيطاني وباركت لها ، وأخبرتها أنها ستكون معها في كل شيء كلما احتاجت إليها .

وواتتُ وعد فرصة الخدمة في البيوت حتى شقتها في العبور ، يوم أن طرقتُ راضية بابها هناك ، وكانت المرة الثانية التي تزورها بعد زواجها من سالم .. رحبتُ بها وعد ترحيباً مبالغاً فيه ، وتناولنا طعام الغداء سوية .. وبالطبع فإنّ وعد تعرف أنّ راضية تعمل بالخدمة في البيوت .. سألتها :

- راضية .. هل الأفضل لك التسول أم الخدمة في البيوت؟
- الخدمة طبعاً هي أشرف وأفضل بشرط أن تكوني قادرة على أن تحافظي على نفسك

فسألتها وعد سؤالاً جريئاً :

- ألم يصادف أن عاكسك رجل ممن تخدمين عندهم؟
ضحكتُ راضية وقالت في طيبة :

- وهل يتوقف الرجال عن ملاحقة الخادِمات؟! .. حتى أولادهم الصغار لا

نسلم منهم

قالت وعد بمكروهي تضحك :

- يبدو أنك تعرضت لمعاكسات كثيرة يا لثيمة

قالت راضية بطيبة :

- فعلا حدث كثيرا .. لكنني والحمد لله أحافظ على نفسي .. أنا لا أحب هذا

الكلام الفارغ

- أسمع أنّ هؤلاء الأغنياء بيوتهم جميلة وواسعة .. وكل شيء فيها غالٍ

ونظيف .. وهم أنفسهم رائحتهم تنعش القلب .. آه يا أختي مِنْ روائح عطورهم عندما

أقترب من سياراتهم !!

- فعلا هؤلاء ناس حياتهم مختلفة عن حياتنا في كل شيء .. ربنا يزيدهم من

نعيمه

فأسرعتُ وعد تقول بحقد :

- ربنا يأخذهم .. هم يجمعون الملايين دون تعب ويتركونا نشقى ونتعب مِنْ

أجل ملاليم

- الدنيا أرزاق يا أختي .. وليس كل الأغنياء سيئين

- أراك تحبينهم وتحبين حياتهم يا راضية

- طبعا يا وعد .. أنا خدمتُ في بيوت كثيرة .. وتعاملتُ مع أصناف كثيرة منهم

.. منهم ناس مثل العسل الصافي ومنهم ناس أعوذ بالله منهم .. تماما مثلنا نحن العجبر

.. فينا أصحاب ضمير وخير .. وفينا آخرون كلهم شر

ونظرتُ وعد في عينها ، وقالت بطريقة جريئة :

- طيب احك لي بالتفصيل عن معاكساتهم لك

ابتسمت راضية بخجل ثم قالت :

- غيري الموضوع يا وعد
- لن أغبر الموضوع .. وهيا أخبريني .. كم رجل تحرش بك منهم؟ وكيف؟ وماذا فعلتما؟

ورغم مكر وعد وخبثها إلا أنّ راضية لم تفهمها فهما كاملا ، فابتسمت واحمرّ وجهها من الخجل وشرعت تحكي لها الكثير من مواقف التحرش بها ، ووعدت تسمع بإنصاف لكل كلمة حتى انتهت ، فقالت لها :

- أريد منك خدمة يا راضية
- تفضلي يا حبيبي أنا تحت أمرك
- لقد مللت من التسول .. أنا مثلك أريد أن أكسب مالي بالحلال .. ساعديني كي أجد عملا كخادمة في بيت أحد تعرفينه .. لكني أريدهم أغنياء .. أغنياء جدا
- فأسرعت راضية تقول لها بكل طيبة ورفق وهي تربت على يديها :
- من عيني يا حبيبي .. أنت والله محظوظة .. البيت موجود وهم بأنفسهم من طلبوا مني خادمة

فأسرعت وعد تقول لها :

- أهم شيء عندي أن يكونوا أغنياء
- فنظرت لها راضية بريية ، وقالت باستغراب :
- ماذا يدور في عقلك يا وعد؟ .. أنا لا أستطيع أن أفهمك أبدا
- ضحكت وعد وتظاهرت بأنها كانت تمزح وقالت :
- الموضوع أني صرت أكره التسول وأريد عملا آخر



نظرتُ راضيةً بجديّة لها قائلة بحسم :

- وعد يا حبيبي .. أنتِ ستذهين للخدمة في هذا البيت عن طريقي فلا

تقصري رقبتي

- عيب ما تقولين يا راضية .. قلتُ لكِ إنني أبحث عن الحلال

أخذتُ راضيةً نفساً عميقاً مع تهيدة طويلة وهي تنظر لها بقلق ، ثم قالت :

- إذن استعدي لتذهبي معي إلى بيت الدكتور مالك الأمير في المقطم

(٤)

بيت الدكتور مالك الأمير

في أرقى منطقة بالمقطم ، بيتٌ يتكون من أربعة أدوار ، يملكه الدكتور مالك الأمير مع أخوين له وأختين ، هو أكبرهم ، وهو من يرعاهم بعد وفاة الأب والأم ، عمره فوق الثلاثين عاما ، يعمل طبيب قلب ، ويمتلىء قلبه بالحب لكل من حوله ، ويخرج الخير من يده باستمرار لكل الناس ، ويمنح العون لكل الفقراء دون أن يسأم أو يتغير ، ولديه ولد وبنت يحبهما كثيرا .

وزوجته مدام حنان تملك شركة سياحة وتديرها بنفسها ، تصغره بأربعة أعوام ، وهي ابنة صاحب مزارع دواجن كبيرة .. يسكنان بطفليهما الطابق الأول من البيت ، ويسكن إخوته بالطابق الثالث ، ويعيشون جميعا حياة رغيدة ، فالإيرادات التي تأتيهم من محال تجارة الأقمشة التي تركها لهم والدهم بالموسكي والعتبة كفيلة لأن تغنمهم وتغني نسلهم لسنواتٍ طويلة دون أن يصيبهم فقر أو حاجة مما قد يُصيب الناس مع تقلبات الزمان .

توقّف باص مدرسة بلال وحببية أسفل البيت قبل العصر بقليل .. أسرع الطفلان صاعدين درجات السلم ، أقبل بلال على أمه وارتمى بين أحضانها ، ثم أقبلتُ حبيبة وقبلتُ كلتا يديها مع عدم رضا الأم عن مسلكها هذا .. سألتها الأم عن أخبار دراستهما .. أجابت حبيبة :

- الحمد لله يا أمي .. حصلتُ على الدرجة النهائية اليوم في تجويد القرآن



فأسرعتُ الأم وقالت في ضيق :

- ألا تهتم مدرستكما بغير القرآن؟! ثم ألم نتفق على أن تقولى ماما وليس أمي؟!

وفي المساء بعد العشاء قالت الزوجة لزوجها :

- ليكنُ في اعتبارك يا مالك .. من العام القادم سننقل الأولاد للمدرسة الإنجليزية

- ألن تتوقفي عن ذلك؟ .. قلتُ كثيرا إنَّ مدرستهما مدرسة إسلامية كبيرة ومشهورة

- لكنها تهتم أكثر بالدين والقرآن واللغة العربية .. الدنيا تتطور .. المستقبل هوللغات الأجنبية .. أنا أريد أن يكملادراستهما في لندن

- لقد صرْتُ لأفهمك كثيرا يا حنان .. عموما الله المستعان

وأخرجتُ حبيبة من حقيبتها كراسة وفتحتها وناولتها لأبها وهي تقول له :

- المدرسة تريد توقيعك هنا يا أبي

ونظر الأب فوجد ابنته قد حصلتُ على الدرجة النهائية في القرآن ، فغمرتُ السعادة وجهه ، وحمل ابنته ذات العشرة أعوام يقبلها ويقول لها :

- بارك الله فيك يا حبيبتي .. سأتيك هدية جميلة غدا

- شكرا يا أبي

ونظرتُ الأم لهما بعضبٍ وقالت :

- كُفَى عن أن تقولى يا أبي .. قولي بابا أوبابي

والتفتتُ لزوجها قائلة :

- وأنت يا دكتور .. ما هذا الكلام الذي تقوله؟

- أي كلام يا حنان؟
- أنت دائما تقول للأولاد "بارك الله فيك" و "جزاك الله خيرا" و "حفظكما الله" و "السلام عليكم" .. وحببية وبلال دائما ينادونني أُمي .. ما هذا؟ .. لماذا تعقد حياتنا؟ .. ألن تتوقف عن هذا؟ .. لا أحب أن يكبر أولادي معقدين ورجعيين و غضب الدكتور مالك وقال لها :
- هكذا رباني أبي وأمي يا حنان .. وهكذا سأربي أولادي .. هل فهمتِ؟ .. فلا تعودى لمثل هذا الكلام .. لم أعد أتحمّل ذلك منك كل يوم وكظمتُ الزوجة غيظها وتركته داخله إلى غرفتها ، ثم نادت على المربية أم السعد بصوت عالٍ ، فذهبتُ لها بخطوات سريعة ، فقالت لها مدام حنان :
- بعد أن يُنهي الأولاد واجباتهما .. لا تنسي أن يشرّب اللبّن قبل النوم .. أنا سأنام .. عندي عمل من الصباح الباكر
- ودخل الدكتور مالك الأمير إلى حجرة مكتبه ، وراح يراجع كشوفا وأوراقا خاصة بتجارة والده ، وكان هذا الأمر قد اعتاده كل يوم .. يعود من عمله في عيادته الخاصة قبيل المغرب ، فيتناول الغداء مع زوجته وطفليه ومعهم أخواه وأختاه في أحيان كثيرة ثم يصعد أخوته لشقتهم بالطابق الثالث بعد وقت يقصر أو يطول ، ثم تبدأ طقوس الضجر المتواصلة من زوجته حنان بسبب طريقتة المحافظة في تربية طفلها الكبير بلال وطفلتها التي تصغره بعام حبيبة .
- وكانت تلك الزوجة قد تعلّمت في مدارس أجنبية ، لكنها قبل ذلك كانت ذات أصولٍ غاية في الفقر ، وهي دائما تحب أن تنسلخ من جذورها لتبدو على غير أصلها ، فأبوها الثري صاحب مزارع الدواجن بدأ حياته عاملا في إحدى المزارع ، وقد وصل هاربا لها من فقر أسرته بإحدى القرى الصعيدية ، وما هي إلا بضع سنوات حتى

كان صاحب مزرعةٍ مثلها ، ثم صار صاحب بضع مزارع ، وقد انسلخ من أصله قبل ابنته ، ولم يلتفت يوما لماضيه ونشأته بكل ما فهمما من أقرب الأقربين ، ونقل ذلك لأولاده ، والمال يفعل الأعاجيب السيئة في قلوب المُحدّثين في النعمة ، ويغير قشرة النفوس الضعيفة ليبدو منها الجهالة والشر والسوء ، لكن نفس المال لم يغير النفس القوية للحاج أحمد الأمير والد الدكتور مالك ، كان رجلا صاحب دين وعلم ، أورثهما لابنه الدكتور مالك ، لكن للأسف لم يصل ذلك الميراث الثمين لبقية أولاده إخوة مالك .

كان الولدان يدرسان بالجامعة الأمريكية ، والبنتان بالتعليم الثانوى ، وكان أخوهما الكبير الدكتور مالك هو من يحمل حملهم الثقيل كله ، يحمله دون ضجر كأمانة من والديه لا يجب إلا حفظها ، وكان يتلقى شرورهم بصبر ، ولم يرفض يوما طلبا لأحد ، يبرء لهم أفضل الثياب والطعام والسيارات ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ويحفظ لهم أموالهم ونصيبهم من إيراد المحلات ببنوك إسلامية ، ومع ذلك كله لم يكونوا راضين أبدا عن الخير الكثير الذي يُنفقه عليهم ، كانوا يطلبون دائما المزيد ، وكانوا دائما لا يرضون عن مساعدته للفقراء ، وللحق فإن معادهم الأصيلة كانت من ذهب ، لكن للأسف تغيرت ثم صدأت بسبب تداولها بين يدي زوجة أخيم حنان .

نزل إباد ومروان من شقتهم بالطابق الثالث إلى أخيهما الدكتور مالك ، ودخلا عليه بحجرة مكتبه .. طلب مالك من المربية أم السعد إحضار الشاي .. سألهما عن دراستهما ، واطمأن إلى أنّ كل شيء معهما يمضي بخير ، واطمأن منهما على أختهم سلمى وسالي ، لكنهما ذكرا له كل شيء باقتضاب ، فقد كانا يتعجلان الحديث عما جاء لأجله .

وبينما همَّ إياد أن يبدأ بالكلام دخلت أم السعد بالشاي .. سألتها الدكتور مالك عن الخادمة راضية : (هل عادت من إجازتها أم لا؟) .. وكان قد طلب من راضية أن تجد لهم خادمة أخرى مخلصه ومجتهدة مثلها ، فأعمال البيت كثيرة ، ومطالب إخوته لا تنتهي .. أخبرته المريية بأنها لم تعد بعد ثم خرجت ثم التفت الدكتور إلى أخويه الشابين ينتظر منهما أن يحدثاه عما جاء من أجله ، فنظر له إياد نظرة توجس وحذر ثم استجمع كل شجاعته وقال له :

- نريد أن نحدثك في شيء يا دكتور
- خيرا يا إياد .. تفضل إني أسمعكما
- أنا أريد تغيير سيارتي
- تريد تغيير سيارتك !! .. أنا اشتريتها لك منذ عام فقط
- لكنني أريد تغييرها .. فما المشكلة في ذلك؟!
- فلم يُجب عليه الدكتور مالك ، إنما التفت إلى مروان وقال له :
- وأنت يا مروان .. هل تريد تغيير سيارتك أيضا؟
- لا ليس الآن .. لكن توجد زميلة لي أريد أن أخطبها
- مروان يا حبيبي .. أنت لا تزال صغيرا على ذلك .. وما زلتَ تدرس .. انتظر حتى تحصل على شهادتك الجامعية بعد ثلاث سنوات ثم تنهي خدمتك في الجيش وشعر مروان بالغضب فقاطعه قائلا :
- وما دخل شهادتي وخدمتي بالجيش في أن أخطب؟! .. أم أنك تريد تعقيد الأمور كعادتك

ونظر الدكتور مالك له بغضب ، لكنه تمالك نفسه وقال له :
 - كُف عن ترديد كلام غيرك يا مروان .. واعلم أنني المسئول عنكم ولا أريد إلا
 الخير لكم .. أنا مكان والدنا الله يرحمه .. لو كان حيا ما وافق أبدا على أن تخطب في
 هذه السن

وتدخل إياد قائلا له :

- وأنا يا دكتور

- أنتَ ماذا؟

- موضوع السيارة

فنظر له الدكتور مالك قليلا ، ثم قال له برفق :

- ليس الآن يا إياد .. سيارتك لا تزال جديدة .. انتظر سنة أخرى فقط وأخذها
 أنا منك .. ثم أشتري لك السيارة التي تريدها .. أنتَ تعرف أن سيارتي قديمة جدا

فنظر إياد لمروان وقال بصوتٍ منخفض لكنه مسموع :

- كل شيء انتظر انتظر .. لقد تعبنا

وقال مروان لأخيه مالك بصوتٍ عالٍ دون خجل :

- يبدو أنك لستَ مشغولا إلا بالفقراء وإنفاق أموالنا عليهم .. لا نعرف متى

سيتوقف ذلك

فقال الدكتور مالك لهما بكل هدوء :

- تلك وصية والدنا لي .. أن أظل أساعد الفقراء .. ولن أتخلى عن ذلك .. في

أموالنا حق لهم .. إنَّ الله يحفظنا ويضاعف في أموالنا بسبب العطف عليهم ..

هداكما الله



وكان اليوم التالي هو يوم الخميس ، اليوم المخصص من كل أسبوع لتوزيع المعونات الأسبوعية لمئات المحتاجين ممن يقصدون بيته ، وقد أسند ذلك لأشخاصٍ يثق بهم .. عادت زوجته حنان من عملها عصرا ، وبينما كانت تخرج من سيارتها انطلقتُ منها نظرات غاضبة على طواير الناس المصطفة أمام البيت .. دخلتُ شقتها فوجدتُ إياد ومروان وسلي وسالي في انتظارها ، تلقتهم بابتسامة كبيرة مصطنعة .. شكوا لها أخاهم الدكتور مالك ، فأخبرتهم أنها أيضا كالعادة غير راضية عما يفعله ، وأخبرتهم بأنها سوف تساعدهم في إيقاف تلك الأموال التي تخرج من بيتهم لتضيق على الفقراء والأرامل واليتامى .. قالت سالي :

- يجب أن نطلب منه توزيع تركة أبيتنا علينا .. ولينفق عليهم من ماله الخاص .. هو حر

قالت زوجته حنان :

- لا ليس حرا .. فهو ليس ماله الخاص .. إنه مالنا أنا وبلال وحبيبة

وقال مروان غاضبا :

- المشكلة أنه سبق وذكر كثيرا أن وصية أبي له أن ينفق من أصل مالنا

جميعا

قال إياد في نبرة غير راضية :

- ربنا يسامحه .. ألم يكن يعلم أننا أولى بكل جنيه من أموالنا؟

وقالت سالي :

- علينا أن نتحدث معه بهدوء .. ونخبره بما نريد

فقالت الزوجة حنان :

- لا .. لن ينفق معه أي حديث .. اصبروا قليلا وسأجد حلالا لذلك

وفي صباح الجمعة تناول الدكتور مالك طعام الفطور مع طفليه وزوجته حنان دون أن تحدثه الزوجة في شيء خاص بضجر إخوته منه ، وطلب الدكتور مالك من المريية أم السعد الصعود لإيقاظ أخويه إياد ومروان من نومهما حتى لا تفوتهما صلاة الجمعة ، ثم خرج إلى المسجد مصطحبا معه ابنه بلال .

وأثناء الصلاة جاءت الخادمة راضية ومعها الخادمة الجديدة وعد .. فتحت المريية أم السعد لهما الباب .. ألقَتْ نظرة سريعة منها على وعد ، ودخلت راضية وحدها .. وقفت أمام مدام حنان تخبرها عن نظافة الخادمة الجديدة وأمانتها ، بينما ظلت الخادمة وعد خارج الشقة بجوار الباب ترسل أذنها بإنصات لحوارهما ، ثم أذنت لهما مدام حنان أن تدخل .

دخلت وعد على مدام حنان وهي تتعمد أن تضع عينيها على الأرض ، لا تلتفت يمينا أو يسارا ، وكانت مدام حنان تجلس واضعة قدما على الأخرى ، ومن فرط جمال الخادمة الذي لحظته حنان عندما رأتها أنزلت قدمها بطريقة لا إرادية ، وظلت لفترة تتفحصها من أسفلها لأعلىها دون كلام ، ثم سألتها :

- ما اسمك؟
- خدامتك وعد
- كم عمرك؟
- لم أصل للعشرين بعد
- يبدو عليك أنك متزوجة يا وعد
- نعم أنا متزوجة
- هل عندك أولاد؟
- لا يا مدام



- هل خدمتِ في البيوت قبل ذلك؟
- لا
- أهم شيء عندي النظافة والأمانة يا وعد .. فاهمة؟
- أكيد فاهمة يا هانم
- والتفتت مدام حنان لراضية وقالت لها :
- أظنها هنا على مسئوليتك يا راضية
- قالت راضية بعد أن ألقت نظرة على وعد :
- اطمئني يا مدام .. وعد ستعجب حضرتك جدا .. وأي تقصير منها أنا
- المسئولة
- هذا كلام جميل .. وليكن في حسابكما أنكما ستبيتان هنا يوميا .. وكل واحدة سيكون لها إجازة ثلاثة أيام كل أسبوعين بالتناوب
- قالت وعد :
- أنا موافقة على كل شيء يا مدام
- فنظرت لها مدام حنان وابتسمت ثم نظرت لراضية وقالت :
- خذيهما يا راضية وعرفيهما كل شيء
- وانصرفت الخادمتان إلى المطبخ ، وما إن دخلت وعد ، واطمأنت إلى أنهما وحدهما حتى راحت تدقق النظر في كل شيء ، وتفتح كل الأدراج ، وتتحسس بيديها الرخام وخلطات المياه وأطقم الملاعق والأطباق والأكواب الفاخرة ، وتفتح الثلاجة والديب فريزر وهي تغمغم بكلمات كثيرة ، وراضية تتابعها لعلها تتوقف عما تفعله ، فلما زادت في ذلك قالت لها وهي تتعجب من حالتها :
- وعد كُفي عن ذلك .. يبدو أنك لن تعمري كثيرا في هذا البيت



- بيت!! .. نحن في جنة لا بيت .. نحن فقراء جدا يا راضية .. جدا
- الحمد لله على كل حال
- فضحكتُ وعد :
- لم أكن أتصور أنهم أغنياء إلى هذه الدرجة
- ربنا يزيدهم .. أنا وأنتِ هنا للخدمة فقط .. هيا نلتفت لعملنا
- فقالت وعد وهي تمر يديها تحت الماء الساخن ثم تنقل الخلط للبارد :
- لماذا خُلِقَ الفقير مع الغني؟ .. لماذا هناك فقراء وأغنياء؟
- ما قصدك من ذلك يا وعد؟
- قصدى أنّ الغني وحده يكفي ، لماذا الفقر؟ لماذا المرض؟ لماذا الموت؟
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. استغفري ربنا
- ماذا فعلت حتى أستغفر؟ .. أمرك غريب يا راضية
- فصاحت بها راضية :
- والله إنّ قلة الكلام معك أفضل
- وخرجتُ الاثنتان من المطبخ إلى حجرة الخدم ، فغيرتا ملابسهما ، ولبستا ملابس عمل لا يظهر منها أنهما عجريتان ، وسُمع بالخارج صوت الدكتور مالك يتحدث إلى طفليه بلال وحبيبة ، فأصغتُ وعد لما يدور ، ثم التفتت لراضية تسألها :
- هل هذا صاحب البيت؟
- نعم هو.. دائما يحب أن يلاعب طفليه رغم كبرهما .. روحه فيهما
- ومدام حنان؟
- ما لها مدام حنان؟

- هل يحبها؟
- ما شأنك بذلك؟
- إنها ليست جميلة .. أراها امرأة عادية
- ليس شرطاً أن تكون المرأة جميلة ليحبها الرجل ويتزوجها .. الجمال ليس كل شيء يا وعد
- إذن أخبريني عن الشيء الذي جعله يتزوجها
- وعد .. تعلمي مني يا أختي أول درس في خدمة البيوت .. هو أن تكوني عمياء
- خرساء بكماء
- أنا فقط يا راضية أقول هذا الكلام بيني وبينك
- كلامك الكثير ليس علامة خير
- فقط أسألك .. ما مزايا مدام حنان تلك لتعيش في هذه الجنة؟
- الجنة يعيش فيها من يستحقها يا وعد .. ليس لها شروط كشروطك
- أرى أن الجنة لكل ما هو جميل فقط
- الجمال ليس كل شيء يا وعد .. الأهم العمل الطيب والاحترام
- فعلا الدنيا حظوظ
- وطرقتُ المربية أم السعد الباب عليهما ، وألقتُ السلام على راضية ، ثم نظرتُ لوعد وقالت :
- أنتِ .. الدكتور مالك يريدك
- فنظرتُ لها وعد بغضب ثم قالت بعجرفة :
- اسمي وعد
- الدكتور يريدك يا وعد

وابتسمتُ وعد ، واتجهتُ لمرأة التسريحة تُغْدِل من وضع ملابسها حول صدرها وأسفل ظهرها من الخلف ، وتسوي حاجبها ، ثم رفعتُ جانباً من ثوبها ومسحتُ مرات على أسنانها تلمعها بطريقة مقززة ، ثم مررتُ لسانها على شفتيها لتزيدهما حمرة ، والمرأتان ينظران لها باستهجان ، ثم خرجتُ خلف المرية .

كان الدكتور مالك يجلس ناظراً في بعض الأوراق ويجواره حبيبة وبلال ، وقريبا منهما كانت مدام حنان تجلس إلى جهاز كمبيوتر مكثي تُنهي أعمالاً خاصة بشركتها للسياحة .. رفع عينيه إلى وعد التي صوبتُ عينها إليه دون خجل وعلى وجهها ابتسامة وجرأة ، وللهولة الأولى تسمرتُ عينا الدكتور مالك عليها دون أن ينطق بكلمة لفترة ، ولم يكن هذا بسبب جمالها اللافت الأخاذ فقط ، ولكن أيضاً لشيء خفي غامض تغلغل في أعماق نفسه قاده لذلك .

يقولون إنَّ الانطباع الأول يدوم ، لكن ماذا لو كان الانطباع الأول غامضاً كما حدث مع الدكتور مالك تجاه الخادمة وعد؟ فأى شيء يدوم معه حتى تنجلي الأمور؟ .. ألم أقل إنَّ من رحمة الله علينا أن غيَّب عن الإنسان الكثير؟ .. فما دام الإنسان لا يمكنه أن يغير شيئاً ، وطالما أنَّ المكتوب على الجبين لا بد وحتماً أن تراه العين ، فإنَّ هذه الغيبات ضرورة حتمية حكيمة ، وإلا فماذا لو عرف المظلوم في أول تعارف بينه وبين ظالمه أنه سيُظلم منه يوماً؟ .. وماذا لو عرف المقتول في أول لقاء له بشخص أنَّ هذا الشخص هو الذي سينهي حياته بالقتل أو يكون سبباً له؟ .. وماذا لو عرف شعبٌ ما وهو يختار حاكماً له أنَّ اختياره هذا سيكون سبب المعاناة المفجعة التي سيظل سنينا يحيها حتى يزول؟

فشكراً للرحمن عالم الغيب والشهادة أنَّ احتفظ بعلم كل شيء من ذلك لنفسه ، وحمداً له أنَّ خلق صدمة الألم المباغته فوقانا من معاناة الألم المتواصل

في انتظار الألم القادم ، وأن خلق النسيان والصبوح حتى نتمكن من مواصلة العيش حتى حين ، وأن خلق الجنة لتكون ثمرة تلك الحياة الطويلة البائسة .
 وفتت الخادمة وعد أمام الدكتور مالك .. صارت تنقل عينها ما بين النظر له ولطفليه بجانبه والنظر في الأرض .. لم يسألها نفس الأسئلة التي سألتها لها زوجته حنان ، إنما سألتها :

- هل تحافظين على الصلاة أم لا؟
- انطلقت نظرة لها من مدام حنان بينما قالت وعد كذبا:
- طبعاً أصلي دائماً وأصوم .. وأتمنى لو أذهب للحج أو العمرة .. لكن الظروف
- إن شاء الله تذهيبين .. وإن شاء الله يروق لك العمل في بيتنا
- ربنا يكرم حضرتك .. أنتم بيت عزوكرم
- اذهبي الآن وأحضري لي كوباً من الشاي
- ونظرت وعد للزوجة ، وقالت لها :
- وحضرتك يا مدام .. ماذا تحبين أن تشربي؟
- ولا حاجة .. فقط أخبري راضية وأم السعد أنني أريدهما .. وأنتِ معهما
- وذهبت وعد فأحضرت الشاي ، وذهبت ثم عادت بزميلتها فنظرت مدام حنان
- لأم السعد وقالت : خذي حبيبة وبلال لحجرتهما ليبدلا ملابسهما
- ثم نظرت لراضية وقالت :
- وأنتِ يا راضية .. ضعي الطعام الذي جاء جاهزاً من المطعم على السفرة
- ثم نظرت حنان نظرة مختلفة لوعدها وقالت لها :
- وأنتِ يا وعد .. اصعدي للدور الثالث .. وأخبري الأولاد والبنات أن ينزلوا

(٥)

كيد النساء

لا أعرف كيف فات الدكتور مالك الأمير أن ينتبه إلى أن الخادمة الساحرة وعد قد صعدهت للأعلى ، ربما لم يسمع تلك الأوامر التي وزعتها زوجته على الخادومات ، فإنَّ بالأعلى خزائِنَ خطريْنِ يمتلئان بكثير من وقود الزيت والبنزين والكيروسين ، وما تلك الخادمة العجربة إلا عود كبرت أنثوى ممشوق القوام جاهز للإشعال والاشتعال حتى آخره ، لا شك أن ناراها ستحرق البيت كله بأقل نظرة متبادلة بينها وبين إياد ، أو حتى مروان العاشق .

خادمة شفتها كأنهما حبتان من الفراولة ، وخداها حمران يشعان حيوية وأنوثة ، وعيناها عينان زرقاوان ماكرتان ذكيتان لهما بريق ساحر مثير ، ومكر الأنثى وذكاؤها يزيدان في إثارة رغبات الرجال لكسرهما . وإنَّ منتهى اللذة والنصر عند الرجل تكون حين يقهر غرور المرأة الذكية القوية في أضعف لحظاتها بين يديه .

لكن هل تعمدت مدام حنان أن تُرسل الخادمة وعد لهذا المصير؟ .. هل تعمدت أن تُحدِّث شرخا في بنیان تلك الأسرة المستقرة ظاهرا رغم الاضطرابات الخفية؟ هل صارت وعد هي سهم حنان المسموم لبث الضعف والوهن في ثوابت الاستقرار الباقية بين زوجها صاحب الخير وأخويه الشابين الغاضبين؟

في الحقيقة أجل ، إنها تعمدت ذلك ، فلتُحدِّث بعض القلاقل لترى كيف سيتصرف زوجها الرجل العاقل الحكيم المستقيم ، ولتشاهد ما يحدث من بعيد ، لعلها تحظى ببعض الإثارة الممتعة وهي تشاهد دخان النار يرتفع في الأرجاء ، وبالطبع هي لم تعرف بعد عن وعد غير أنها أنثى جميلة .. ربما تمننت بينها وبين

نفسها أن تكون بنفس جمالها ، لكنها تعرف عن إياد ومروان مراهقتهما وشغفهما بكل أنثى .. إنها لا تنسى أبدا نظرات إياد لها ومتابعته لها ، وكم من مرة نظرتُ في المرأة حين مرورها من أمامه لتراه زائغ العينين خلف تفاصيل جسدها رغم تواضعه ! وكم من مرة عثرتُ بين صفحات كتب مروان على صور مقطوعة من مجلات جنسية ! وكم من مرة فوجئتُ بشرائط ثقافية جنسية أسفل مراتب الشابين ! وبالطبع لم تخبر عن شيء من هذا أخاهما زوجها العاقل المستقيم الدكتور مالك .

ضغطتُ الخادمة وعد على جرس الباب ، كانت سلمي وسالي بحجرتهما ، وكان مروان بالحمام ، وإياد بحجرته .. لا شك أنَّ الجميع قد سمعوا رنين الجرس ، لكن اعتمد كل منهم على أنَّ غيره سيحمل عن الآخرين عبء فتح الباب .. دقَّ الباب مرة ثانية وثالثة ، خرج إياد غاضبا من إخوته الصغار حيث لم يتطوع أحد منهم لهذه المهمة .. فتح الباب وهو يظن أنه سيرى أمامه المربية العجوز أم السعد أو الخادمة راضية الطيبة المستقيمة ، فإذا به يرى امرأة شابة لم يرها من قبل في البيت ، بالطبع هي ترتدى ثيابا يظهر منها أنها ثياب خادمة ، لكنها أنثى فاتنة الجمال في كل زي .. نظرتُ له ، وركزتُ عينها في عينيه دون خجل وقالت :

- مدام حنان تنتظركم بالأسفل .. الغداء جاهز

قال لها وهو يتفحصها :

- مَنْ أنتِ؟

- وعد .. الخادمة الجديدة

ابتسم لها وقال :

- اسمك جميل يا وعد

ابتسمتُ له وقالت :

- شكرا .. ولو سمحت لا تتأخروا يا أستاذ

أسرع وقال لها :

- إياد .. اسمي إياد

- لا تتأخريا أستاذ إياد

قالتها بدلال وانصرفتُ مع ابتسامة ارتسمتُ على وجهها عمدا منها ، وراح إياد يتابعها وهي تهبط درجات السلم في خفة حتى غابت عن عينيه ، فأسرع إلى حجرة مروان تاركا باب الشقة مفتوحا ، فلم يجده فيها ، فأسرع يجري ناحية الحمام ، وراح يطرقه طرقا متتابعًا دون انقطاع وهو يقول :

- مروان اخرج بسرعة يا مروان

وخرج مروان وعلى وجهه علامات اندهاش وذعر، وسأله :

- ما لك يا ابني؟ .. ماذا حدث لك؟

- الخادمة الجديدة

- ما لها؟

- جميلة جدا .. قشطة

وراح مروان يسأله بسرعة :

- أين هي؟ .. هل هي من كانت تدق الجرس؟

- نعم هي .. هيا استعد .. سننزل للغداء ونراها

وأسرع الشابان فأخبرا أختيهما باللحاق بهما للغداء ثم نزلا وعيناها تبحث عن الخادمة منذ فتحتُ أم السعد الباب ، وكان الطعام قد وُضِعَ على منضدة السفرة ، وكان أخوهما الكبير الدكتور مالك قد جلس بمكانه المعهود وبمواجهته

قد جلستُ زوجته حنان .. خرجتُ وعد من المطبخ في اتجاه الجالسين تحمل بعض الأطباق ، وضعتها على المنضدة وعينا الشابين يتابعانها ، ثم عادت إلى المطبخ .. سألت سالي :

- هل هذه هي الخادمة الجديدة؟

أجاب إياد وهو ينظر لمروان :

- نعم هي

نظر الدكتور مالك لأخويه إياد ومروان ثم لزوجته حنان وقال :

- يا أم بلال .. من اليوم يكون طلبنا لنزول الأولاد عن طريق التليفون .. ليس

هناك داعٍ لإرسال أحد لهم .. وإلا فما فائدة تركيبنا لخط تليفون أرضي بالأعلى؟

نظرتُ حنان لإياد ومروان وابتسمتُ ثم قالت :

- فهمتُ قصدك يا مالك فلا تقلق

وجاء يوم الخميس ، واصطفَّ الفقراء وأصحاب الحاجة أمام جراج البيت في الشارع ، وراح المختصون بتوزيع احتياجاتهم يوزعون الخيرات والأموال على الجميع ، وكانت وعد بأعلى البيت تغسل السجاد .. جذب انتباهها الأصوات والضوضاء الآتية من أسفل .. نظرتُ من سور البيت فوجدتُ طابورين طويلين أحدهما للرجال والآخر للنساء .. قالت في نفسها متعجبة : (كل هؤلاء يتسولون من بيت واحد)

وإذا بصوتٍ يأتيها من خلفها يقول :

- وعد .. علام تنظرين في الشارع؟

كان إياد هو صاحب الصوت ، يقف ممسكا كتابا ، وقطعاً خرج للسطح من أجلها ، وكانت هي قد شمّرت عن ساقها وذراعها ، وما أن رأته خلفها حتى تظاهرت بأنها تُرخي ملابسها لتغطي ما ظهر من جسدها ، وهي تعمد ألا تنزلها .. قالت :

- كنتُ أنظر على طواوير الناس بالأسفل

- إنهم يأتون هكذا كل يوم خميس

- أنتم محترمون جدا وأصحاب خيرا أستاذ إياد

- أخي الدكتور مالك يحب مساعدة الناس

واقترب منها وقال :

- عرفتُ أنك متزوجة

ابتسمتُ وقالت بصوت تعمدتُ أن يخرج منها في حسرة وحنن :

- نعم .. للأسف متزوجة .. أهلي أجبروني

- ألا تحبين زوجك؟

- قلتُ لك .. أهلي أجبروني

- امرأة في مثل جمالك يجب أن توزن بالذهب .. لا أن تُجبر على الزواج

وتظاهرت وعد بالخجل ، واستأذنته لتُكمل عملها ، وخطتُ بعيدا عنه بضع

خطوات تتقرب متابعته لها ، وبالفعل سار إياد خلفها يسألها :

- ماذا ستفعلين بعد غسل السجاد؟

- سأنزل وأساعدهم في تحضير الغداء

- أريد أن أريك شيئا .. أنا محترفة للرسم .. بدأتُ بالأمس في رسم امرأة جميلة

.. رسمتها من خيالي ثم توقفتُ ولم أستطع أن أكملها .. أريد أن أكمل لوحتي .. ولن

تكتمل إلا بك



- وما دخلي بلوحتك؟
- قالتها وهي تبتسم بدلال ، فابتسم إياد وأحس أنها تفهمه ، فشجعه ذلك على أن يقول :
- هناك مفاجأة لك .. ستعرفينها عندما تأتين
- وبالطبع أنهت وعد غسل السجاد سريعا ، ثم نزلت إلى شقة الدور الرابع .. كانت كاملة التشطيب دون أثاث ، لا يوجد بها إلا أريكتان طويلتان وبعض المقاعد القديمة وكثيرا من أدوات الرسم .
- وكان الرسام المحترف في انتظارها .. أدخلها وأغلق الباب خلفها سريعا .. أجلسها على مقعدٍ أمام رافعة اللوحة المغطاة .. طلب منها أن تغمض عينيها ، ابتسمت وقالت :
- سأغمضها لكن كُن مؤدبا
- ابتسم وقال :
- لا تقلقي
- أغمضت عينيها ، فرفع الغطاء القماشى فظهرت اللوحة .. قال لها :
- افتحي عينيك وانظري .. هل تعرفين هذه المرأة الفاتنة؟
- ونظرتُ وعد فوجدته قد رسمها ، فضحكتُ وقالت له :
- هذه أنا .. لكن اللوحة مكتملة .. كذبت عليّ وقلت أنك تريد أن تكملها
- ابتسم إياد واقرب منها وأمسك بيديها وقال :
- كنتُ أريدك أن تأتيني هنا
- تركتُ نفسها له يقرب منها أكثر . وقالت له بصوتٍ هامسٍ وهي بين يديه :
- ماذا تريد مني أيها المجرم؟

- ألا تعرفين بعد؟
 - أنتَ ولد شقي .. سأخبر أخاك الدكتور مالك
 - ماذا ستقولين؟
 - أخوك إياد المجرم يتحرش بي
 - أخبريني أولاً .. مِنْ أين أتيتَ بهذا الجمال؟
- لم تُجِب ، ونظرتُ له بدلال مع آهة وتهيدة متعمدتين ، فأطبق إياد عليها بفمه ويديه يتحسس صدرها وأسفل ظهرها ، فأفلتتُ نفسها من بين يديه ، وأسرعتُ تجري ناحية الباب ، وفتحته وخرجتُ .
- وتكررتُ هذه المرات كثيرا جدا مع كثير من التماذي في الجنس ، وفي كل مرة تتعمد وعد أن تترك إياد خلفها دون أن يروي كامل ظمأها منها ، فلم تُعْطِه كل ما يُعْطَى الزوج كاملا ، لقد كانت خبيرة ، تعرف ماذا تعطي من جسدها ، وماذا تدخر لوقت الحاجة .. هي تريده هكذا دائما حاملا شعلة الشوق لها .
- ومضى شهران على دخولها هذا البيت ، تقابل إياد سرا في شقة الطابق الرابع فتترك له نفسها بخبرة في مقدمات الجنس التي لا حدود لها لديها ، ومع ذلك فهناك دائما حد لما يستطيع أن يجنيه منها ، وهي بالطبع قد صارت ترى أن الوقت قد حان لأن تحمل طفلا ، سواء كان حملها من زوجها سالم أو من غيره ، لكنها لم تقرر بعد أن يكون حملها من إياد ، وإنها قد شرعتُ تدير بداخلها مدى الاستفادة التي ستجنيها إن حملتُ من إياد ، فلم تجد حتى اللحظة أن وراءه شيئا يغنيها أو يضعها على طريق طموحها نحو الثراء ، الثراء الكبير بلا حدود وبأي طريق وطريقة .
- ومع علاقتها الخفية بإياد ، فهي تقوم بكل أعمالها على أكمل وجه ، وتتودد كثيرا لمدام حنان ، وتتودد أكثر للدكتور مالك ، والغريب أنها ترغب فيه كرجل أكثر

من أن تجعله فريستها للثراء ، فهو الرجل الوحيد حتى الآن الذي تشعر تجاهه أنه فقط من يستطيع أن يشبعها كامرأة حتى كامل الارتواء ، لكنه كان يتجاهلها دائما ، فلم يكن الرجل يملك عين الزائفة لدرجة أنه لم ينتبه يوما لهذا التودد والتهافت منها عليه ، لكن الزوجة حنان قد لاحظت شغف الخادمة الجديدة الجميلة بزوجها أكثر من مرة . وبالطبع أرادت أن تنتظر لترى ، لعلها تستطيع يوما أن تجد من زوجها ميلا إلى الخادمة أو رغبة فيها ، فيكون ذلك سلاحها لجعله خانعا راضيا أمام سطوتها الدفينة التي لم تستطع حتى الآن فرضها عليه ، فقد كان الدكتور مالك رجلا مهتديا صاحب دين ومبدأ ، لم تفلح معه كل محاولات زوجته لكي تضعفه وتجعله يرضخ لها ، لكن منذ متى كان اليأس يهزم كيد النساء؟

عادت مدام حنان من عملها ذات يوم قبل موعد رجوعها المألوف بكثير .. كانت الخادمة راضية في إجازة .. سألت المربية أم السعد عن الخادمة وعد فقالت لها أم السعد : صعدت للسطح لجمع الغسيل

سألتها عن سلمى وسالي وإياد ومروان فقالت لها :

- إياد فقط هو الموجود

فجلست على الأريكة الملاصقة للتليفون ثم اتصلت بتليفون شقة الطابق الثالث للتحدث إلى إياد ، لكن لم يرد إياد ، أعادت الاتصال مرات ، وفي كل مرة يكون جرسا بلا رد .. أصابها الشك في شيء .. أرادت أن تتيقن ، فصعدت للطابق الثالث على الفور .. دقت جرس الباب ولا أحد يرد .. اقتربت بشكوكها من الحقيقة ، فصعدت سريعا للسطح لتتأكد من وجود وعد به فلم تجدها بالسطح ، وهنا لم يكن صعبا أن تخمن حنان ما حدث ويحدث .

كان معها نسخة من مفتاح شقة الطابق الرابع .. فتحتُ حنان الباب دون أن تُحدِث صوتاً .. لم تجد أحداً بالصالة الكبيرة .. سمعتُ أصواتاً وهسيساً وحسيساً من إحدى الحجرات .. تتبعْتُ الصوت حتى دخلت الحجرة لترى إياد ووعد عارين تماماً .. كانا غارقين .. نظرتُ لوعد وقالت :

- البسي ملابسك بسرعة واخرجي لي إلى الصالة

شعر إياد بخجلٍ شديدٍ من زوجة أخيه ، لبس ملابسه ، وظلَّ بالحجرة في حين خرجتُ وعد إلى الصالة دون أن تشعر بأي خجل .. كانت حنان تجلس على الأريكة وتنتظر لصورة وعد التي رسمها إياد ، وبدا على وجهها السخرية .. عبرتُ وعد الصالة أمامها ولم تقف عندها ، بل مرَّت تشق طريقها ناحية باب الشقة وهي تلملم شعرها وطرحتها بيدها .. قالت مدام حنان بغضب :

- توقفِي كلميني .. ما هذا الفُجْر؟

- أعرفُ أي مطرودة من العمل عندكم .. فلا فائدة من هذا الكلام يا مدام
ابتسمتُ لها وقالت برفق :

- تعالي اجلسي يا وعد .. لن أطرديكِ

وقفتُ وعد ثم استدارت ونظرتُ لها باستغراب ، وعادت ناحيتها ، ثم ظلتُ تنتظرها أن تتكلم .. ضحكتُ مدام حنان وقالت لها بسخرية وهي تشير على مكان بجوارها لتجلس :

- اجلسي يا وعد .. مؤكداً أنك متعبة

- مدام أرجوك .. ماذا تريدِين؟

ربتتُ على كتفها وقالت :

- اطمئني .. لن يعرف أحد بما حدث

ثم نادت على إياد أن يخرج ، فخرج مطأطء الرأس ، يوارى عينيه بعيدا عنها ،
قالت له :

- ارفع رأسك يا إياد .. لا تقلق .. لن يعرف أحد بما حدث بينكما .. لكن لا
تفعلا ذلك مرة ثانية .. ماذا لو حملتُ وعد منك؟

وأراد إياد أن يتحدث لكنه شعر بالخجل فسكت ، بينما قالت الخادمة وعد :

- لا تقلقي يا مدام .. لم نصل لهذه الدرجة

فضحكتُ مدام حنان ثم قالت لهما بسخرية :

- الله عليكما يا حلويين

ونظرتُ لإياد وما زالت تضحك ثم طلبتُ منه أن يتركهما وحدهما ويهبط لشقته

، وبالفعل ظلَّت وعد وحدها مع مدام حنان تدير بداخلها ما تريده المدام منها ،
وقالت حنان لها بكل جرأة دون مقدمات :

- ما فعلته مع إياد أريدك أن تفعليه مع زوجي الدكتور مالك

وانتفضتُ وعد واقفة وقالت لها :

- ماذا تقولين؟

- قلتُ ما سمعته .. أريدك أن تنامي مع زوجي

- لماذا تطليين مني ذلك؟

- لا تسألي .. فقط عليك أن تغريه بجمالك لينام معك ثم آتي وأضبطكما كما

ضبطتكم مع إياد .. سأدفع لك بعدها ألف جنيه .. ثم تتركين عملك عندنا

- أنا لا أستطيع أن أفهم سبب طلبك هذا يا مدام

فصاحتُ بها مدام حنان قائلة :

- عليك أن تنفذي ما أمرك به فقط وإلا ستصل فضيحتك حتى زوجك

فضحكتُ وعد وقلت لها :

- مدام حنان .. أنا لا يهمني زوجي .. فلا تهدديني به .. بكل صراحة أنا سأنفذ طلبك فقط لسببين .. الأول الألف جنيه .. ثانيا لأني أريد فعلا أن أنام مع زوجكِ وهنا نظرتُ لها مدام حنان بغیظٍ واستغرابٍ وقلت باسمه :

- أعرف ذلك أيتها العاهرة .. فعينك تفضحك منذ دخلت هذا البيت .. نفذي ما أمرتك به واستمتعي بزوجي مرة حتى تشبعي ثم فارقينا .. هذا فقط ما أريده منك

وبالطبع فقد فكَّرتُ الخادمة وعد كثيرا في السبب الذي يدفع مدام حنان لأن تدبر ذلك لزوجها ، وقررتُ ألا تبدأ مهمتها الموكلة إليها إلا بعد أن تصل للسبب ، وبعد تفكير لم يطل كثيرا فهمتُ بذكاؤها وقوة ملاحظتها منذ جاءت إلى هذا البيت أنَّ الزوجة دائما غير راضية عما يقدمه الزوج للفقراء ، وغير راضية أن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة في كل شيء ، وغير راضية عن طريقة تربيته لطفليه .. نعم قد فهمتُ الخادمة الجريئة شخصية الزوجة الماكرة الراغبة في التحرر والانطلاق بعيدا عن أية قيود أو تعقيدات من زوجها ، وراحت الخادمة تحسب كل شيء قبل أن تبدأ المهمة .. ماذا ينفعها؟ وماذا يضرها؟ .. وأخيرا قررتُ ما ستفعله ليصب بالنهاية في منفعتها ويخدم طريق طموحها المملوء بالشر نحو حُلْم الثراء .

انتظرتُ يوما خرجتُ فيه مدام حنان لعملها مبكرا بعد أن هيأتُ لها كل شيء لتبدأ المهمة التي أسندتها لها لإغواء زوجها .. وبالطبع كان الطفلان بلال وحبيبة قد خرجا للمدرسة ، وخرجت المربية أم السعد لرؤية أولادها كعادتها كل يوم في هذا الوقت .

كان الدكتور مالك وحده بالشقة ، وكان قد استيقظ من نومه وتوضأً وصلى صلاة الضحى ثم دخل مكتبه وانشغل في عمله الخاص بحسابات المحلات والتجارة ، وقبل أن ينادي الخادمة لتحضر له الشاي كانت قد أحضرته ودخلت به عليه في مكتبه .. وضعت الشاي أمامه ثم ظلت واقفة تنظر له ، انتبه إلى أنها لا تزال واقفة .. رفع عينيه لها وقال :

- ماذا بكِ ؟ .. ما الذي يوقفك هكذا؟

فابتسمت له وقالت :

- أنت

أسرع يقول مندهشا :

- أنا؟! .. ماذا تقصدين؟

انخرطت في البكاء ، فوقف وأشار لها من مكانه أن تجلس على المقعد المواجه ،

فجلست وجلس .. سألها :

- لماذا تبكين؟

لم ترد ، إنما استمرت في بكائها ولم تنطق ، فقال لها يخبرها بخبر ظن أنه

سيسعدها :

- اهدأي اهدأي .. لقد وضعتُ اسمك ضمن مَنْ سيخرجون للحج هذا العام

على نفقتي

فتوقفت عن البكاء ، وتظاهرت بالسعادة وقالت له :

- أنت رجل طيب جدا يا دكتور .. لم أزمثك في حياتي

ضحك وقال بكل رفق :

- شكرا لكِ يا

- اسمي وعد .. خدماتك وعد
- أعرف لكن أئن تنجبي ولدا نناديك باسمه؟ .. أم أناديك باسم زوجك يا أم
- سالم
- فضحكتُ وقالت في سعادة حقيقية :
- هل تعرف اسم زوجي؟ .. يا لحظك يا سالم!
- هيا أخبريني عما كان يبكيك
- وهنا صمتتُ وعد لفترة ثم قالت له وهي تستجمع شجاعتهما :
- مدام حنان زوجتك
- ماذا فعلتُ لكِ مدام حنان؟
- لم تفعل لي شيئاً .. إنما
- أكملني كلامك .. أسمعك
- ونظرتُ له وقالت :
- زوجتك غدارة
- فأسرع الدكتور مالك صانحاً :
- ماذا تقولين؟!
- أقول إنَّ زوجتك طلبتُ مني أن
- أكملني
- طلبتُ مني أن أجعلك تنام معي
- وانتفض الدكتور مالك في مكانه وهو يقول لها :
- هل أنتِ مجنونة؟!



فعادت تبكي وهي تردد وسط ذهول الرجل :

- كنتُ أعرف أنك لن تصدقي .. لذلك كنتُ مترددة هل أخبرك بحقيقة زوجتك أم لا

- وعد .. هل أنتِ واعية لما قلتِ؟!!

- نعم .. ويمكنك أن تتأكد من ذلك بنفسك .. سأجعلك تسمع بأذنيك ما أخبرتك به

- كيف؟

- بأية طريقة .. المهم أني سأجعلك تسمع غدرها بك وهي تحدثني عما تريدني أن أفعله معك

وصمت الدكتور مالك لفترة ثم قال لها :

- أنا موافق يا وعد .. لكن لو ظهر أنك تكذابين فلن أرحمك

- اتفقنا يا دكتور

وفي مساء هذا اليوم أثبتت وعد بالفعل غدر الزوجة بزوجها ، وبدأ ذلك بأن همست وعد لمدام حنان أنها تريد أن تخبرها بشيء هام طارئ ، وأنها ستنتظرها في شقة الطابق الرابع ، وعليها أن تصعد خلفها سريعا ، وبالفعل صعدت المدام خلف الخادمة ، وكان الدكتور مالك قد صعد قبلهما واختبأ بالاتفاق مع وعد وراء باب مفتوح لأقرب حجرة إلى الصالة الكبيرة .

دخلت المدام ، وتعمدت وعد أن تقف أكثر قربا للحجرة التي بها الزوج مالك ، كما تعمدت أن ترفع صوتها وهي تتحدث .. قالت مدام حنان :

- هيا قولي يا وعد .. ماذا فعلت مع زوجي بالأمس؟

- اطمئني فعلت كل شيء أمرتني به

- احكِ لي كل شيء بالتفصيل .. بالتفصيل الممل
 - دخلتُ عليه بالشاي في مكتبه .. ووضعتُه أمامه ثم وقفتُ وبكيتُ فوقف
 وجاء ناحيتي .. وسألني عما يبكيني .. فنظرتُ في عينيه وزدتُ في البكاء .. فمدَّ يده
 ليربت على كتفي .. فاقتربتُ منه ووضعتُ رأسي على صدره .. وطوقته بيدي ، فترددتُ في
 البداية وتمنَّع قليلا ، ثم ضمَّني لصدره وراح يرفع وجهي إليه وقبلني في وجهي ..
 فأسرعتُ أقبله في وجهه وعلى فمه كثيرا .. ثم أطبق بشفتيه على شفتي .. وهنا قررتُ
 أن أتركه فورا

- لماذا لم تكلمي معه؟!

- تعمدتُ ذلك لنكمل كل شيء حتى النهاية في مرة تالية تكونين مختبئة فيها ،

فتضبطينا

ابتسمتُ لها حنان وقالت في ذهول كأنها تتحدث إلى نفسها :

- بكل هذه البساطة يا دكتور مالك تفعل ذلك !! .. أين مبادئك يا رجل
 الدين؟! .. وآه منك يا وعد أه! .. أنتِ شيطانة .. بل إنَّ الشياطين يتعلمون منك ..
 استطعتُ أن تغوي الملاك البريء
 وابتسمتُ وعد وقالت :

- المهم عندي الآن الألف جنيهه يا مدام مقابل أتعابي .. لا تنسي ذلك .. يتبقى
 فقط مرة أخرى أجعله يخلع ملابسه كلها .. وتأتي لتريه بنفسك
 - أريد ضبطكما في وضع خليع جدا يا وعد .. هل تفهميني؟
 - اطمئني .. سنفعل كل شيء يا مدام .. ما رأيك أن تصوريني معه فيديو؟
 - يا لفجرك يا وعد .. ألا تخافين من الفضيحة؟
 - فضيحتي مع زوجك الدكتور مالك شرف لي يا مدام



- وعد .. هل صورت فيديوهات مع أحد قبل ذلك؟
 - لا
 - فلماذا تريدتها مع الدكتور مالك؟
 - لأنذكري لحظاتي الجميلة معه دائما يا مدام
 - هل تحبين أكثر .. المال أم معاشره زوجي؟
 - أحبُّ الاثنين
 - هو لك يا وعد .. نامي معه حتى تشبعي .. ثم تعالي لأعطيك أكثر من الألف جنيه .. لكن كما قلت .. اجعليه يخلع كل ملابسه
 - سيحدث يا مدام .. لا تقلقي
 - سأحطم غروره وكبرياءه وأذله دائما بتلك الفضيحة .. ولن أجعله يضيع أموالنا بعد ذلك
 - أه منك يا مدام .. لست وحدي الشيطانة
 - ماذا تقصدين يا وعد؟!
 - أقصد أنك غادرة لا تستحقين زواجا كالدكتور مالك
 - هل جننت؟!!
 - بل أنتِ
- ونظرتُ لها حنان بعينين بارقتين متعجبة ، لكن في نفس اللحظة خرج الدكتور مالك من مخبأه إلى الصالة ، وقد سمع كل شيء ، وكان الدهول يسيطر على كل ملامحه ونظراته ، وما أن رآته حنان حتى كادت تقع على الأرض من الصدمة ، ولم تتحملها قدمها فاستندت على الحائط بجانبها ، واتجه الدكتور مالك ناحيتها وصفعها على وجهها صفعة قوية وهو يردد في حالة هستيرية : لماذا؟! .. لماذا؟!!

(٦)

فيلا أحلام المصري

انتقلت الخادمة وعد لتخدم في بيت آخر في حي المرعشلي بالزمالك ، وكانت الزمالك في ذلك الوقت لا تزال تحتفظ قليلا برقمها وطبيعتها الأرستقراطية الثرية قبل الزحام والضجيج .. يظهر ذلك جليا في تلك الأسرة الثرية جدا ، والتي لا تعدو أكثر من شخصين ، الزوج المهندس صاحب الأربعين عاما ، وصاحب أكبر شركة من شركات البترول معتصم شرف الدين ، وصاحب أكبر قرية سياحية بالساحل الشمالي ، وصاحب عقارات أخرى لا حصر لها ، وزوجته الرقيقة مهندسة الديكور أحلام المصري التي تصغره بأكثر من خمسة عشر عاما .. يروحان ويجينان جيئة وذهابا في هذه الفيلا الكبيرة التي تزيد على سبعمائة متر والأشبه بالقصر .. طرقا أبواب الكثير من الأطباء في الداخل والخارج من أجل الإنجاب فأخبرهم أكثر من طبيب بأنه ليس هناك من سبب يمنع كل منهما من الإنجاب .. خمسة أعوام منذ تزوجا على هذه الحال .

وكانت الخادمة وعد قد تم طردها .. والغريب أن من طردها هو الدكتور مالك الأمير نفسه بعد أن تأكد من العلاقة الأثمة التي دارت تكرارا بينها وبين أخيه إباد ، وطرد معها الخادمة الأخرى راضية ، فهي من اصطحبت وعد إلى هناك ، والأغرب من ذلك أنه لم يُطلق زوجته حنان حفاظا على طفليه بلال وحبيبة ، أراد لهما أن يتربيا في كنف والدين .. وهو بذلك قد أخطأ خطأ السنين عندما أبقى على حنان بيته تنخر في جوانبه ، وقد ساءت العلاقة كثيرا جدا بينهما لدرجة لا تطاق ، كما

ساءت أيضا علاقته بإخوته ، هؤلاء الذين اصطفوا جميعا ضد أخيم في صف الزوجة الشريرة الطاغية .

ودخلتُ الخادمة العجورية وعد المحروس البيت الثري الجديد من طريقٍ آخرٍ غير طريقٍ راضية .. ارتدتُ قناعا ملائكيا ناصع البياض منذ دخلته لتخفي روحها الشيطانية حتى استطاعت أن تنال ثقة مدام أحلام .. كانت هي الخادمة الوحيدة في هذه الفيلا الواسعة ، لكن سيدة الفيلا كانت تُضطر أحيانا لاستقدام مَنْ تساعدها في أوقات العزائم والحفلات .

وبالطبع فإنَّ وعد لا تنسى أبدا حُلْم الثراء ، إنها لا تزالُ تحتفظ بشرها خفيا في داخلها ، ووجدتُ بذكائها أنَّ هذا المكان هو غايتها التي تريدها ، لكنها أرادت أولاً أن تغرس قدميها في هذا البيت غرسا ماكرا ذكيا يصير مثمرا لها في المستقبل ويدوم مع الدهر وتقلبات الأيام ، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى رسختُ رسوخا يرضيها ، فلتبدأ إذن مرحلة نثر البذور في هذا الجو الممطر بالغفلة والطيبة والثقة العمياء .

بدأتُ الخادمة تنسج خيوط شباكها حول الزوج المهندس معتصم شرف الدين .. تنتهز كلَّ انشغال لزوجته عنه لتقترب خلالها من الرجل وتملأ الفراغ الذي تركته ، وما أكثر انشغال الزوجة ! ، إنها رغم ثرائها كانت تحب عملها جدا ، وتقضى وقتنا طويلا فيه ، لهذا صارت تُهمِل زوجها كثيرا ، حتى وقتها المتبقي من وقت العمل كانت تغرق خلاله في قراءة الروايات والأشعار بمجرد أن تدخل حجرة نومها ، وبهذا تركتُ الزوجة الغافلة زوجها الطيب صيدا سهلا ثمينا للخادمة العجورية .

وكان المهندس معتصم قد انتبه مبكرا لنظرات الخادمة له ، وقد كانت نظراتها ساحرة تحمل شعاعين ، شعاع الجنس مع شعاع الرومانسية ، تُرسل النظرات محملة بأروع ما يكون من اللفتات والتهديدات مع تعبيرات من وجهها تُوجع كل ذرة

في كيان الرجل بنار الشوق لها .. كانت خبيرة في أن تنشر نشوة الرغبة في كل خلجات شعوره .. كانت تزلزل جسده زلزلة لا يستطيع أمامها إلا أن يقول لها : (لبيك لبيك) .

وكانت زوجته أحلام مع ذلك فائقة الجمال ، وكانت رومانسية جدا ، وهو يحب الرومانسية كثيرا ، لكنَّ أسوأ شيء أن ينثر الشخص الرومانسي رومانسيته في الخيال أو الحرام مع أنَّ الواقع والحلال أحوج إلينا ، وبكل أسفٍ ، فكم من كاتبٍ رومانسي ينظم بقلمه أروع الكلمات على ألسنة أبطال رواياته ، لكن لسانه يعجز في الواقع عن أن ينطق كلمة منها لأقرب النساء إليه ، زوجته حليلته .

عقد الشيطان اللعين لسان الزوجين الرائعين كزوجين عن بعضهما ، فأهملتُ الزوجة الرومانسية زوجها ، وأهمل الزوج الرومانسي زوجته ، فبرزت لهما خادمة الشيطان الشريرة ، وخرجت إلى طريق الزوج بلسانها الحلو في الظاهر وقلبيها الماكر في الخفاء وعقلها المدبر لكل الشرور لتحول هذا البيت الثري الهادئ إلى حالٍ لا يصدقها عقلٌ بشري .

وكانت ثقة أحلام في زوجها لا حد لها ، لكن وأسفاه ، فكم من مواضع ثقة توضع في غير مكانها ! .. كانت تتركه كثيرا بتلك الفيلا الفخمة ذات الأثاث والفراش الأثير مع تلك الخادمة كاملة الأوصاف الجسدية ، ولم يخطر على بالها يوما أن يخونها زوجها ، فتسلمته الخادمة وتعهده .. أكلا سويا على منضدة السفرة المطرزة جوانبها بالذهب الحقيقي ، وشربا سويا أعتق الخمر بأفخم الكؤوس الفرنسية ، وناما سويا بكل أسرة حجات الفيلا المكيفة .. قبَّلها في كل مكان بجسدها ، واحتضنها حتى اعتصرها واعتصرته ليخرج لكل منهما من الآخر كلُّ طاقات الجنس المكبوتة .

لقد عاشرها أكثر من مرة حتى النهاية حتى جاءته ذات يوم تخبره بأنها حامل ،
فقال لها في هدوء :

- وماذا في ذلك؟!

قالت له :

- أنا حامل منك

فارتجَّ معتصم في مكانه مذعورا وقال لها :

- مَنْ أدراكِ أنه أنا؟ .. ربما يكون من زوجك

- أنا حامل منك .. أنا متأكدة

- كيف وزوجتي لم تحمل مني لسنوات؟

- يا باشمهندس إنَّ الذي في بطني هو ابنك .. عندما يأتي يجب أن تعامله

كابنك

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنَّ ابنك له عليك حقوق .. لن يكون أبوه بهذا الغنى ثم أربيه مع

أولاد المتسولين

- هل أصابك الجنون يا وعد؟

- بل أصابني حبك حتى حملتُ منك

- أنا لا أصدق ما تقولين .. ولا تتحدثي عن الحب .. نعرف سويا أنَّ ما بيننا

ليس حبا

وفكرت وعد قليلا ثم قالت :

- عموما .. سننتظر حتى أضع الطفل .. وسنرى إنْ كان يشبهك أم لا لتتأكد

أنه ابنك

- ولماذا تنتظري لتضعيه؟ .. يمكنك أن تقومي بعملية إجهاض .. لي صديق طبيب.....

- لن أعمل عملية إجهاض يا باشمهندس .. سوف أكمل حملي

وشعر المهندس معتصم شرف الدين بفجيرة كبرى ، وتعقّدت حياته ، وبدأ يشعر بالخطر الكبير على سمعته ومكانته عند زوجته وأخيه وأخته ومعارفه ، وبدأ يشعر بكيد تلك الخادمة ، وظلّ لا يصدق أنّ من في بطنها ابنه حتى فاجأته زوجته أحلام بعد هذا اليوم بأسبوع أنها أيضا حامل .

وبالطبع كانت فرحته لا حد لها بحمل زوجته أحلام ، وكان همه وقلقه إلى جوار ذلك لا حد لهما بحمل خادمته وعد ، فقد بدأ يميل كثيرا إلى أنها صادقة ، فكانت حيرته لذلك شديدة .

أما الخادمة وعد فقد كانت على يقين كبير من أنّ من في بطنها منه وليس من سالم ، وهي رغم شدة شرها وكذبتها لم تكذب في ذلك ، فسالم لم يعاشرها منذ فترة ، ثم إنها تشك دائما في قدرة زوجها سالم على الإنجاب ، وإنها كانت دائما تشك في كذب صباح زوجة سالم الثانية .. إنها لم تصدق يوما أنّ تلك البنت التي أنجبها صباح لسالم ابنته ، وهي دائما تتعامل مع صباح على أنها خائنة لسالم وابنتها من حرام ، لكنها تعمدت ألا تظهر لها أي شيء من شكوكها إلا في اللحظة المناسبة .

وعلمت وعد أنّ مدام أحلام حامل ، ففرحت لذلك كثيرا فرحةً تفوق فرحة الزوجين ، إذن فالمهندس معتصم قد صار قادرا على الإنجاب ، وما جعل زوجته الحلال أحلام حاملا منه هو ما جعل خادمته وعد حاملا منه أيضا . وإن كانت في الحرام ، إنه بذلك سيصير أقرب كثيرا لأنّ يصدق أنّ حمل وعد منه لا من زوجها ،

وبالفعل فقد تحدثتُ له وعد في ذلك ذات يومٍ بينما كانت زوجته المهندسة الشابة المخدوعة خارج الفيلا.. قالت له :

- أظنك الآن قد صدقتَ أنَّ مَنْ في بطني منكَ

ورغم بقايا من الشك وكثير من القلق راح يقول لها :

- نعم أنا أصدقك

- إذن كيف ستصرف؟ .. كيف ستؤمن حياة ومستقبل ابنك؟

نظر لها المهندس ، وظلَّ لوقتٍ طويلٍ يفكر ثم قال :

- لا تقلقي .. فإنَّ جاء ووجدته يشبهني وشعرت أنه ابني سأجري تحليلاً معيناً

لأؤكد من أُنِّي أبوه .. ثم سأكتب له من ثروتي ما يؤمن له مستقبله

وهنا غمرتُ السعادة وجه وعد ، وارتمتُ عليه تقبله وتحضنه ، ثم أخذت

بيده واتجهتُ ناحية إحدى الحجرات بالفيلا ، وخلعتُ أمامه كامل ملابسها ، ثم

نزعت ملابسه قطعة قطعة وهي تنظر في عينيه نظرات إثارة تجيدها كثيراً ، وغاصا

في بحر الحرام الذي عرفاه معا .

وشعرتُ وعد بعد ذلك أنها اقتربتُ كثيراً من تحقيق طموحها ، فراحت تفكر

فيما يمكن أن يكتبه المهندس لابنها منه .. إنه يمتلك أموالاً وأملاكاً كثيرة ، وهو

يملكها وحده رغم أنَّ له أخاً وأختاً أكبر منه ، لا يمتلكان ربع ما يملكه ، لذلك

فإنهما دائماً طامعان فيه . وقد أحزنهما كثيراً إلى درجة كبيرة لا توصف أن صارت

زوجته أحلام حاملاً .

(فيا لحظك السعيد يا وعد! .. ستكون العجربة وعد صاحبة أموالٍ وأملاك ،

لكن لا يجب أن يستحوذ ابن أحلام على أكثر من ابنك .. هذا أبوه معتصم شرف

الدين ، وهذا أبوه معتصم شرف الدين .. لكن طفلي صاحب الحظ الجميل

الواعد بأي اسم أب سيُكتب؟ .. بالطبع سيُكتب باسم سالم .. لا يصح أن يكتبه المهندس معتصم باسمه .. إنني متزوجة من سالم .. لكن هل من مصلحتي أن تعرف أحلام؟ .. بالطبع لا .. إنَّ كل عائلتها مقامات عالية وأشخاص بكلمة منهم يرمون بي وراء الشمس الحارقة .. إذن ليظل الأمر سرا بيني وبين عشيقتي معتصم حتى أرى ما سيفعله ثم أقرر .. فربما أقذف بهم أنا وراء الشمس أو أخفيهم تحت التراب)

كانت تلك تساؤلات الخادمة وعد داخل نفسها .. لم تترك كبيرة أو صغيرة إلا وفكرتُ فيها ، وحسبتُ لكل شيء ألف حساب ، ورغم يقينها فكرتُ في أن يكون هناك احتمال ولو بنسبة ضعيفة جدا أن يكون مَنْ في بطنها ابن سالم ، فأفزعها هذا الاحتمال في البداية ، ثم قالت لنفسها : فليكن ابن سالم .. لا يهم ذلك .. المهم أن يُلصق المولود بالمهندس الثري ، لكن ما ظلَّ يُفزعها حقا هو أن المهندس الثري أخبرها أنه سيجري تحليلا ليتأكد من كون الطفل ابنه ، ولم يَطلُ تفكيرها حتى اهتدتُ لتدبير شر مُحكم يُخرجها من مخاوفها ، وإن كان تحقيق بعض جوانبه صعبا .

رأتُ العجربة وعد أنه من السهل لديها أن تُفنع المهندسَ معتصم بأن يجعلها تلد طفلها في نفس المكان الذي ستلد فيه زوجته أحلام ، وإنه ليفعل ذلك خدمة لها لأنها خادمتها الأمانة الوفية ، ومن المحتمل أن تلد أحلام طفلها أيضا في نفس الأسبوع ، فلتخطط لكل شيء بمساعدة أمها أو حتى صباح لتبديل الطفلين .. تأخذ هي ابن أحلام ليُجري عليه أبوه المهندس ما يشاء من تحاليل ستثبت قطعا أنه ابنه ومن صلبه ، ولتأخذ أحلام طفل وعد ليعيش في النعيم الذي سيبدأ بمولده دون

أن ينتهي ، ويوما ما بعد أن يرث الأموال والأموال التي لا آخر لها تخبره أنها أمه الحقيقية ، وتغرق معه في النعيم .. يا إلهي! .. إنه حقا والله تديبٌ عبقرى لا يخرج إلا من امرأة عجيبة شيطانة كأنها من جهنم .

لكنَّ الطبَّ الآنَ تقدم ، وصار الناس يعرفون نوع الجنين ذكرا أم أنثى قبل الولادة بشهور .. وما المشكلة في ذلك؟ .. لقد وجدت الشيطانة وعد الحلَّ لذلك أيضا .. ستنتظر حتى تُعْلِن المهندسة أحلام عن نوع جنينها لتُعْلِن بعدها أنَّ جنينها هو نفس النوع ولدا كان أم بنتا ، لكن إن حدث وكان نوع الجنينين مختلفا ، فمن السهل وقتها أن تجد مخرجا لذلك .

فيا لكيد تلك الخادمة! .. لم تترك شيئا للصدفة .. إنها تعلم أنَّ الضربة ضربتها ، إما أن تضربها ضربا موجها دقيقا حاسما صائبا فتجني الكثير ، وإما أن تخيب فتخسر كل شيء لتبدأ من جديد ، حتى أنها فكرت في أنَّ المهندس الثري لا شك الآن يعيش في قلقٍ شديدٍ خوفا من أن يفتضح أمره بين أسرته ومعارفه الأثرياء ، وقد يقوده قلقه هذا إلى التفكير في التخلص منها بمن في بطنها ليمحو عاره ويجتث جذور فضيحته قبل أن تجتثه .. تعرفُ أنه قد يفكر في قتلها ، لذلك فقد انتبهت كثيرا لذلك .. حتى أنها قد امتنعت عن الاختلاء به إلا بحساب .

وكان المهندس الثري قد أعدَّ لقتل عشيقته الخادمة العجيبة بالفعل ، فكلف مسعود سائقه الخاص المخلص له غاية الإخلاص أن يستأجر سيارة ويدهسها بالطريق ، وليجعل الأمر يبدو كما لو كان حادثا عابرا ، وبهذا ينتهي كل شيء يقلقه . وبينما كانت وعد الخادمة تمشي بجانب الطريق لتصل من شارع الفيلا إلى شارع عمومي ، جاءت من خلفها سيارة مسرعة ، تعمَّد مسعود أن يدهسها دهسا قاتلا ، لكن صدر عنها فجأة التفاتة لا إرادية ، فرأت السيارة المسرعة فصعدت

فوق الرصيف في سرعةٍ وخفةٍ وارتمتُ جانبا .. اصطدمتُ السيارةً بالرصيف ثم بشجرةٍ حطمتُ مقدمتها وتحطمتُ عظام السائق دون أن تُصاب الخادمة بأذى .

قالت الماكرة وعد للمهندس معتمص عندما عادت إلى الفيلا سالمة :

- ابنك الذي في بطي نجا من الموت اليوم بأعجوبة

نظر لها المهندس وتظاهر بالانشغال في قلبه كوب الشاي :

- ماذا حدث؟

- مجرد حادث

- أي حادث؟

- سيارة طائشة يقودها شخص أعمى القلب والبصر.. كان سيدهسني

فقال المهندس متظاهرا بالود :

- أريدك أن تحذري على نفسك يا وعد .. دائما امشي على الرصيف

- هل تخاف عليّ أم على ابنك؟

- هل هذا سؤال؟ .. بالطبع أخاف عليك .. وأخاف على الطفل

- أتمنى ذلك

وجلستُ وعد بجواره ، واقتربتُ منه ، وراحت تعبتُ ببقايا شعره فوق مقدمة

رأسه .. قالت :

- أرجو أن يشمك طفلا كثيرا لأظلم أنظر له في كل وقت كأنني أنظر لك

فنظر لها وقال مبتسما :

- هل معنى ذلك أنك تحبيني يا وعد؟ .. أنا أظنُّ أنّ ما بيننا مجرد

فضحككُ وعد ضحكة خفيفة وقالت كاذبة :

- بالطبع أحبُّكَ يا معتصم .. وإلا فلماذا فعلتُ معكَ ما فعلت لدرجة أنْ أحمل منك؟

- لا أعرف

- لكني أعرف أنك نادم كثيرا .. لكن اطمئن فقد هانت .. خمسة أشهر وأضع لك طفلك ثم تتأكد أنه منك .. ثم تكتب له من أملاكك ما يؤمن مستقبله .. ثم أخذه ونخنتي من حياتك للأبد

- فعلا أتمنى أن ينتهي كل شيء سريعا سريعا على خير دون أن يعلم أحد

وكانت الزوجة المسكينة أحلام تعيش حياتها الرومانسية الحاملة وحدها مع طفلها القادم ، فرحت كثيرا لحملها ، وبدأت أكثر تقربا لزوجها ، بل زاد حبها للخادمة وعد كثيرا .. ترى فيها وجه الخير ، فقد كان قدموها إلى الفيلا للخدمة قدوما سعيدا عليها ، إذ حملت بعد سنواتٍ وحرمانٍ من نعمة الأطفال ، وصارت تنتظر بشغفٍ اليوم الذي تحمل فيه فلذة كبدها بين يديها .. هيأت له كل شيء ، وهيأت أيضا للحامل الأخرى معها الكثير ، لدرجة أنها كانت تأخذها معها لمتابعة حملها عند نفس الطبيب .

وبالطبع أقلق ذلك وعد ، فكيف ستكذب بشأن نوع من في بطنها ليكون كمن في بطن أحلام ، لكن قلقها لم يطل ، فسرعان ما جاءت البشائر من الطبيب تعلن أن من في بطن أحلام ولد ، ومن في بطن وعد ولد .. فبا لجمال تلك البشائر التي هبَّت على سمع الخادمة وعد!.. ويا لسعادة تلك الشيطانة الغجرية التي جاءت من جهنم بكل شرومكرا! .. ويا لسوء ما ينتظره هذا البيت الهانيء السعيد!

(٧)

داخل مستشفى الولادة

يا لتديبير الأقدار! .. في مستشفى خاصة كبيرة من أرقى وأعلى المستشفيات تحدد موعد ولادة المرأتين ليكونا في توقيتين متقاربين كثيرا .. سيُجري الطبيب عملية الولادة أولا للخادمة وعد ، ثم ينتقل بعدها بساعاتٍ قليلة ليُجري عملية الولادة للمرأة الثرية أحلام المصري ، وبالطبع سيكون زوج صاحبة الفيلا المهندس معتصم موجودا ، في حين لن يحضر زوج خادمة الفيلا سالم الساعاتي ، لكن زوجته الثانية صباح سوف تحضر ، فقد أخبرتها وعد بخطتها لتبديل الطفلين ، وأملت عليها أكثر من مرة ما يجب عليها فعله بكل حذر ودقة ، ووعدها بأموالٍ كثيرة نظير هذا الإجماع الخطير ، فوافقتها في كل شيء ، وستتواجد أيضا العجربة أطفاف والدة وعد ، فحتما ستفيد خبرتها في الكثير ، وحتما قد أخبرتها ابنتها الأثيرة وعد عن قصة حملها من الرجل الثري .

أما كيف وافقت صباح الخادمة وعد في كل شيء؟ ، فهذا يعود إلى دهاء وعد وأثواب صباح الملوثة بالخيانة لسالم كوعد تماما ، وإنَّ هذه الأمور الشيطانية عند وعد وصباح هي أمور عادية ، فالشر الذي تجذرت جذوره في أرض بعض البشر كهؤلاء العجزة قد فاق كل حد ، ولا ينبت غرس خير ويطول ويثمر ، إلا وينمو بجواره غروس من الشر الدفينه تبغي أن تثمر شرا أكثر ، لكن يشاء الله القدير الحكيم أن يجعل غراس الخير بالنهاية تغطي بظلالها كل شر .

كانت الماكرة وعد قد اختارت اللحظة المناسبة التي تخبر صباح بشكوكها حولها لتضغط عليها حتى تشاركها بتدبيرها الإجرامي ، وأن تُبقي الأمر سرا ، فقالت لها لتجبرها على أن تساعدها :

- ابنتك زهرة يا صباح .. أنا أعرف أنها ليست بنت زوجنا سالم وفوجئتُ صباح بكلام وعد فسارعت تقول :
- اخربي .. ماذا تقولين؟
- أقول الحقيقة
- ومَن أدراك أنها الحقيقة؟
- صباح .. أنا أعرف كل شيء فلا تُنكري
- أنتِ لا تعرفين أي شيء
- بل أنا أعرف ما لا يخطر على بالك .. الطب تقدّم يا صباح .. ويمكن لسالم الآن عمل فحوص وتحاليل بسيطة .. ليعرف إن كانت زهرة ابنته أم ابنة رجل آخر
- هو حر .. فليذهب ويفعل ما يشاء
- إن فعل سيعرف أنه لا ينجب .. ستكون مصيبة عليكِ وعلى
- وصمتت قليلا ، وصمتت صباح أيضا وهي تفكر في جملتها الأخيرة وتنظر إلى بطن وعد ، فقالت وعد :

- علام تنظرين؟ .. سالم لا يُنجب يا صباح وأظنك متأكدة من ذلك فضحكتُ صباح كثيرا وأشارت على بطن وعد وقالت :
- والله كنتُ أشعر بأنّ من نفخك هكذا ليس سالم
- أجل ليس سالم
- من إذن يا وعد؟

- رجل غني جدا

قالتها هكذا بكل بساطة وجرأة جعلت صباح تصارحها هي أيضا بالحقيقة ، فأخبرتها أنّ زهرة فعلا ليست ابنة سالم ، إنما كانت مجرد غلطة مع عشيق لها ذهب لحال سبيله ، فقالت وعد :

- لا يهمني إن كان ذهب لسبيله أم ما زال يعاشرك .. لكن ما يهمني فعلا هو شيء أهم من ذلك بكثير وأريدك أن تساعدني فيه وسكنت صباح قليلا ثم قالت بكل حماسة :

- أنا تحت أمرك يا وعد .. أنا معك .. لكن احك لي بالتفصيل كل شيء وحكّت العجربة وعد للعجربة صباح القصة كاملة ، تماما كما حكّتها لأمها ، حتى كان يوم الولادة راحت تعيد وتكرر عليهما الحذر والدقة حتى تتمّ جريمة تبديل الطفلين في سلام .

ودخلت الخادمة وعد حجرة العمليات ، وخيّرها الطبيب بين البنج الكلي أو البنج النصفى ، فاخترت البنج النصفى لتكون واعية لما يدور حولها بحيث لا تدع شيئا للصدفة .

وأجرى الطبيب عملية الولادة لها ، ورأت بعينها ابنها .. كان طفلا جميلا .. تناولته من الممرضة فنظرت له قليلا ، ثم أعادته لها دون أن تقبله ليوضع في الحضّانة ، وأمها بجوارها تنظر لها ، وتطمئنّها بنظراتها ألا تقلق ، فكل شيء سيمضي كما خطّطن له .

وتّم نقل الخادمة وعد من حجرة العمليات إلى حجرة أخرى لتتعافى فيها .. كانت حجرة غاية في النظافة والترتيب .. جاءوا لها بأفخم أنواع الطعام والشراب والدواء .. همست وعد لأمها :



- أنا قلقة
- فربتُ أُلطاف على كتفها وقالت :
- لا تقلقي
- وفجأة دخلت إحدى الممرضات والخوف يغطي وجهها وكلماتها .. قالت في زعر:
- الولد .. الولد
- سألتهما وعد سريعا في قلق :
- ماذا حدث؟ .. ماذا تقصدين؟
- قالت الممرضة :
- ابنك .. إنه غير موجود في الحضَّانة
- فتبادلتُ وعد وأمها أُلطاف النظرات ، وتظاهرا بالقلق والغضب الشديدين ،
- وراحت الأم أُلطاف تصرخ وتلطم خديها ، وتروح وتجيء في الحجرة وخارجها في الممر
- ، وراحت وعد أيضا تصرخ وتبكي وهي تقول :
- ابني .. أين ابني؟ .. سأحبسكم جميعا
- واستمرتُ الأم أُلطاف في الصراخ قائلة :
- حبيبتي يا بنتي .. خطفوا ابنك منك .. حرموكِ حتى من حضنه .. أكيد
- صباح بنت الحرام وراء ذلك .. مَنْ غيرها قد يفعلها؟
- وسادت حالة من الاضطراب في المستشفى في نفس الوقت الذي كانت حجرة
- عمليات الولادة تُهيأ من أجل مهندسة الديكور أحلام ، ولحظ زوجها المهندس
- معتصم شرف الدين هذا الاضطراب ، فسأل ولم يصل لشيء ، فقد تعمدتُ إدارة
- المستشفى أن يبقى أمر اختطاف الطفل الوليد سرا حفاظا على سمعتها ، كما
- حرصتُ وعد وأمها أُلطاف ألا يثيرا قلقا كثيرا ، فتوقفا عن الصراخ حتى ينتهي هذا

الأمر سريعا دون تعقيدات أو مفاجآت ، ولجأتا إلى الهدوء والتركيز في إكمال جريمتهم الشيطانية .

وكانت مدام أحلام في غرفتها تستعد لدخول حجرة العمليات ، يجلس بجانبها زوجها المهندس معتصم ممسكا بيديها يطمئنها .. نظرت له وقالت :

- أخيرا يا معتصم سأرى ابني .. أخيرا سأحمله بين يدي وأقبله وأحتضنه
ابتسم لها زوجها وقال :

- الحمد لله يا حبيبتي .. أنتِ طيبة وتستحقين كل خير
وضغطت على يد زوجها وقالت :

- معتصم .. بعد نزول الطفل لا بد أن تكون موجودا .. احذر أن يقع خطأ ..
أخاف أن يسجلوا طفلا آخر باسمنا كما يحدث في الروايات والمسلسلات .. هذا الأمر
يقلقني جدا

وضحك المهندس معتصم وقال لها :

- يا حبيبتي لا تقلقي .. ودَعِكِ من هذه الحكايات الخرافية .. هذه مستشفى
كبيرة لا يقع فيها مثل هذه الأخطاء .. ابعدى هذه الأوهام عن تفكيرك
- ربنا يسترنا معتصم

ودخلت مدام أحلام حجرة العمليات ، وكان المهندس معتصم يقف خارجها
قلقا ، وبجواره تقف أخته نرمين وأخوه مدحت .. جاء متأخرين ، ووقفا على
ظاهرهما يدعوان لزوجة أخيهما بكل خير ، لكنهما كانا في الحقيقة الخفية يتمنيان
كل شر خاصة للطفل الذي ستأتي به ليرث عنهما كل شيء .

ولمَّ المهندس معتمصم من بعيد امرأةً متجهةً ناحيته بسرعة تنادي باسمه ..
كانت أُلطف أم خادمته وعد ، ولم يكن قد رآها من قبل .. قالت له وقد دخلت في
بكاءٍ مصنوعٍ :

- وعد تريدك يا سعادة البية

نظر إليها باستغرابٍ شديدٍ ، وقال لها :

- مَنْ أنتِ؟

- أنا أمها

- ماذا تريد وعد؟

- لم تخبرني بشيء

- لكنني مشغول الآن

- دقيقة واحدة فقط

- قلتُ أنا مشغول

قالها في غضبٍ ظاهرٍ ، فطلب منه أخوه مدحت أن يذهب ولا يقلق على زوجته
، فذهب على مضضٍ ، فقالت نرمين :

- ماذا يحدث؟

ضحك مدحت وقال :

- عرفتُ أنّ خادمته ولدتُ في نفس المستشفى

فقالت نرمين غاضبةً :

- ما شاء الله .. من المؤكد أنها ولدتُ على حسابه .. أمواله كثيرة

- ألن تتوقفي يا نرمين عن الطمع في أموال معتمصم؟ .. زوجك ليس فقيرا ..

ومعتمصم تغرَّب في بلاد الله وتعب كثيرا حتى جمع هذا المال .

نظرتُ له نرمن وقالْت بغضبٍ أكثر:

- قلْ هذا الكلام لنفسك .. فأنتَ أكثر مني طمعا فيه

ودخل المهندس معتصم إلى حجرة وعد ، فانخرطتُ منذ رأته في البكاء ، وتركتهما أمها وحدهما وخرجتُ .. جلس بجوارها على سريرها ، وأسرع قائلا لها :

- هل تعرف أمك شيئا؟

قالت كاذبة :

- لا

فنظربجانها ، فلم يجد الطفل ، فقال لها :

- لماذا تبكين؟ .. ماذا حدث؟ .. وأين الطفل؟ .. هل هو في الحضانة؟

فقالت له بتوجعٍ مصطنعٍ وحسرةٍ مفتعلةٍ :

- ألا تعرف؟

- ماذا أعرف؟

- خطفوا ابني

فأصابته دهشةٌ وذهولٌ أعقبهما ارتياحٌ خفي ، وقد فهم سبب الاضطراب والتوتر الذي ساد المستشفى ، فقال لها متظاهرا بأنه قد تأثر بسبب خطف الطفل

:

- كيف؟ .. إنها مستشفى كبيرة .. كيف يحدث ذلك فيها؟

- حبيبي يا بني

- مؤكداً هناك أحد يعرفك فعل ذلك .. هل تشكين في أحد؟

- نعم .. أشك في صباح

- من صباح؟



- زوجة زوجي
 - ولماذا تفعل ذلك؟
 - الغيرة قتلها منذ علمتُ أنني حامل في ولد .. مَنْ غيرها يفعلها؟
 - معقولة! .. ماذا تظنُّ هي؟
 - تظن أنها ستحرق قلبي على ابني
 - كيف?.. البلد فيها قانون .. يجب أن تحبسها
 - طبعا سوف أحبس هذه المجرمة .. لكن لا تقلق أنتِ على ابننا .. سيعود ونظرلها في اندهاش وقال بسخرية شديدة :
 - ابننا!
 - نعم ابننا .. هل ستبدأ في الإنكار؟
- ورأى المهندس معتصم أنه من الأفضل له أن ينهض ويتركها ، فأسرعتُ وعد وخفضتُ من صوت بكائها ، وسألته عن زوجته مدام أحلام ، فأخبرها أنها على وشك أن تنتهي من الولادة ، ونهض من مكانه فأمسكتُ بيده ، وتظاهرتُ بأنها تشعر بألمٍ شديد ودوار ، وراحت توصيه إن ماتت أن يبحث عن صباح ، ويستعيد طفلها منها ، ويربيه في بيته كأخيه الآخر من أحلام ، والمهندس معتصم لا يعرف ماذا يفعل أو كيف يتصرف ليتركها ويذهب سريعا ليطمئن على زوجته ويرى طفله منها ، حيث لم تترك له تلك الشيطانة العجرية فرصة لأن يتركها إلا عندما أرادت .
- شيطانةٌ خُلقتُ من شر ومكرودهاء ، لا تكلُّ ولا تملُّ عن أن تصل لهدفها ، وأن تُنهي جريمتها كاملة .. كان كل حرصها على ألا يرى المهندس معتصم طفله من أحلام ، فهي تخاف أن يحفظ شكله ، ولا شك الآن أن الممرضات سيضعون طفل أحلام في الحضّانة ، وهنا يأتي دور أمها أطفاف ، ستأخذ الطفل من صباح التي شعرتُ

بالندم فأعادته ، وبالطبع ستضع ألطاف طفل أحلام في الحضّانة على أنه طفل وعد الذي أعادته اللصبة صباح ، وتضع طفل وعد في حضّانة أخرى على أنه طفل أحلام ، وكل ذلك يحدث مع تبديل سوار اسم كل مولود واسم أمه بالأخر .. لكن لماذا الخطف؟

الخطف كان ضروريا حتى لا يُسَمَح للممرضات برؤية طفل وعد وحفظ شكله قبل تبديل السوار، ولكن قد تُسَجَن صباح لخطفها الطفل ، لا يهم أن تُسَجَن يوما أو يومين ، فقد ندمتْ وعادت ، وهذا سيجعل عفو وعد عنها شيئا طبيعيا مقبولا . هكذا كانت هي بقايا الخطة المرسومة ، لكن هناك نرمين أخت المهندس معتصم وهناك مدحت أخوه . لقد ظلّا واقفين أمام حجرة العمليات ، لا شك أنهما سيريان طفل أخيهما من أحلام بينما تخرج به الممرضة ، فماذا لو كانا مِمَن يتسمون بقوة الملاحظة فيحفظا شكله؟ .. تلك حقا كانت المفاجأة التي لم تكن في حسابات وعد .. لكنّها والله محظوظة ، إذ لم يطيقا البقاء واقفين ليريا الطفل الوليد الذي سيرث الأملآك ويحرمهما ، فذهبا فور ذهاب معتصم لوعد لاحتساء فنجان قهوة ، ومرّا الأمر بسلام .

حقا والله ، ما أخطر أمر الحضّانات بعد الولادة ! إنه شيءٌ مثيرٌ للقلق ، فمن السهل في عيادات ولادة النساء اختلاط المواليد الجديدة ، ومن الوارد وقوع الأخطاء دون تعمد .. قد تسهو ممرضة فتضع اسما لمولود آخر غير المقصود بالخطأ ، كما أنّ بعض الممرضات في ذلك لا يلزمهن شيء أو يحكمهن ضمير ، ومن الجرائم الميسورة أن يتم تبديل المواليد دون أن ينتبه أحد كما دبّرت الماكرة وعد ونقّدتْ المجرمتان صباح وألطف .. إنه أمرٌ خطير يُرعب كثيرين ، لذلك فما أفضل الزمن

القديم في كثيرٍ خاصة عندما كانت النساء تلد في حجرة نومهن بعيدا عن احتمالية هذه الأمور الخطيرة المضیعة للأنساب والأموال والمشاعر!

وها هي مدام أحلام الثرية قد خرجت من المستشفى بطفل الخادمة الفجرية وعد والفرحة تغمرها ، وبجوارها زوجها الثري المهندس معتصم ، وها هي أيضا الخادمة وعد قد خرجت من المستشفى بطفل مدام أحلام الثرية والفرحة تغمرها .. حدثت تلك الجريمة المؤلمة لينشأ ابنُ الخادمة وينمو ويكبر في حضن القصور والنعيم ، وينشأ ابنُ القصور والنعيم في حضن خادمة عجربة عاهرة شيطانة ، لا يقف أمام طموحها وشرها عائق ، ولن يقف ، وكأنها خرجت للتو من جهنم لتنتقم من كل البشر.

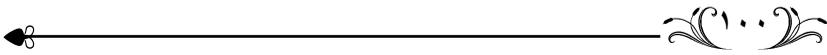
ياسين سالم السعدي .. ياسين هو الاسم الذي سُجِّل به ابن المهندسة الثرية أحلام ، وسالم هو اسم الأب على غير الحقيقة الذي نُسب له ياسين ابن القصور . بدر معتصم شرف الدين .. بدر هو الاسم الذي سُجِّل به ابن الخادمة وعد ، وقد نُسبَ فعلا لأبيه الحقيقي المهندس معتصم ، وإن كان ابن حرام من الخادمة وعد ، تلك العاهرة .

أما عن التحاليل التي ذكرها المهندس معتصم لوعده للتأكد من أبوته لابنها ، فقد حاول الرجل أن يتملص منها ومن وعوده السابقة لها أكثر من مرة ، ولكن لم تمنحه الخادمة وعد فرصة لذلك .. هددته بأن تخبر زوجته أحلام إن لم يفعل ، بل وتخبر أخاه وأخته ومعارفه والناس أجمعين .. قالت له :

- الولد يشبهك تماما .. كل من سيراه سيراف أنه ابنك ويفتضح أمرك وتتحطم حياتك .. لكن بالنسبة لي فأنا مجرد خادمة .. وكل ما سيصيبني أن يطلقني زوجي سالم .. وهذا ما أريده



- أنتِ شيطانة يا وعد
 - أنا أعرفُ أني شيطانة .. فكنُ أنتَ الملاكِ وحققِ وعودك لي
 - اتفقنا .. سنبدأ في عمل التحاليل
- وأُجريتِ التحاليل أكثر من مرة عند أكثر من طبيب يثق بهم المهندس معتمصم .. أثبتتُ جميعها أنَّ الطفل ياسين ابنه ومن صلبه ، وحتما لا بد أن يكون ابنه ، هذا بسبب التبديل الإجرامي ، وليس فقط لأنَّ المهندسة أحلام سيدة مخلصه له بنت أصول لا تخون ، وبالطبع فإنَّ بدرهو أيضا ابنه لا ابن سالم . وذلك لأنه كان يشبهه كثيرا كما يشبهه ياسين إلى درجة كبيرة تقطع أية شكوك .
- وطلب المهندس معتمصم من الخادمة وعد أن تقابله مساء يوم ما في مكان ما خارج الفيلا ، فذهبتُ ومعها ياسين ، وكان الرجل ينتظرها في سيارته دون سائقه مسعود . فركبتُ بجواره وياسين على يديها وألقى الرجل نظرة على طفله دون أن يبتسم له أو حتى يقبله ، فقالت له :
- إنه ابنك ياسين .. كيف لا تحمله وتقبله وتلاعبه؟
 - فقال معتمصم غاضبا :
 - دعك من هذا الكلام .. لقد رتبتُ لابنك كل شيء .
 - إذن هيا أخبرني ماذا رتبتُ؟
 - سوف أحول في البنك أموالا غدا باسمه تغنيه طوال حياته .. فوائدها فقط تجعله يعيش غنيا .. وسأعطيك مبلغا تشتري به شقة باسمه ليتزوج بها عندما يكبر
 - وأنا .. ماذا ستكتب لي؟
 - وما دخلي بك؟



- أنا أم ابنيك التي أتتْ به .. أم أنك كنتَ تعاشر بقرة!
- ستأخذين أنتِ أيضا فوق ما تتوقعين .. وبعدها عليكِ أن تختفي من حياتي
للأبد

- أنا موافقة .. لكن متى تفعل ذلك؟
- قلتُ غدا .. فانتظريني صباحا في نفس المكان
ونفَّذ معتمصم ما وعد به مع التأكيد عليها ألا تعود إلى فيلته أو تخرج أمامه في
طريق يسلكه ، فقالت له :

- وماذا إن سألت عني مدام أحلام؟
- سأخبرها أنك قررتِ أن تتركِ العمل لتتفرغي لتربية ابنيك
- لكنني سأظل أعمل
- أنتِ حرة .. فقط سأقول لها ذلك وينتهي الأمر .. هل تظنين أنها ستراك بعد
ذلك؟

قالها معتمصم بغضبٍ ، فقالت وعد العجربة وهي تبتسم بكل ثقة :
- ربما

(٨)

تامر الغمراوي

أقامت العجربة وعد بشقتها بالعبور وليمة كبيرة يوم سبوع ياسين ، دعت إليها أهلها ومعارفها ، وأكل الجميع حتى شبعوا ثم انصرفوا ، لكن طلبتُ وعد من صباح وراضية أن تبقىا للمبيت عندها ، وحمل الزوج سالم الطفل الوليد ياسين والفرحة تغمره .. نظر إلى زوجته وعد وقال لها :

- أنتِ وجه السعد والخير عليّ يا وعد .. ما أجملَ هذا الطفل! .. لكن لماذا لا

يشبهني؟

فنظرتُ له وعد نظرة احتقار لم يلحظها ، ثم قالت :

- ملامحه لم تظهر بعد

ونظرتُ صباح لوعد ثم قالت لسالم :

- الطفل عندما يولد يأخذ ألف شكل حتى يستقر .. لكن عندما يكبر ستكون

ملامحه لك يا سالم

وشعرتُ راضية بحسرة ، لكنها أخفتها بداخلها ، وتصنعتُ الابتسامة قائلة :

- ربنا يبارك يا وعد .. ويتربى في عزك يا سالم

فألقي عليها سالم نظرة باردة مشوبة بالازدراء ، ثم سكت في حين قالت وعد

تسألها عن عملها :

- ما أخبار الشغل معك يا راضية؟ .. ألم تعودي لبيت الدكتور مالك وحنان؟

فابتسمتُ راضية ابتسامة عجب ، وقد تذكرتُ ما فعلته وعد مع إباد ، فقالت :

- طبعا لم أعد إلى هناك وأنتِ تعرفين السبب

وتدخّل سالم وقال يسأل :

- ما السبب؟

فقالت راضية مسرعة :

- لا شيء يا سالم

ونفضت من مكانها تستأذنهم في أن تذهب للنوم ، وألقت وعد الطفل ياسين ثديها ليرضع وينام ، في حين سألت صباح بعد دخول راضية إحدى الحجرات :

- ما لها راضية؟

فقال سالم غاضبا :

- مؤكّد أنّها حاقدة عليكما فلا تشغلا بالكما بها .. إنها أرض بور والأرض البور

تؤلم كلّ من يمر بها

وكان أول شيء فعله سالم بعد ذلك خاصا براضية أن طلقها ، وأخرجها من شقتها معه في منشية ناصر ، ونقل وعد مكانها .. وارتاحت وعد لذلك كثيرا وفرحت ، فقد قرّبها نقلها إلى هناك من مدينة نصر.

ومن في مثل راحة وفرحة تلك العجربة؟ .. إنها قد صارت صاحبة الأموال بالبنوك ، ولديها شقة بالحي السادس بمدينة نصر ، فقد أعطاه المهندس معتصم ضمن ما أعطاه مبلغا كبيرا لشقة في مكانٍ راقٍ ، لكنها بخلت فاشتريت بنصفه شقة الحي السادس ، واحتفظت بالباقي في البنك مع الأموال الأخرى ، وبالطبع لم تنس صباح من هذه الغنائم ، كما لم تنس أمها أطفاف .

وبالطبع فإنّ الزوج سالم السعودي لم يكن يدري بأي شيء من ذلك ، إنه قد حمل زهرة ابنة صباح ولاعبها كثيرا على أنها ابنته ، وصار يحمل ياسين ويلاعبه كثيرا على أنه ابنه ، إنه الزوج المخدوع خديعة السنين ، إنه لا شيء عند زوجتين خانتاه

كثيرا ، ولا تزالان على استعدادٍ لأن تخوناه كل يوم ، لكن راضية الزوجة الأولى له ، والأصيلة التي أحبته ولم تخنُ قد طَلَّقها ، طَلَّقها لأنها أرض بور كما يظنُّ مخدوعا .
 واشتافت وعد العجرية إلى عمل التسول رغم ثرائها الخفي الذي لا يعلمه غير العجريتين صباح والطف ، فبدأت تواظب على الذهاب إلى مكان تسولها القديم بإشارة تقاطع شارعي الطبران ومصطفى النحاس أمام مطعم البرج ، وكانت قد أكدت على نهاد ابنة خالتها وعلى نوال نائبتها هناك أنها ستعود ، وكانت خلال الشهور السابقة تعود بالفعل من وقت لآخر ، فتأخذ ما تستطيع أن تأخذه منهما ثم تغادرهما على أن تعود .

وكان قد مرَّ ما يقرب من عام منذ وضعتُ وعد ابنها بدر ، وأحزنها أن أضاعت عاما كاملا بلا عمل وبلا غنائم جديدة ، لكن عند عودتها أخذتُ الطفل ياسين معها إلى العمل ، وبالطبع فإنها لم تأخذه لترضعه فلا يجوع بدونها ، ولم تأخذه لأنها لا تقوى على مفارقتها حبا له .. هي لم تشعر بعد أنها تحبه ، لكنها قطعا تشعر ببعض الحب لابنها ابن بطنها بدر ، لكنها أرادت أن تستثمره لينفعها وينفع نفسها الشريفة الطموحة قبل أن ينفع نفسه ، ولهذا زرعت زرا شيطانيا داخل هذا البيت الثري كوديعة لها تسترد كامل ربحها يوما ما كثيرا كثيرا .

وإنَّ الطفل ياسين أيضا كان لا بد أن تستثمره ، فأخرجته للعمل متسولا محمولا وهو ابن عام .. ياسين ابن الحسب والنسب والجاه والقصور والأملاك والأموال التي لا آخر لها سيحيا حياته في الشارع وداخل الحارات الشعبية وسط رفاقٍ من المتسولين واللصوص والبلطجية .. ماذا لو علمتُ أمه الحقيقية صاحبة القصور بذلك؟ تلك المرأة الرومانسية الرقيقة مهندسة الديكور الشابة؟ ماذا لو علمتُ أنَّ طفلها ابن بطنها هو طفلٌ آخر غير بدر ، هذا الذي يحبو بقصرها فوق

الحرير ، طفلٌ اسمه ياسين؟ ذاك الذي تحمله كل يوم متسولة تتسول به تحت حر الصيف الذي يصهر الحديد ، وتحت برد الشتاء الذي يقرص الدببة .. أجل ماذا قد تفعل المهندسة الثرية أحلام المصري إذا علمتُ أنَّ الطفل بدر الذي ترضعه الآن ، وتصب عليه الحب صبا ، وتخفيه بعينها من كل لفحة هواء ، وتحبه أكثر من حينها لنفسها ليس طفلها؟ .. يا الله !

وقف تاكسي جانبا أمام مسجد نوري خطَّاب على الجهة المقابلة لحي مدينة نصر والمواجهة لمطعم البرج حيث كان تسول العجيرة وعد ، نزلتُ منه امرأة شابة جميلة تحمل طفلا رضيعا .. كانت هي ، قد استقلتُ هذا التاكسي من منشية ناصر حتى مكان عملها ، وبالطبع ليس خوفا على ياسين ، إنما لأنها قد صارت تحب الترفيه عن نفسها كثيرا ، تأكل جيدا ، وتشرب جيدا ، وتلبس أيضا جيدا لدرجة أنها قد صارت مثار حديث المتسولين والمتسولات ، كما صارت أيضا محط إعجاب وحديث الزبائن .

قال لها يوما شاب من نافذة سيارته بعد أن أخذ منها علبة مناديل صغيرة وأعطاهما عشرين جنيا :

- أنا لا أصدق أنك متسولة .. ومع ذلك سأعطيك العشرين جنيا من أجل

جمالك

ابتسمتُ له وقالت :

- كلك ذوق يا بيه .. ربنا يكتر من أمثالك

فركن سيارته جانبا وهي تتبعه وعلى يديها الطفل .. سألتها :

- الجميل .. ما اسمه؟

أجابت بابتسامة مآكرة :

- ياسين

ابتسم وقال :

- لا أقصد الطفل .. إنما أقصد من تحمل الطفل

ابتسمت وقالت :

- وعد

ضحك وقال :

- وأنا تامر

وتناول من درج سيارته ورقة ، وكتب بها رقم تليفون ، وناولها الورقة مع عشرين

جنها أخرى وهو ينظر لها وابتسم قائلاً :

- كلميني على هذا الرقم

أخذت وعد الورقة والعشرين جنها ، ووضعتهما بحقيبة صغيرة معها دون أن

تنظر بالورقة ، وراحت تكمل عملها ، وكان الطفل ياسين قد انخرط في بكاءٍ طويلٍ

مؤلمٍ للقلب والأذن ، فلم تلتفت له وكأنها لا تسمع بكاءه حتى جاءتها نوال .. قالت

لها وهي تنظر للطفل وترقُّ لحاله :

- وعد .. سأسألكِ سؤالاً

نظرت لها بترقب وكأنها توقعت سؤالها وقالت :

- أسألي

- هل هذا الطفل ابنك أم إيجار.....؟

قاطعتها قائلة بكل ضيق :

- وما دخل أمك بذلك؟



- إنه يبكي منذ فترة .. اجلسي جانبا وأرضعيه
- لا تتدخل في ذلك .. أو خذيه وأرضعيه أنتِ
- فوضعتُ يدها على صدرها وقالت وهي تبتسم :
- كنت أتمنى ذلك .. لكن من أين آتي باللبن له؟
- ضحكتُ وعد ضحكة خليعة وقالت تمازحها :
- اذهبي واحملي وهاتي لنا طفلا ولبنا .. أم أنّ الموكوس زوجك لا فائدة منه؟
- وضحكتُ نوال قليلا ثم سألتها :
- الشاب الذي أعطاك ورقة منذ قليل .. ماذا يريد منك؟
- فنظرتُ لها وعد بغضبٍ وقالت :
- اهتمي بشغلك فقط .. لا تشغلي بالك بي
- وعد يا حبيبتي احذري منه
- هل تعرفينه؟
- نعم .. لكن نهاد بنت خالتك تعرفه أكثر .. ألم تخبرك؟
- بيم تخبرني؟
- إنه السبب في أنها لا تأتي هنا منذ فترة

والتفتتُ لها وعد باهتمام أكثر ، وطلبتُ منها أن تخبرها بالقصة كاملة .
 أخبرتها نوال أنّ هذا الشاب يعمل في العقارات وكل شيء يجلب مالا ، وهو
 نصاب محتمل .. بدأها مع نهاد بتمثيل دور المعجب ثم العاشق الولهان ، وذهبتُ له
 وقابلته ، واختليا ببعضهما ، ووثقتُ به ، فأخذ منها أموالا كثيرة بحجة أنه
 سيستثمرها لها ، ويعطيها منها عائدا كبيرا ، وبالفعل كان يعطيها ربحا كبيرا في

البداية ، ثم فجأة أخبرها بأنه خسر كل أمواله ، واختفى بعدها ، ثم ظهر ثانية منذ أسبوع .

نظرتُ وعد لها وقال بكل تحد وعزم :

- إذن سأريك يا نوال ما سأفعله بهذا النَّصَّاب
- احذري يا وعد .. إنَّ نهاد لم تأخذ منه حق أو باطل
- أنا لستُ نهاد الموكوسة .. لكن أخبريني هل هو غني؟
- انظري إلى سيارته لتعرفي .. طبعاً غني لكنه نصَّاب ومكَّار
- المهم أنه غني .. هذا ما أريده

وكان بالشقة التي انتقلتُ لها وعد في منشية ناصر تليفون أرضي .. كان أول شيء فعلته عندما دخلتُ شقتها أن ألقُت ياسين على سرير بحجرة صغيرة .. بكى فأغلقتُ الحجرة عليه .. ضغطتُ بضعة أرقام ، كانت رقم الشاب تامر .. ردَّ عليها :

- ألو

لم تتحدث ، إنما راحت تتنهد دون أن تُخرج صوتاً مفهومًا ففهم أنها أنثى تعاكسه .. قال لها :

- ألو .. عموماً أنا مرتاح هكذا .. لو بقيتُ أسمع

تهديداتك هذه ليوم القيامة فلن أشعر بملل .. يبدو منها أنك رقيقة جداً وأنثى جداً وأغلقتُ الخط ، والتفتتُ تغير ملابسها ، ثم رنَّ جرس التليفون ، وعرفتُ أنه هو ، وقد عرف رقمها من إظهار الرقم عنده .. تركتُ التليفون يرن ، وتركت ياسين يبكي ، وكانت قد جلبتُ معها طعاماً وفاكهة وهي عائدة من العمل .. جلستُ تأكل وتشرب والتليفون يرن ، وياسين يبكي ويسكت ثم يبكي بكاءً يقطع نياط القلب ، لكن ماذا لو كانت تلك الشيطانة العجربة بلا قلب؟

أكلتُ وشربتُ حتى شبعتُ ثم اتجهتُ ناحية الكاسيت ، فوضعتُ به شريطاً لميادة الحناوي .. أدارت الأغنية : (أنا بعشقتُ أنا .. أنا كُلِّي لكُ أنا)

وعاد جرس الهاتف يرنُّ .. لم يكن لديها خدمة إظهار الرقم .. أوقفتُ أغنية ميادة ثم رفعتُ السماعة .. انتظرتُ حتى سمعتُ صوتَ الشاب ، ثم أجابتُ بكل أنوثة ودلال :

- ألو

قال الشاب وهو يخمّن أنها هي وعد المتسولة التي أعطاهها رقمها أول اليوم :

- مَنْ معي؟

لم ترد ، إنما أدارت الكاسيت ، ووضعتُ سماعة التليفون على سماعة الكاسيت ليسمع الشاب تامر صوت ميادة الحناوي : (أنا بعشقتُ أنا .. أنا كُلِّي لكُ أنا)

وذهبتُ هي فألقتُ نظرةً على الطفل المسكين ياسين فوجدته قد سكت ونام ، فذهبتُ لسريها ونامت تاركة تامر يسمع أغاني ميادة الحناوي على أمل أن يسمع صوت وعد المحروس بعدها .

وفي الصباح في مكان عملها وقفت بجانبها سيارة تامر ، فألقتُ نظرةً فوجدته ينظر لها ويبتسم ، ثم وجدته يدير كاسيت سيارته لتسمع صوتَ ميادة الحناوي : (أنا بعشقتُ أنا)

ابتسمتُ له ففهم أنها هي .. قالت له :

- انتظرنِي الليلة .. سأتصل بكُ

ضحك وقال لها :

- أغنية مَنْ سأسمعها الليلة

ابتسمتْ بأنوثةٍ وقالت :

- أنتَ وحظك

- المهم أن أسمع صوتك بعدها

وعند منتصف الليل اتصلتْ به ولم تتحدث ، إنما تركته يسمع أغنية قارئة
الفرجان : (جلستُ والخوفُ بعينها تتأملُ فرجاني المقلوب .. قالت يا ولدي لا تحزن
فالحبُّ عليك هو المكتوب)

وبعد انتهاء الأغنية أغلقتُ الخط فاتصل ، فأجابت :

- ألو

قال في شوقٍ لأنْ يتحدثنا :

- أخيرا أسمع صوت القمر

- ماذا تريد؟

- أريدك .. أقصد أريد أن نتحدث كثيرا

- هل تعطي رقمك لكل من تبغ المناديل في الشوارع؟

- لا طبعا .. أعطيته لك فقط لأنني معجب بك

- هكذا دون أن تعلم عني شيئا .. اسمي .. أهلي .. سكني

- أنا معجب بك أنتِ .. لا باسمك أو أهلك أو سكنك .. ومع ذلك .. ها أنا

أسألك عن اسمك

- اسمي وعد المحروس

- طبعا أنتِ متزوجة؟

- ولماذا أنتِ متأكدة ؟ .. هل قرأت على وجهي أنني متزوجة؟

- لا .. لكن من الطفل الذي تحملينه وأنتِ تبغين المناديل



- ألا تعرف أننا نُؤجرُ الأطفال لنعمل بهم؟
- أسمع عنكن ذلك لكنني لا أصدق
- الآن صدِّق .. فنحن مجرماًتٌ جدا
- ربنا يحفظنا
- عموماً .. أنا ما زلتُ بنتاً يا أستاذ تامر
- وصدِّق تامر كذبتها ، لكن بدا عليه أنه لم يستحسن كونها غير متزوجة ، ثم سألتها :

- أين تسكنين؟
- في كوكب الأرض
- نكتة ظريفة .. لكن أين في كوكب الأرض؟
- في قارة أفريقيا
- أين في قارة أفريقيا؟
- في مصر
- أين في مصر؟
- في القاهرة
- أين في القاهرة؟
- ألا يكفي هذا لاستخراج بطاقتي الشخصية؟
- صارت النكتة تافهة
- وأنتَ مثلها
- لِمَ الغلط يا وعد؟
- أنتَ من بدأت



- هل لك تجارب سابقة؟
- ماذا تقصد؟
- أقصد أنك فتاة جميلة .. مؤكّد قد مررت بتجارب حب أو.....
- ماذا تقصد بـأو؟
- جنس
- تأدب يا تامر.. لا يغرنك أننا وحدنا والشيطان ثالثنا
ضحك تامر وقال :
- لا نفهميني خطأ يا وعد
- إنّ مشكلة كل الرجال معي أي أفهمهم فهما صحيحا
- صدقيي أنا غرضي شريف
- ما هو غرضك الشريف إذن؟
- أن نتعرف أكثر ونتقابل .. ثم نقرر
- ماذا تعمل يا تامر؟
- أنا رجل أعمال .. لي في كل شيء
- هذا جيد .. قد نعمل سويا
- وضحك تامر ثم قال :
- كيف؟ .. ماذا نعمل سويا يا وعد؟
- هل تظنني فقيرة لأنني أبيع مناديل
- لا أقصد ذلك والله .. لكن.....
- يا تامر أنا أغنى منك مهما كنت غنيا .. لا تنس كلمتي تلك

وسارع تامر يقول :

- لا تفهميني خطأ يا وعد .. كنتُ أمزح معك .. عموما أتمنى أنْ نعمل سويا
- وأنا أتمنى ذلك

وسكتَ تامر قليلا فقالت له :

- لماذا لا تتكلم؟
- أسكت لأسمع دقات قلبي
- لِمَ يدق قلبك؟
- من شدة إعجابه بكِ
- ما هذا الكلام الجميل يا تامر؟ .. هل أنتَ شاعر؟
- مَنْ يسمع صوتك لا بد أنْ يكون كل كلامه شعرا
- كلامك فعلا جميل جدا
- وظلَّ تامر لفترة صامتا فقالت له وعد :

- لماذا تسكت كثيرا؟
- قال لها بصوتٍ فيه تأثر:
- كنتُ أفكر فيك يا وعد
- ما الذي أعجبك في؟
- شعرتُ أنك متميزة وأنَّ وراءك أسراراً كثيرة
- أنا فعلا كلِّي أسرار.. فاحذرمني
- أنا أعشق الأسرار
- هل هذا فقط ما جذبك لي؟
- طريقتك في اللبس أيضا تعجبني جدا .. مختلفة عن كل النساء في الإشارة

- ألم أقل لك إنني غنية؟
- إذن ماذا تلبسين الآن أيتها الغنية؟
- لن أخبرك يا لنيم
- أرجوك
- شورت أحمر وتشيرت حمالات أسود يُظهر نصف صدري ويصل فقط حتى

الصُّرَّة

- كنتُ أتمنى أن أراك الآن
- لِمَ أمها المجرم؟
- لأعبر لك عن إعجابي بما تلبسين
- ألا تستطيع أن تعبر عنه بالتليفون؟
- طبعاً أستطيع لكني أشعر بالخجل
- وضحكتُ وعد ضحكة خليعة قائلة :
- لا نخجل يا تمورة .. هيا تحدث .. تحدث كأنك تتحدث إلى نفسك
- ألن تغضبي ؟
- كيف أطلب منك أن تتحدث ثم أغضب؟
- صدقاً ألن تغضبي؟
- قلْ خلصني
- لو كنتُ معكِ وأنتِ أمامي بهذا اللبس .. كنتُ
- كنتُ ماذا؟
- كنتُ سأجلس بجانبك على السرير
- ثم ماذا؟



- أنظر في عينيك
 - ثم ماذا؟
 - أقرب منك وأمسك يدك
 - ثم ماذا؟
 - أقرب شفتي من شفتيك
 - ثم ماذا؟
 - أتحسس بيدي شعرك وأسفل عنقك
 - ثم ماذا؟
 - أقبلك
 - أين؟
 - في شفتيك ورقبتك
 - ثم ماذا؟
 - أنزل بيدي على صدرك و.....
- وهنا أغلقتُ وعد الخط متعمدة أن تفعل ذلك عند هذا الحد من الكلام لتتركه على حالته تلك مشتعلا بالنشوة ولهفة الرغبة .. اتصل تامر مرة ثانية فأجابت ، فقال بصوتٍ يملؤه التأثر:
- وعد لماذا قطعيت الاتصال؟
 - قالت وهي تتصنع البكاء :
 - للأسف أنتَ فهمتني خطأ يا تامر
 - لماذا تقولين ذلك يا وعد؟
 - أظنك تفهم السبب فلا تتظاهر بالغياء

- أرجوك لا تغضبي مني .. لا أستطيع تمالك نفسي أمام صوتك الجميل
- أعطني وعدا ألا تعود لكلامك هذا
- أعدك ألا أعود لهذا الكلام
- قل لي يا تامر.. هل تعمل في شراء الشقق وبيعها؟
- أجل
- وأنا أيضا أشتري شققا وأبيعها
- معقولة!!
- هل نسيت؟ .. قد أخبرتك أنني غنية
- إذن تعالي إلى مكنتي لتتحدث عن العمل .. لن ينفع الكلام عن العمل في

التليفون

- سأتي طبعاً .. لكن إياك أن أجد نفسي وأنت وحدنا
- بصراحة أنا أحلم بهذه اللحظة
- أية لحظة؟
- أن نكون وحدنا
- ماذا ستفعل عندما نكون وحدنا؟
- عندما تأتين ستعرفين
- لا صبر عندي فأخبرني الآن
- أنت تغضبين مني في النهاية يا وعد
- لن أغضب وهيا تحدث بكل حرية وبلا تفكير



- وأعطته وعد الإذن لينطلق في كلامه دون توقف ، فتجراً وقال :
- لوجئتِ إليَّ في مكتبي سأفتح لك الباب ثم أغلقه خلفك ثم أحملكِ إلى سرير بحجرة داخلية
- هل ستقدر على حملي؟
- طبعاً فأنتِ رشيقة وجسمك جميل
- ماذا يعجبك في جسمي؟
- كل شيء
- مثل ماذا؟
- يجب أولاً أن أجردكِ من ثيابك لأصفه جزءاً جزءاً
- هيا جردني من ثيابي
- ألن تغضبي؟
- كيف أغضب وأنا أريد ذلك؟
- بجد يا وعد
- بجد يا تامر
- أحبك يا وعد
- هل تقولها صدقا أم أنه كلام ليل؟
- المهم أنني أشعر بها الآن
- هل لي أن أطلب منك شيئا يا تامر؟
- تفضلي .. اطلبي
- هل تسمح لي أن أحضنك؟

- طبعا تعالي
- وهنا أغلقتُ وعد الخط ، فعاد واتصل قانلا في نشوةٍ غاضبةٍ :
- ماذا تفعلين بي ثم تتركيني؟
- غدا نفعل كل شيء دون قيود
- أَلن تُغلقِي الخط غدا يا وعد؟
- أصلا لن نتحدث في التليفون
- لِمَ؟
- لأنني سأكون بين يديك يا تامر
- كيف؟
- سأتيك إلى مكتبك

(٩)

وداعا تامر الغمراوي

الساعة الثانية ظهرا .. دقَّ جرسُ شقةِ بحي السفارات .. فتح الباب تامر الغمراوي .. كان وحده بالمكتب .. نظر فوجد أمامه وعد .. وقف للحظة يتأكد أنها هي .. كانت مختلفة تماما عما تكون عليه وهي تعمل .. كانت تلبس ثيابا جميلة كسيده أعمال تسكن بأرقى المناطق وليست مجرد غجرية متسولة أو بائعة مناديل ، وقد جسدت الثياب جسدها تجسيدا مثيرا ، فبانَتْ كلُّ مفاتنه ، ووجهها المشيع بالحمرة يشع حيوية وأنوثة ، وعيناها الزرقاوان ظهرتَا أجمل بكثير ، وظهر صدرها تحت ملابسها مستديرا ملهبا للأنظار .

وبالطبع فهي لم تمارس عملها في التسول هذا اليوم ، إنما ركبت تاكسيا من سكنها بمنشية ناصر حتى إشارة العمل ، فسَلَّمَتْ الطفل ياسين لزميلتها نوال دون أن تنزل من التاكسي ، وهمست بجانب أذنها ألا يخبر أحدٌ منهم أحدا أنها متزوجة ، فقد خافت من أن يذهب تامر الغمراوي ليعرف إن كانت متزوجة أم لا .. قالت ذلك ثم استكملت حتى حي السفارات .

دخلت وأغلق تامر خلفها الباب ، وابتسمت له وابتسم لها وقال :

- ما هذا الجمال؟ .. أنا لا أصدق عيني أنك وعد

- هل جئتُ لنتحدث عن جمالي أم عن العمل يا أستاذ تامر؟

- نتحدث عما تريدِين أنتِ

- نظرتُ في عينيه وقالت بدلال :

- أريدك

لم يتمالك نفسه ، وحملها إلى إحدى الحجرات .. جلستُ بجانب السرير .. جلس بجوارها .. قال لها :

- ما أجملَ العملَ معكِ يا وعد!

قالت في جرأة وأنوثة :

- هذا فقط عربون العمل

ضحك تامر وقال بنبرة صوتٍ مرتعدةٍ :

- أريد شيئاً قبل دفع العربون

- ما هو؟

- أن ترقصي لي

- أمرك .. سأريك الرقص على أصوله

- ما أجملكِ يا وعد!

وخلعتُ معظم ملابسها دون خجل أو تردد ، وتامر ينظر لها بنشوة ، ثم اتجه إلى كاسيت وأدار موسيقى راقصة ، فقامت ترقص بطريقة غاية في التميز والاحتراف والإثارة وهي تغني بصوتٍ جميلٍ :

أنا وعد .. وعد المحروس

أنا أجمل .. من إيما لادوس

أنا وعد .. وعد المحروس

أنا مَرهم .. أنعس متعوس

أنا أحلى .. من إيما لادوس

أنا وعد .. وعد المحروس

ومرّت ساعاتٌ في الحرام .. أعادا الكَرَّةَ أكثرَ من مرّةٍ .. كلُّ شيءٍ حدث بلا تردد ، بلا حد ، بلا تراجع ، بلا لحظة تأنيب للضمير ، وبلا أن ينتبه تامر إلى أنها ليست عذراء ، ولم ينتهِ الاثنان مِنْ سُكْرهما إلا مع أذان المغرب الذي أتى من مسجد مجاور .. دخل تامر الحمام سريعا ثم عاد ليجد وعد جالسة بجانب السرير عارية تتصنع البكاء وتواري وجهها بكفيها كأنها تشعر بالخجل والندم .. سألبها :

- لماذا تبكين؟

رفعتُ رأسها من بين كفيها وقالت :

- ألا تعرف؟ .. ألا ترى هذه الدماء التي ملأتُ مفرش السرير؟

نظر تامر ثم قال :

- لا تخافي يا وعد .. لن أتخلى عنك

- أنا مرعوبة من أن تتخلى عني

- اطمئني .. أنا لستُ ندلا

- لقد جعلتني امرأة يا تامر .. سلبتني شرفي .. أرجوك لا تتركني

فابتسم تامر ابتسامة حذرة وقال :

- كيف أتركك يا وعد؟ .. ثم هل نسيتِ أنه سيكون بيننا عمل كثير؟

فضحكتُ وقالت :

- لم أنسَ لكن لا بد أن تجد حلال لهذه المصيبة

- لا تقلقي سأجد حلا

- المرة القادمة سنتقابل خارج شقة المكتب الملعونة تلك .. وسنتحدث في

العمل فقط

فقال في تردد :

- طبعا طبعا

وبالفعل فقد تقابلا في المرة التالية بكافتيريا بشارع عباس العقاد .. تحدثا فيها عن العمل ، وقد أرادت في البداية أن تكسب ثقته وتثبت له أنها تمتلك المال الكثير ، فقالت له :

- هل لك خبرة بأنواع السيارات؟

- طبعا

- أريد شراء سيارة

أنزل تامر كوب الشاي من يده ، ونظر لها بابتسامة وقال :

- هذا أمرٌ بسيط .. أعرف معرضا فيه سيارات مستعملة حالتها جيدة ..

واطمئني سيخدمنا صاحبها في ثمنها كثيرا

ضحكتُ وعد ، ووضعتُ قدما على أخرى وقالت في ثقة :

- ومَنْ أخبركُ أنني أريدها مستعملة؟ .. أريد شراء سيارة جديدة من السيارات

الغالية .. لكن آخر الشهر من فوائد أموال وودائع لي .

فبرقتُ عينا تامر الغمراوي ذهولا وقال :

- من فوائد أموالك !! .. هل معك أموال فوائدها تشتري سيارة!!؟

- أجل

- إذن أنا من الغد سأترك عملي وأقف بجوارك في الإشارة

فضحكتُ وعد وقالت :

- لن تفلح يا تامر .. عملنا يتقنه العجرج فقط .. ويحتاج لتدريب ومواهب

معينة

- يمكنك أن تدريبي على كل شيء
 - سأدريك .. فقد تضطر فعلا للتسول ذات يوم
 - ربنا يستر
 - هيا يا تامر نتحدث في العمل
 - هيا .. فيم تريد أن تستثمرى أموالك؟
 - في العقارات .. وهل هناك أضمن منها يا تمورة؟
 - معك حق والله يا وعد
 - وسكت لفترة يفكر ، ثم قال لها :
 - ما رأيك أن نشترى شققا مشاركة بالنصف ثم نبيعها؟
 - أنا موافقة .. فهل يوجد شيء جاهز الآن؟
 - طبعا يوجد .. وسيكون جاهزا بعد أربعة أيام
- وبالطبع كان لا يوجد شيء جاهز ، إنما هذا هو نهج السماسرة ، فدائما لديهم عقارات جاهزة للبيع والشراء ، فإن طلب الزبون التنفيذ فقد يجد وقد لا يجد بأية حجة أو ذريعة ، وتامر الغمراوي هنا بالطبع قد قال ذلك لها على سبيل هذا النهج ، فربما يظهر شيء خلال الأيام الأربعة التي ذكرها ، وأيضا لم يكن لديه نية للنصب عليها ، على الأقل الآن ، فأوجدت هي ما تبحث عنه ، وليس مجرد شقة ، بل فيلا .
- فبعد هذا اليوم بيومين دخلت امرأة شقراء الشعر مكتب تامر الغمراوي ..
- وقف لتحياتها ثم جلس وأمر عامله أن يحضر لها مشروبا .. قالت له :
- أنا دكتورة جاسيكا .. عندي فيلا جئتُ عرضها للبيع

سألها عن مكانها ومساحتها وأوراقها وأوصافها وعدد الأدوار والحجرات والحمامات بها ، ونوع التشطيب والتمن المطلوب فيها ، فأخبرته فسجّل ما ذكرته عنده ، ثم سألها إن كان هناك إمكانية لإنزال السعر قليلا فقالت له :

- الفيلا ثمنها أكثر من مليونين بكثير .. ولكي مستعجلة جدا .. أنا مهاجرة إلى كندا لأستقر مع زوجي هناك .. لذلك فأنا مضطرة أن أبيع بمليونين أو أقل قليلا وفهم تامر من كلامها أنّ السعر قابل للخفض كثيرا .. سألها عن تليفون لها ليتواصل معها من خلاله ، فأملته عشرة أرقام ، فنظر لها باستغراب وقال :

- ما هذا الرقم الغريب؟

فابتسمت وقالت :

- هذا رقم تليفوني المحمول .. خطك

فأسرع يقول بشغف :

- أجل لقد سمعتُ عنه من صديق لي ولم أصدق .. هل فعلا هذا حقيقي؟ ..

هل فعلا يوجد تليفون بلا سلك ويحمله الإنسان معه في الشارع؟

ووضعتُ المرأة يدها في حقيبتها وأخرجتُ تليفونها المحمول قائلة :

- هذا هو

فنظر تامر مذهولا وقال :

- سبحان الله .. وهل هذا غالي الثمن؟

- إلى حد ما

- هل يُباع في مصر؟

- نعم .. لكن من النادر جدا أن تراه مع أحد

- إن شاء الله أشتري واحدا



- طبعا طبعا
- ووقفت المرأة وقالت له
- أستاذك وسأنتظر منك مكالمة
- كانت المرأة الشقراء تتحدث بجدية جعلت تامر لا يفكر أبدا في المزاح أو الخروج خارج حدود العمل بكلمة أو ابتسامة ، وفي المساء اتصل بوعده ، وتحدثا طويلا وقبل أن يُنهي المكالمة سألته :
- هل وجدت شيئا مناسباً لشتره؟
- فأخبرها أن موضوع الشقة لم يتوقّر له بعد ، ثم أخبرها عن فيلا الدكتورة جاسيكا فسألته :
- كم ثمنها؟
- هي تطلب مليونين .. لكن من الممكن تنزيل السعر
- إذن علينا أن نضغط عليها وننزّلها للمليون ونصف مناصفة بيبي وبينك
- فاندesh تامر الغمراوي وسألها :
- وهل معك سبعمائة وخمسون ألفا يا وعد؟
- نعم معي .. وأنا أسألك لماذا لم تخبرني عنها منذ بداية مكالمتنا؟ .. هل تريد أن تغدربي وتشتريها وحدك أيها الغدار؟
- لا والله .. بل لم أخبرك لأنني لم أتوقع أن يكون في قدرتك أن تدفعي نصف ثمنها
- بل في قدرتي ذلك وأكثر.. المهم هل تقدر أنت؟
- بصراحة هذه صفقة كبيرة سنكسب منها الكثير وأنت شجعتني .. لذلك سأجمع كل أموالي ونشتريها مناصفة .. لكن أتمنى أن توافق المرأة على مليون ونصف



- المهم أن نذهب ونرى الفيلا أولاً .. فقد لا تستحق حتى المليون ونصف
- معكِ حق .. عليكِ أن تأتيني المكتب غدا .. ثم نذهب سويا لمعاينة الفيلا
- قالت ضاحكة :
- كما تريد .. ولكن عندما أتيك هل سيكون عملاً أم؟
- ربما الاثنان
- وذهبت له إلى مكتبه .. جلستُ وطلب لها مشروباً ثم فتح الصفحة التي سجّل فيها بيانات الفيلا ليتصل بصاحبها ، وإذا به ينتبه إلى أنّ رقمها شيئاً جديداً عليه ولا يعرف كيف يتصل بها ، فأخبروعد بذلك فقالت له بكل هدوء :
- يمكنك أن تتصل من تليفونك الأرضي .. لكن يجب أن يكون فيه خاصية المباشر
- للأسف هو محلي فقط
- فابتسمتُ له ثم وضعتُ يدها في حقيبتها وأخرجتها بتليفون محمول قائلة له -
- قل لي الرقم
- فبرقتُ عينا تامر وضرب جبهته مندهشاً وقال :
- ما هذا؟ .. أنتِ أيضاً؟! .. أنا خائف أن أكون أنا الوحيد في مصر الذي لم أحمله .. أخبريني بسرعة .. من أين اشتريتِ هذا الشيء؟
- فعدت وعد وابتسمتُ قائلة :
- لا تقلق .. ستحمل أنتِ أيضاً هذا الشيء
- وأخرجتُ من حقيبتها تليفوناً محمولاً آخر ، وناولته له قائلة :
- خذ .. هيا انضم للأغنياء .. واعتبره هدية مني لك وبالخط أيضاً

وهنا وقف تامر الغمراوي والتقطه منها والفرحة تملكه ، ولسانه لا يتوقف عن شكرها ، وعلامات الذهول والدهشة تبدو في كل تصرفاته وكلماته .
 واتصل بالدكتورة جاسيكا ، وذهبا وعائنا الفيلا فأعجبتهما كثيرا ، ووافقتْ
 الدكتورة على مليون ونصف بعد تفاوضٍ طويلٍ ، لكن كان هناك أشخاصٌ آخرون
 يعاينون الفيلا في نفس الوقت ، فقلق تامر كثيرا بسبب ذلك ، وخاف أن يسارعوا
 ويشتروها قبلهما ، فترك عربونا كبيرا للدكتورة جاسيكا ، لكنها اشترطت عليه أن
 يدفع البقية ويتمَّ البيع صباح الخميس كآخر مهلة ، وإلا ستبيع لغيرهما ، فوافق
 على كل كلامها دون اعتراضٍ منه على شيء .

وكان اليوم صباح الأربعاء .. انشغل تامر خلال اليوم كله بتجهيز سبعمائة
 وخمسين ألفا نصف ثمن الفيلا ، وكان قد اطمأنَّ من وعد إلى أن مبلغها جاهز ،
 وصار من الحتمي أن يتمَّ دفع ثمن الفيلا وكتابة العقد والتوكيل صباح الخميس
 كما اشترطتْ جاسيكا .

اتصلتْ وعد بشريكها تامر منتصف اليوم تخبره بأنها قلقة وتطلب منه أن
 يذهب أولا قبل أن يدفعها بقية المبلغ صباحا فيطمئن على أوراق الفيلا بنفسه من
 صاحبها ومن حي مدينة نصر ، وبالطبع لم يكن أمام تامر وقتٌ لذلك ، وكان قد
 دفع مبلغا كبيرا كعربون ، وخاف إن طلب التأجيل ألا توافق صاحبة الفيلا ، وقد
 تلجأ كما قالت لبيع الفيلا لآخرين .

وأراد تامر أن يُشعر شريكته وعد بالاطمئنان ، فأخبرها كاذبا أنه ذهب بالفعل
 واطمأنَّ على كل شيء ، وعلمها ألا تقلق ، وما عليها إلا أن تثق به وتعتبره المسئول

عن أي شيء ، فأكدت عليه بنبرة جادة وكزرت كلامها وهي تخبره أنها لا تعرف غيره ولن تتركه إن ضاعت أموالها .

وفي صباح الخميس ذهبا معا إلى الفيلا ، ودفعا المبلغ للدكتورة جاسيكا مع كتابة عقد ابتدائي ، ثم همست وعد لتامر أنها ستركب مع جاسيكا في سيارتها حتى الشهر العقاري تجنبنا لاحتمال أية محاولة نصب من الدكتورة ، فضحك تامر هازنا من كلامها وقال :

- هي دكتورة يا وعد .. هل سمعتِ عن دكتورة تنصب؟ .. النصب يا حبيبي يخرج من أمثالي وأمثالك فقط

فقالته بلهجة تبدو غاضبة :

- قصدك أمثالك أنت يا تامر

- هل غضبت؟

- نعم غضبتُ

قال باسم في صوت هامسٍ حتى لا تسمع جاسيكا :

- لا تغضبي سأصالحك الليلة في شقة المكتب .. فقد اشتقتُ إليك كثيرا

وركبتُ وعد مع تامر في طريقهما للشهر العقاري ، ولم يتوقف تامر خلال الطريق عن أن يفتخر بنفسه لأنه أنجز صفقة العمر ، وعليها أن تشكره كثيرا وتحفظ له أن جعلها تريح مالا كثيرا في صفقة واحدة ، فألقت عليه وعد نظرة غريبة بطرف عينها ، وأخذت نفسها عميقا ثم قالت :

- ما رأيك ألا نبيع الفيلا يا تامر؟ .. نتركها ونكتبها باسمي واسمك ونعيش فيها

معا

ونظر لها تامر باستغرابٍ ، وقال كأنه يمزح :

- وماذا نفعل بها معا؟
- نعيش بها سويا بعد أن نتزوج
- إن شاء الله يا وعد .. إن شاء الله
- قالها سريعا كأنه يتهرب من الحديث في هذا الأمر ، فراححت تقول له :
- أنت وعدتني ألا تتخلى عني يا تامر .. أم نسيت أنك أفقدتني عذريتي؟
- قلتُ لن أتخلى عنكِ يا وعد
- إذن هل وافقت على أن نتزوج في الفيلا؟
- طبعاً طبعاً .. وسنتحدث أكثر في موضوع الزواج هذا بعد تسجيل الفيلا
- فاستدارت قليلا في مقعدها ليكون وجهها له وقالت :
- تامر عندي خبرلك .. لا أعرف إن كان سيفرحك أم يحزنك
- ما هو؟
- سكتت قليلا ثم قالت :
- أنا حامل
- وهنا ضغط تامر على الفرامل فجأة وأخذ جانبا وتوقف قائلا :
- ماذا قلت؟
- أنا حامل منك
- كيف عرفت؟
- عندما غابت الدورة ذهبتُ للطبيب فأخبرني أنني حامل وأعطاني تقريرا

بذلك

وظلّ تامر صامتا في ذهول فقالت له :

- أظنُّ أنّ هذا سيجعلنا نتزوج سريعا

- طبعاً طبعاً

- أظنكَ عرفتَ سبب طليي الاحتفاظ بالفيلا لنا

قال تامر في نبرة هادئة :

- إن شاء الله بعد تخليص الأوراق سنتحدث

- أنا قلقة منك يا تامر

- لا تقلقي يا حبيبتي

وأدار تامر سيارته . ووعده تراقب بطرف عينيها ما طرأ على وجهه من تعبيرات التوتر الشديد . ولم يصدر بينهما أي كلام حتى وصلا للشهر العقاري ، فركن سيارته جانبا ، ودخل وبجواره وعد .. لم يجدا الدكتورة جاسيكا بالداخل .. اتصل بهاتفها المحمول فوجده مغلقا .. بحث عنها في كل مكان داخل حجرات الشهر العقاري فلم يجدها .. إنها لم تصل بعد .. ولن تصل أبدا .

وكانت وعد لا تزال تراقب تحركاته وحالته القلقة وهي في قمة متعتها وسعادتها .. تمنّت لو تطول تلك اللحظات كثيرا وهي تشاهده هكذا متوترا زائغ البصر والبصيرة .. بالطبع إنها لن تملّ أبدا من مشاهدة هذه النهاية الحزينة لقصة تامر الغمراوي معها .. وتمنّت أيضا لو كانت معها نهاد ابنة خالتها لتستمع هي أيضا بمشاهدة هذا الشاب النصاب المسكين الذي احتال عليها في عشرين ألفا ، فسلبته سبعمائة وخمسين ، هي كل ما يملك في الحياة .

أجلّ أجل .. فلتأتِ الآن نهاد وترى وجهه وهو يتحسرو ويهذي إلى درجة الاقتراب من الجنون ، حيث يبدو أنه خسركل شيء ، هذا غير الخزي والعار الذي قادته وعد إليه لكي يعيش معه بسبب حجج التهرب التي سيلجأ إليها تهربا منها ، ثم الهرب بعيدا بعيدا عنها ، والله إنها ليست أقل من شيطانة غجرية جاءت من جحيم لتُرسل ضحاياها إلى الجحيم .

اتصلتُ وعد بتامر مساء يومه المنحوس ، تسألته وهي تبكي عن أية أخبار عن جاسيكا .. أخبرها في صوتٍ مخنوقٍ أنه أسرع إلى الفيلا بعد أن تركها بالشهر العقاري ، فأخبره الحارس أنّ الدكتورة جاسيكا صاحبة الفيلا الحقيقية بكندا ، ولم تأتِ لمصر منذ عام ، فسألته عن المرأة الشقراء التي باعت لهما الفيلا ، فأجابته الحارس بأنها مجرد مستأجرة استأجرت الفيلا لأسبوعين ، لكنها لم تكملهما بسبب ضرورة سفرها المفاجيء .. سأله عن اسمها ، فأخبره أنّ اسمها كما أخبرته هو جاسيكا أيضا .. سأله عن كتب لها عقد إيجار الفيلا فأخبره أنه من أجر الفيلا لها دون عقد بعلم صاحبها جاسيكا الحقيقية ، وهذا أمرٌ يتبعه في غيابها طالما كانت مدة الإيجار قصيرة ، فذهب مسرعا وأبلغ رجال الشرطة وأعطاهم أوصاف جاسيكا الشقراء ، وصورة من بطاقتها الشخصية ، فأخبروه أنّ صورة البطاقة مزورة .

ورنّ صوتٌ صراخٍ وعد في التليفون وهي تخبر تامر بأنه المسئول الوحيد عن إرجاع أموالها لها ، فهي لا تعرف غيره ، وذكّرتّه بأنها طلبتُ منه وأكدتُ عليه أن يسأل ويطمئن على كل شيء خاص بالفيلا قبل الدفع ، فأخبرها كاذبا في خُرقة أنه سيعيد لها كلّ أموالها ، فعادتُ تصرخ فيه لتسألته هذه المرّة عما سيفعله معها بعد أن أفقدها عذريتها وجعلها حاملا ، فأجابها كاذبا أيضا أنه سيجد حلا لكل شيء .

وكان الحلُّ الوحيد الذي لم تترك له الشيطانة العجربة وعد سواه بعد أن خسركل شيء هو أن يسعى سريعا لبيع سيارته . ثم يجيِّز جواز سفره ، ثم يسترد ما دفعه كمُقَدَّم حين إيجار مكتبه للعقارات ، هذا دون أن يغلق هاتفه أبدا في وجهه وعد حتى لا تشكُّ في شيء ، ثم فجأة في غفلة منها كما يظنُّ مخدوعا ، عليه أن يتجه إلى مطار القاهرة حيث الطائرة التي ستطير به وبجرائمه الثلاثة في حق المسكينة .

كانت الجريمة الأولى أنه أفقدها عذريتها ، والحقيقة أنها هي من أفقدته عذريته ، فلم يكن صعبا لها حين غفلةٍ من تامر الثائر المنتشي أن تضع سائلا أحمر كالدم على مفرش سرير الحرام ، والجريمة الثانية أنه جعلها حاملا منه ، والحقيقة أنها أرادت ذلك الحمل منه أو من غيره طالما ظلَّ زوجها سالم عاجزا عن ذلك ، أو حتى ولو صار قادرا ، لا يهم ، والجريمة الثالثة أنه جعلها تخسر سبعمائة وخمسين ألفا من الجنميات ، والحقيقة أنه هو الذي خسركل ذلك .

فليركب الآن طائرة الهروب مع الحسرة والندم على اليوم الذي وقف فيه بإشارة تقاطع شارعي مصطفى النحاس والطيران بجانب المتسولة وعد ليعطيها رقم تليفونه .. ولينزل المنحوس من طائرته بأي بلد غير بلده التي ولد ونشأ بها ، بلد لا يسمع فيها صوت وعد أو يراها ، وهناك يعيش بقية حياته هاربا إن استطاع أن يُكْمِلها هكذا بحسرتة .. فودعا تامر الغمراوي .

(١٠)

بين ياسين ويدر

بعد بضع سنوات ..

قريبا من موقف الأتوبيسات بالعباسية مساء أحد الأيام في مطعم الشرقاوي ملك الكبدة الأصلي ، كانت المرأة التي كانت شقراء الشعر باسم الدكتورة جاسيكا تجلس في زاوية من المكان .. راحت تضع قطعة من شرائح الكبدة المقلية داخل قطعة خبز ، ثم تغمس طرفها داخل الملح أو الطحينة أو سلطة الكبدة ، ثم تُلقيها في فمها في نهم ولذة ، وتعود فتذهب يدها لكرة مخ مقلية بحجم بيضة اليمامة تقريبا ، وتفعل بها نفس الشيء ، وكانت ترفع إلى فمها خلف كل لقمتين أو ثلاث كوبا صغيرا من الإستانلس ، عندما بدأت الأكل وُضِعَ أمامها هذا الكوب ممتلئا عن آخره بماء السلطة الخضراء المشطشطة ، تشرب منه تباعا ، وكلما فرغ أشارت للشاب العامل أن يملأه من جديد ، فيسارع إليها بذلك طامعا في البقشيش حين دفع الحساب .

وكانت تلك المسماة بجاسيكا تجلس بغير ذلك السميت الأشقر ، فقد كان شعرها الأصفر مجرد باروكة . فلما نزعتهما عن رأسها عادت إلى أصلها ، عادت إلى العجربة صباح ، الزوجة الثانية لسالم ، ولم تكن وحدها تأكل الكبدة والمخ وتشرب ماء السلطة المشطشطة ، فهناك في مواجهتها امرأة ليست أقل جوعا ونهما منها ، تضع على مقعدٍ بجانبها طفلة جميلة صفراء الشعر زرقاء العينين اسمها هايدي .. كانت تلك المرأة هي الشيطانة العجربة وعد المحروس ، وكانت هايدي هي

طفلتها من تامر، وهي الخديعة الثانية التي صار يعيش معها زوجها سالم السعدي ، تماما كزهرة ابنة صباح من رجلٍ غيره .

وكان صوتُ قهقهاتِ العجريتَيْن وعد و صباح يملأُ المطعم ويجذبُ أنظار المحيطين ، وكانت قد تركتُ صباح طفلتها زهرة ، وتركت وعد الطفل ياسين مع المتسولات بإشارة العمل أمام مطعم البرج ، ثم جاءتا من مدينة نصر إلى العباسية لتأكلا .. تذكرتُ صباح ما فعلتاه بتامر الغمراوي ، فقالت ضاحكة :

- أين أراضيك الآن يا تامر؟

وانخرطتُ وعد في ضحكٍ متواصل جعل الجميع يتركون أكلهم ويلتفتون إليهما فصاحت فيهم :

- لماذا تنظرون لنا؟ .. ألم تشاهدوا امرأتين من قبل تضحكان؟

لم يرد عليها أحد ، وأداروا عيونهم عنهما إلى طعامهم ، وعادت المرأتان إلى حالهما من الضحك والقهقهات حتى أنهيتا أكلهما وشربهما ، فقامتا واتجهتا ناحية سيارة مرسيدس عيون ، قادتها وعد حتى مدينة نصر ، وهناك توقفتُ قريبا من إشارة العمل حتى لا تُلفتُ انتباه أحد من زميلاتها أو الزبائن إلى سيارتها الفارهة ، ونزلتُ صباح لإحضار زهرة وياسين .

أخذتُ وعد ياسين مع هايدي وعادت بهما قاصدة سكنها بمنشية ناصر ، وبالطبع ركنتُ السيارة في جراج بجانب شارع الأوتوستراد الرئيسي ثم صعدتُ منه على قدميها طريقا مزدحما بالناس والباعة الذين سدوا الشارع سدا بما يبيعون على امتداده ، ثم خرجتُ من الشارع المزدحم وهي تعاني وتسبُّ جها وسرا كلَّ من حولها لتسلك تلك الشوارع الضيقة الفقيرة العشوائية حتى وصلتُ إلى زقاق أكثر فقرا وضيقا بشارع الرزاز ، فدخلتُ من مدخلٍ ضيقٍ لبيتٍ قديمٍ مهالكٍ تنبعث

منه رائحة صرف بغيضة تصدر من مواسير المجاري الصدئة المثقوبة ، هذا مع رائحة أخرى عَفِنَة انبعثت من أكوام القمامة المبعثرة بمدخل البيت وأمام باب كل شقة تمرُّ عليها .

وصعدتُ وعد منذ دلفتُ من المدخل الضيق سلما مظلما ضيقا أيضا ، لا يتسع إلا لجسدٍ واحدٍ صعودا أو هبوطا ، وخلفها كان الطفلان ياسين وهايدي يحاولان اللحاق بها ، وكانت معظم درجات السلم قد تكسرتُ ، فصارت خطرا على كل من يصعد دون أن يحذر لمواقع قدميه . ولذا فقد تعودتُ منذ حملتُ التليفون المحمول أن تنير شاشته لترى أمامها ، ثم غيَّرتَه بتليفون آخر له مصباحٌ لتبصر من خلاله حين صعود هذا السلم المظلم ليلا ونهارا ، وكانت قبل ذلك تتبع بعينها النور المنبعث من أبواب الشقق المفتوحة ، فالتناس في مثل هذه البيوت العشوائية الفقيرة لا تغلق أبواب شققها في الغالب ، تركها مفتوحة إلى نصفها أو آخرها ليأتيهم منها أية نسمة هواء من أية فتحة عشوائية أو شعاع ضوء أو شمس يتسلل لأجسادهم من ثقبٍ عشوائي أيضا ، فالنوافذ بداخل كل شقة نادرة إن لم تنعدم في بعضها ، ولذلك فأمراض الجسد هناك كثيرة ، وأمراض النفوس أكثر ، وماذا ينتج عن العشوائية غير ذلك؟

وبداخل شقتها جلستُ وعد على كنبه بالصالة الضيقة ما إن دلفتُ من الباب ، وانسحب ياسين وهايدي داخلين إلى حجرتهما الصغيرة التي لا تحوي غير سرير واحد صغير لهما سويا ودولاب موازٍ له ، في حين راحت وعد تنظر إلى الصورة الوحيدة المعلقة على الحائط الملطَّخ بدهان الجير أمامها .

نظرت للصورة باشمئزاز واحتقار ، ودائما لا تُلَقَى منها هذه الصورة كلما رآتها إلا تلك النظرات الساخرة مع هزات رأسها الهازنة .. كانت الصورة لزوجها سالم وحده جالسا على مقعد ، يضع قدما على قدم ، وخده على قبضة يده في تلك الحركة الشاردة الباهتة الممسوخة ، وعلى جانبيه زهرات الورد البلاستيك مع حمامتين صناعيتين يمينا ويسارا ، ومن المؤكد أنه التقط هذه الصورة قبل الزواج ، والتقطها له مصورٌ هاوٍ في أستوديو رخيص .. ولعل سالم كان يظنُّ نفسه فارس أحلام الفتيات ، لكنه الآن لا يساوي شيئا عند حمامتين بشريتين خائنتين له في كل ليلة لا يبيت عندهما فيما ، هما زوجتان لا يريدان منه غير اسم يستندان إليه في سلوكهما الفاجر القذر.

ويا لحظه التّعيس ومصيره الغامض ! ، هذا لأنه قد صار فعلا أكبر عقبة أمام وعد في حياتها الجديدة مع المرسيدس وشقة السادس والأموال الجارية في البنوك من غنيمة معتصم ثم تامر ، إنها بسبب استمرار زواجها منه لا تستطيع أن تترك هذه الشقة وهذه المنطقة القذرة لتسكن في المكان الذي تهواه .

صارت وعد تشعر بنقمة كبرى على زوجها سالم كلما فُكِّرَتْ في أنه من صار السبب الوحيد لمعيشتها في هذه المنطقة العشوائية .. همَّتْ أكثر من مرة أن تطلب منه الطلاق بلا تراجع ، لكنها كانت تتراجع ، فليس هناك من سببٍ واضحٍ يجعلها تطلب ذلك ، وإنما ما زالت رغم نفسها الطموحة الشريرة ومكرها الشديد لا تريد أن تثير أحدا من أهله أو أهلها ضدها ، وليس لديها الوقت والبال لأن تنقل قدميها ما بين المحاكم والمحامين وعملها إنْ عاند معها سالم .

فماذا تفعل العجربة وعد لتنتقل إلى شقة أخرى مناسبة لها بطريقة لا تُغضب سالم وفي نفس الوقت لا تنقله معها؟ .. إنها لم تخبره بأمر سيارتها المرسيديس أو حتى تخبر أحدا من أهلها غير أمها ، فهل تُقدِّم على ذلك وتتقبل فكرة أن تنقله معها إلى حياتها الجديدة التي تأخَّر انتقالها إليها ، أم تصبر حتى تجد حلا عاجلا أو آجلا لتسكبه سكما نهائيا من حياتها للأبد دون إجراءات الخصام والصلح والطلاق؟

في النهاية قررت أن تُكْمِل سكنها لفترة في منشية ناصر مع سالم الذي يأتيها في يومين كريبين لها ، لكنها ألحقت ياسين بمدرسة لغات خارجها ، ربما تخطط لشيء ما ، لذلك أرادت أن تعلمه علم المدارس الغالية العالية ، والعجيب أنه صار يذهب لمدرسة اللغات صباحا ثم يصطحبها للعمل متسولا في المساء .

ومع الأيام صارت تسأم من الوقوف بنفسها في الإشارة لبيع المناديل والتسول كالمتسولات العاديات ، أو ربما قد صارت تستكثر على امرأة في مثل ثرائها وجمالها وأنوئتها أن تقف هكذا كالأخريات ، فكانت تركن سيارتها المرسيديس بعيدا كالمعتاد ثم تذهب لتُشْرِف على العمل في الغالب ، وتُصَلِّح أي شجار يقع بين المتسولات والمتسولين ، ثم تأخذ نصيبتها تاركة الطفلين ياسين وهايدي يتسولان وحدهما أو بالتبعية لأية متسولة بالأجر ، وأحيانا كانت تشتاق للتسول فتعود إليه قليلا ثم تسأم منه سريعا .

لكن ما الذي يجعلها تُبقي جذورا لها في هذا العمل طالما قد صارت تسأم منه؟ .. ثم إنها تمتلك مالا كثيرا من خداعها للمهندس معتصم شرف الدين ، ثم من صفقة الاحتيال والنصب على المسكين تامر الغمراوي ، وفوائد أموالها كفيلة لجعلها تعيش حياة ثرية بلا عمل ، فلماذا التسول تحت أي مسمى؟

الجواب يعود إلى طبيعة حياة الفجر ، أم هل نسينا أنها عجربة الأصل؟ .. تلك ثقافتهم ، العمل ثم العمل ، خاصة للمرأة ، ومهما اكتنزوا فلا يزال بالجيب متسعا للأكثر ، ولأنهم يحترفون عمل التسول ، فهم ينجحون فيه أكثر من غيره وأكثر من غيرهم ، فلماذا يخاطرون بتركه وإن صاروا من الأثرياء؟ .. لماذا يتركون الساحة والميدان الذي يمتلكونه أينما حلُّوا للهواة الذين لا يعرفون كيف يُخرجون النقود من جيوب المارة لجيوبهم بكل رضا وهدوء .

وعلى أيه حالٍ كان لا بد للعجربة وعد من الترقى شيئا ما في عمل التسول ، فتركتُ خلفها مَنْ يحمل العبء عنها فيه ، فهذه نوال نائبةٌ عنها ، وتلك ابنة خالتها نهاد قد عادت إلى التسول بعد أن أرجعت لها وعد العشرين ألفا التي سرقها منها تامر الغمراوي بالاحتيال ، ثم لقد كبر الطفل ياسين المسكين الذي بدَّلته مع طفلها بدرابن بطنها حتى صار بإمكانه أن يرث عنها العمل الذي سئمتُ منه .

وها هو ياسين يتنقّل بين السيارات المتوقفة في الإشارة يحمل علبا صغيرة من المناديل وهو يمدُّ يده عبر نوافذها لأصحابها في إلحاحٍ بغيضٍ إن كانت مفتوحة ، ويطرقتها إن كانت مغلقة ، وها هو يردد :

(ساعدني يا بيه .. ساعديني يا هانم .. أنا طفل يتيم يا أبله .. ساعديني يا مدام .. أنا يتيم وأمى مريضة .. نصف جنيه يا بيه)

وكان أصحاب السيارات بالطبع يرمقونه بنظراتٍ من الشفقة والعطف لأنه طفلٌ صغير مع نظراتٍ من السُّخْط على كبار المتسولين حوله ، لكن منذ متى كان المتسولون كبارا أو صغارا يبالون بشيء من هذه النظرات إن لم يصاحبها مدُّ الأيدي بالمال لهم؟ .. إنهم لم يستحووا من الله عندما احترقوا سؤال الناس ، فهل يستحون من بشر أو يبالون بنظرة لوم أو استهجان؟ .. لا أظن أن هناك متسولين

يشعرون بالخجل من الناس؟ .. وإنه لمن الغريب أن كثيرا منهم في قرارة ذاتهم قانعون ومقتنعون أنهم يمارسون مهنة شريفة وأنهم يستردون حقا لهم من أيادي المجتمع الظالمة ، لهم أن ينالوه بالحسنى فيرضوا ، وإلا فالسرقة والنهب مشروعان حينذاك دون لوم وذنب .

في كل الأديان السماوية يوجد حثٌ للناس على الصدقات ومساعدة المحتاج ، لكن لأنَّ العقل البشري بطبعه فطنٌ مآكرٌ، فقد اتخذت تلك الحفنة الكسولة من البشر مواعظ الحث على الخير دافعا للخروج ومدد اليد طلبا للمساعدة من الناس .. يعرف هؤلاء الكسالى الأذكياء أنَّ الناس تحبُّ تقديم الخير ، فخرجوا وملأوا الشوارع لأخذ هذا الخير بالحيلة ، وجهلوا أنَّ هناك بجانب الحثِّ على الصدقة خلقا جميلا هو التعفف .. وبالطبع فإنَّ لكل إنسان الحق والحرية في أن يُعطي المتسول أو يمنعه .. إنَّ أعطيتَ محتاجا منهم أخذتَ ثوبا ، وإنَّ أعطيتَ غير محتاج أخذتَ ثوبا أيضا ، ويبقى أن يحمل من يتظاهر بالحاجة منهم وزر الكذب والخداع .

ومن المثير للدهشة والألم والضحك معا أن يمرَّ الشخصُ بمتسولٍ فيسمع منه أجمل كلمات الأدعية له بأنَّ يحفظه الله ويحفظ الأولاد والزوجة ، وأن يوسع من رزقه ويمد كثيرا في عمره ، ويصاحبُ ذلك مدُّ اليد وطلب المال فإنَّ أعطاه الشخص تركه لغيره ، وإنَّ تجاهله ولم يُعْطِه تنقلب الأدعية التي كانت له أدعيةً أخرى عليه ، يحدث هذا في السر أو العلن بصوتٍ منخفضٍ ، والأكثر ألما أنه يحدث أيضا من أطفال وصبية .

ولذلك فقد كان كل ما يتعلمه الطفل ياسين في المدرسة صباحا على أيدي المعلمين يهدمه في المساء الطفل ياسين المتسول على أيدي الشارع ، ذاك المعلم الأكبر الذي صبغه بكل ما هو شرومكر ، فصار غرسا سيئا ، ولم لا؟ .. فقد شرب حتى آخره من بئر مربيته العجرية وعد ، وطعم مع طعامها الحرام كل مكرها وغدرها ، وارتوى نبتة اليافع من كل خصالها؟ .. لقد صار نسخة كربونية منها ، لا يميزهما عن بعضهما غير أنها الشيطانة الكبيرة ، وهو تلميذها الشيطان الصغير .

دخل عليها ذات يوم عائدا من المدرسة بحذاء غير حذائه فقالت له :

- هذا الحذاء ليس حذاءك .. من أين أتيت به؟

قال لها وهو يبتسم :

- أعجبتني فخلعتُ حذائي وبدلته مع صاحبه

- وهل رضي صاحبه؟

- طبعا لم يرضَ في البداية فأقنعتَه وبدلته .. ثم أراد أن يسترد حذاءه

فضربته ولم أوافق

- لكن حذاءك أفضل يا ياسين .. أعدْ له حذاءه غدا واسترد حذاءك

- سيظن أني خفتُ منه

- قل له إن ياسين لا يخاف من أحد

- طبعا أنا لا أخاف من أحد

وفي يومٍ آخر ما أن عاد لها حتى أخرج من حقيبته مِقلمة ليست له .. رأتها

فسألته :

- من أين أتيت بها؟

فقال في زهو:

- سرقتها

فضحكتُ قائلة :

- أيها اللص الصغير ستنفعي كثيرا عندما تكبر

- هل تُعجبك المقلمة يا ماما؟

- نعم .. لكن أَعدها لصاحبها غدا ولا تسرق بعد ذلك شيئا بلا قيمة .. إنْ

سُرقت اسرق جمل

فعاد لها في اليوم التالي وبيده فردة حلق ذهب ، فتناولته منه وعرفتُ أنه ذهب

فقالته له بفخر:

- ياسين يا حبيبي بمثل هذا آتني دائما .. وهكذا أحبك أكثر

- إذن كل يوم سأتيك بذهب

قالت له برفقٍ مصطنعٍ :

- أخبرني كيف أتيتَ بهذا الحلق الذهب؟

فابتسم الولد وراح يأكل كعكة محشوة بالعجوة ويقول :

- رأيته أسفل مقعد البنات .. فأخذته بكل سهولة دون أنْ أخبر أحدا

فضحكتُ وعد قائلة :

- وأنا مَنْ ظننتُ أنك قد صرتَ لصا كبيرا

فقال لها ياسين :

- هل هذا الحلق يساوي ثمن دراجة؟

- هل تريد دراجة؟

- نعم يا ماما أرجوكِ

- حسنا حسنا .. سأشتري لك دراجة طالما قد صرتَ تكسب المال الكثير وأقبل الولد عليها يقبلها ففتحتُ ذراعها له وقبلته ، وكانت المرة الأولى التي يحدث بينهما ذلك حتى أنها استغربتُ هذا منه ومن نفسها وقالت :

- يبدو أنني سأحبك يا ياسين

فأسرع لها الطفل يقول مستغربا :

- ألم تكوني تحبينني يا ماما؟!

فابتسمتُ وقالت :

- أقصد أنني سأحبك أكثر

وبالطبع فهي لم تنسَ يوما أنه ليس ابنها ، إنه ابن مهندسة الديكور الثرية أحلام المصري ، أما ابنها فهو هناك في أفخم قصرٍ بالزمالك ، تربيته لها بنت الذوات تربية أولاد الذوات ، لكن عشرة الأيام والسنين قد تجلب الحبَّ حتى بين الشياطين. وإنَّ الرجل والمرأة قد يتزوجان زواج الصالونات ، ثم تطول بينهما السنوات التي تلد الحب لهما كأنه جنينٌ نقي ، إنَّ نما بين يدينِ حانئتين شبَّ أفضل بكثيرٍ من قصص الحب التي تدبل بعد الزواج ، وواعد وإنَّ كانت بقلبٍ ميتٍ في الغالب فإنه في النهاية موجود ، حيث لا إنسان بلا قلب ، لذلك فمن الوارد أن تحب ياسين بسبب طول العشرة بينهما وإنَّ كان حبا منقوصا ، أما ياسين فهو طفلٌ صغير ، وواعد له هي الأم التي أنجبته .. لم يشك في ذلك يوما ، ومن الطبيعي أن يحب الطفل أمه حتى ولو كانت قاسية .

لكن ما قد جعل القلب ينزف حزنا يوم أن وقف الطفل ياسين وسط الشارع يواصل عمل التسول في ساعة ممطرة ، وكانت مساحات السيارات تتسارع وهي تنفض الماء عن الزجاج ليبدو لراكبيها المختبئين من المطر طفلٌ صغير يُمسك بعلبة

منديل مبتلة تمتد بها يده ناحية النوافذ المغلقة ، في الوقت الذي راح فيه بعض الأطفال يطلبون من ذويمهم فتح النوافذ لتمتد أيديهم منها عبثا ومرحا ليجمعوا قطرات المطر فوق أكفهم في سعادة طفولية تُبهجهم وتُبهج قلوب الأهل .

ليس هذا فقط ، بل كان المنظر الذي يجعل حتى أشد النفوس قسوة تبيكي ، هو أن من بين هؤلاء الأطفال العابثين مرحا بالمطر كان الطفل بدر معتصم شرف الدين .. كان يركب في المقعد الخلفي خلف أبيه المهندس معتصم والمرأة الطيبة الحانية أحلام التي يظنها أمه وتظنه ابنتها .. نقل بدر نظراته من المطر إلى الطفل المتسول ياسين صائحا :

- بابي .. مامي .. انظرا إلى هذا الولد هناك .. كيف يقف تحت المطر هكذا؟

انتبه الأب أولا ، فنظر إلى ياسين وابتسم ثم قال لبدر:

- قل الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا

فراح بدر يردد خلف والده ، بينما كانت الأم منشغلة بالتحدث في تليفونها المحمول ، فلما انتهت لبدر وهو يشير تجاه الطفل المتسول ياسين التفتت إليه ، فإذا بها بطريقة لا إرادية تُلقي الهاتف من يدها ولما تنته مكالمتها ، وقد ظلت بعدها لسنوات لا تنسى هذا الموقف ، وتبحث عن تفسير لما فعلته .

أَلقتْ هاتفها ، بل صرختُ في زوجها معتصم أن يقف جانبا ، ونزلتُ من السيارة مسرعة إلى الطفل ياسين .. أخذتُ بيده بكل رفقٍ وحنان ، واتجهتُ به تحت سقف كابينة مرور ، وظللتُ تمسح بيديها ماء المطر عن شعره ووجهه ، وسألته:

- ما اسمك؟

أجابها مبتسما بصوتٍ رقيق :

- ياسين

فقالت بكل حنان وهي تنظر إلى وجهه وتبتسم :

- لا تقف تحت المطريا حبيبي

فنظر لها الطفل ياسين نظرة ارتياح ، وظلَّ لفترة لا يتكلم ثم قال بصوتٍ

يرتجف :

- أنا أحب الوقوف تحت المطر

فقالت له وهي تبتسم :

- حبيبي هل تريد أن تمرض؟

- لا

- إذن اسمع كلامي .. أنا خائفةٌ عليك

- لكن يجب أن أجمع مالا كثيرا

- سأعطيك مالا كثيرا

وظلَّ ياسين ينظر لها منتظرا أن تُعطيه مالا ، وظلَّت تنظر له دون كلام ثم قالت :

- انتظرنى يا حبيبي سأعود حالا

وعادت مسرعة إلى السيارة ، وتناولت نقودا كثيرة من حقيبتها ، ثم مدت يدها

لجاكت بدر في المقعد الخلفي .. أخذته على يدها .. عادت إلى ياسين الذي ظلَّ يتابع

كل خطواتها بشعورٍ غريبٍ .. ألبسته الجاكت بيدها ووضعت داخله النقود قائلة :

- الجاكت والنقود لك .. وهيا عد لبيتك الآن

- شكرا يا هانم

- لا تعمل تحت المطر مرة ثانية

- حاضر
- وتركته خلفها في حين ظلت عيناه متعلقة بها حتى ركبت سيارتها ، فرفعت يدها تلوح له ، ورفع يده يلوح لها ، ثم التفت المهندس معتصم إلى ابنه بدر وقال له :
- هذا الولد يشبهك كثيرا يا بدر
- وعقبت المهندسة أحلام قائلة :
- فعلا والله
- فأسرع بدر غاضبا يقول :
- كيف تقولان ذلك؟ .. إنه متسول
- قالت الأم بلهجة غاضبة :
- إنه فقير يا بدر.. ويجب أن نساعد الفقراء .. اشكر الله أن جعلك غنيا
- قال بدر بنفس الغضب :
- لكن الجاكت يا مامي
- سأشتري لك غيره يا بدر
- ودخل ياسين على وعد مرتديا جاكت بدر ، ولم يكن يحكي لها قبل ذلك عما يحدث له أثناء عمله في التسول من مواقف وأحداث على كثرتها كل يوم ، لكنها ما إن رآته حتى سارعت تسأله :
- من أين هذا الجاكت الجميل؟ .. ولماذا عُدت مبكرا؟
- فقال لها مسرورا :
- أعطته لي امرأة طيبة جدا .. وأعطتني معه خمسمائة جنيهه
- فسارعت تسأله بلهفة :
- أين هي؟

فأخرج من جيبه كل ما فيه .. تناولت وعد النقود بفرحٍ ثم سألته سؤال كل يوم :

- هل نسيت نقودا أخرى معك؟
- لا يا ماما
- ماذا ركبت من مدينة نصر إلى المنشية؟
- ركبت الأتوبيس ككل يوم
- أريدك أن تعتمد على نفسك .. أنت لست صغيرا
- طبعاً يا ماما
- هيا ادخل وغير ملابسك المبتلة .. وأكلك هناك في المطبخ
- حاضر يا ماما

أما عن الطفل بدر، فلم ينقطع طوال الطريق إلى فيلتهم في الزمالك عن السؤال عن الأطفال المتسولين والفقراء وعن آبائهم وأمهاتهم وإخوتهم ومنازلهم ، وعن سبب التسول وال فقر ، وكيف يترك الأهل أولادهم هكذا في الشوارع ، وكان أبوه المهندس معتصم شرف الدين دائما بعد كل إجابة يطلب منه أن يشكر الله . وكانت المهندسة أحلام خلال ذلك شاردة القلب والعقل مع ياسين المتسول ، وكانت دموعها تسيل من خديها فتوارىها كلما طافت بذهنها معه تتذكر حالتها عندما رآته ، وقد ظلت تقسم لزوجها معتصم بقية الطريق أنها لم تشعر بنفسها أبدا وهي تلقي الهاتف من يدها ، حتى إنها لم تتذكر أنها صرخت في وجهه أن يقف بالسيارة جانبا ، وشرع الزوجان يفكران في سبب هذا الشعور الخفي الغريب تجاه الطفل ياسين ، والذي سيطر على أحلام وأخذ منه معتصم نصيبا ، لكن بالنهاية اقتنع الاثنان أن ذلك قد حدث بسبب الشبه الكبير بين ابنيهما بدر والطفل المتسول في الشكل والعمر .

وفي فيلا الزمالك أسرعَتْ مربيةٌ بدر تحمله من أسفل سلم الفيلا إلى الداخل بالأعلى ، فأدخلته إلى الحمام ، وظلَّت قريبا منه حتى اغتسل ، فناولته منشفته وملابسه الداخلية ثم ألبسته البقية .

وكانت خادمة الأسرة الجديدة امرأة كبيرة السن بقلبٍ حنون ، قد وضعت ما لذَّ وطاب من الطعام على السفرة المذهبة جوانبها حيث جلس بدر بين الزوجين الهانئين يأكل طعامه اللذيذ ، وحيث يتسابق الاثنان في حثِّه على أن يأكل أكثر ، فإن لم يستجب لهما وعدها بهدية جميلة في الغد إن استجاب وأكل ، وما أكثر الهدايا له في كل يوم ! ، وما أكثر ألعابه غالية الثمن التي تملأ كل أركان حجرته الواسعة المزينة بأروع الأثاث ، والمكسوة جدرانها بأحدث أنواع ورق الحائط ذي الألوان والرسومات الطفولية المبهجة!

وأما والده المهندس معتصم شرف الدين فقد تاب إلى ربه وحجَّ البيت الحرام ، فهو بالطبع لم ينسَ تلك الشهور التي عاشتها معهما الخادمة وعد في الفيلا ، ولم ينسَ لحظات الحرام معها التي أنجبت منها الطفل الحرام ، وقد فكَّر كثيرا في لحظات الورع ونوبات الخشوع أن يبحث عن هذا الطفل ليحميه بأية طريقة من بين براثن أمه الشيطانة ، ثم كان يتراجع سريعا خوفا من أن يجلب القلق إلى بيته المستقر ، واعتمادا على أنه قد أمَّن مستقبله تأمينا يُريح الضمير ، والأب المسكين لا يعلم أنَّ الطفل الحرام هو بدر الذي يحيا منعما بين يديه وأمام عينيه ليل نهار ، وطفله الحلال هو ياسين المتسول تحت المطر والشمس وقهر الأيام .

وعلى أية حال فإنَّ مأساة معتصم رغم هولها لا تُقاس بمأساة زوجته المسكينة أحلام المصري التي كتب عليها القدر أن تُربي في حضنها طفلا حراما هو بدر ابن الخادمة العجرية في الحقيقة ، وضع زوجها الحبيب غرسه بالخيانة لها في

الخدامة ، وعلى ابنة الأصول أن تتعهد هذا الغرس الحرام فوق كفيها يوما بيوم دون أن تدري ، تَسْقِيهِ مِنْ دُمُوعِهَا وَخَوْفِهَا عَلَيْهِ لِيَشَبَّ رَجُلًا سَوِيًّا ، فِي حِينِ أَنْ ابْنِ بَطْنِهَا الْحَلَالِ هُوَ يَاسِينَ الَّذِي بَدَلْتَهُ الشَّيْطَانَةُ الْغَجْرِيَّةُ بِبَدْرٍ لِيَحْيَا الْمَسْكِينِ يَاسِينَ هُنَاكَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْطَانَةِ حَيَاةَ الْأَشْقِيَاءِ مَتَسَوِّلًا تَحْتَ الْمَطَرِ وَالشَّمْسِ وَقَهْرَ الْأَيَّامِ .

فِي الْمَسَاءِ دَخَلَ الطِّفْلُ بَدْرٌ حَجَرْتَهُ مَعَ الْمَرْبِيَّةِ ، فَجَلَسَتْ بِجَانِبِهِ عَلَى السَّرِيرِ تَحْتَهُ عَلَى أَنْ يُنْهِيَ كُوبَ اللَّبَنِ الشَّهِي اللَّذِيذِ ، وَمَا إِنَّ شَرَعْتَ تَحْكِي لَهُ حِكَايَةَ جَدِيدَةً حَتَّى أَخْبَرَهَا أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ حِكَايَةَ اللَّيْلَةِ مِنْ أُمِّهِ أَحْلَامٍ .. هَكَذَا يَظُنُّ أَنَّهَا أُمُّهُ .

وَخَرَجَتْ الْمَرْبِيَّةُ وَعَادَتْ بِمَدَامِ أَحْلَامٍ .. لَمْ تَشَأْ أَبْدَأْ أَنْ تَرْفُضَ لَهُ طَلِبًا ، وَرَغْمَ أَنَّهَا فِي مَنْتَصَفِ حَمَلِهَا بَبَنْتْ كَمَا أَخْبَرَهَا الطَّبِيبُ إِلَّا أَنَّهَا اسْتَلْقَتْ بِكُلِّ حَبِّ بِجَانِبِ ابْنِهَا ، هَكَذَا تَظُنُّ أَنَّ ابْنَهَا .. حَكَّتْ لَهُ أَكْثَرَ مِنْ حِكَايَةِ حَتَّى نَامَ فَنَامَتْ بِجَانِبِهِ .

وَفِي الصَّبَاحِ تَنَاوَلَ السَّائِقُ مَسْعُودَ حَقِيبَةَ الْأَمِيرِ الْمَدْلُولِ بَدْرٍ مِنَ الْمَرْبِيَّةِ عَلَى سَلْمِ الْفَيْلَا ، ثُمَّ سَارَ بِجَانِبِهِ حَتَّى السَّيَّارَةَ .. فَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ بِكُلِّ رَفْقٍ وَحَرَصٍ عَلَيْهِ .. قَادَ السَّيَّارَةَ حَتَّى مَدْرَسَتِهِ الْأَجْنَبِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالتَّجْمَعِ الْخَامِسِ لِيَقْضِيَ يَوْمًا دَرَّاسِيًّا رَائِعًا بَيْنَ أَطْفَالٍ فِي مِثْلِ ثَرَاثِهِ وَرَقِيهِ وَمَسْتَوَاهِ الْاجْتِمَاعِيِّ ، وَعَادَ بَعْدَ يَوْمِهِ الدَّرَّاسِيِّ لِيَرْتَمِيَ بَيْنَ أَحْضَانِ النِّعِيمِ .

(١١)

الشيطانة العجريتة تعشق

صيف سنة ٢٠١٣

تركتُ العجريتة وعد شقتها بمنشية ناصر إلى شقة كبيرة فاخرة بالرحاب ، وكان هذا قرارا صارما اتخذته ونفذته في النهاية بعدما بلغت مبلغا لم تستطع بعده أن تتحمل زوجها العجري سالم السعدي .. لم تعد تبالي به أو تبالي بغيره من أهله أو أهلها ، فطالبته صراحة بالطلاق فرفض رفضا قاطعا ، فعرضتُ عليه مالا مقابل ذلك فعاند أكثر .

تركتُ شقتها وهي لا تزال زوجته ، وانتقلتُ إلى الرحاب دون أن تخبر أحدا بمسكنها الجديد ، وغيّرتُ أرقام هاتفها وهاتفي ياسين وهايدي .. حاول سالم كثيرا أن يصل إلى أرقام الهواتف الجديدة حتى وصل أخيرا ، فاتصل بها ، فطالبته بعدم الاتصال طالما يعاند معها ، فقال لها الزوج المخدوع :

- أريد أن أرى أولادي
- إن طلقتي سأجعلك تراهما
- لن أطلقك أبدا يا وعد .. سأجعلك مُعلّقة هكذا كالطيور المحنطة
- ولمَ هذا الشر؟
- لأن الأموال غيرتكِ وصرتِ تكبرين عليَّ .. أنتِ إنسانة خسيصة
- الزم حدودك يا سالم
- أريد أن أرى أولادي يا وعد
- طلقني أولا

- لن أطلقك

- إذن لن تراهم أبدا

وكانت حياة الرحاب مختلفة تماما عن الحياة في منشية ناصر ، الفرق بين الحياتين كالفرق بين الجنة والنار ، والصحة والمرض ، والأمن والذعر ، وكان ياسين رغم دراسته في مدارس اللغات قد عاش حياة هؤلاء الفقراء والمتسولين هناك .. أصحابه من هؤلاء إما أن يكون بلطجيا أو لصا أو متسولا أو محروما يائسا بائسا ، وكانت أخته هايدي لا تختلف عنه في ذلك إلا قليلا ، فلما انتقلا إلى الرحاب لقيا صعوبة في البداية قبل أن ينخرطا في المجتمع الراقى الجديد .. في الرحاب لا تجد إلا حياة منظمة نظيفة منتظمة راقية في الظاهر غامضة الباطن ، وكلُّ شيء بحساب ، حتى إنَّ كلَّ كلمةٍ من ساكنيها مقصودةٌ دون ثرثرة .

وياسين الذي كان لسنواتٍ كثيرةٍ يعمل في التسول أحيانا وفي السرقة والنصب حيناً آخر ، ها هو قد صار شابا في السابعة عشرة من عمره ، يحمل على أحد كتفيه حقيبة نازلا من شقتهم الجميلة ليركب سيارة العجربة الجيب الجديدة مع أخته هايدي ، وما هي إلا دقائق معدودة حتى وقفتُ وعد بسيارتها أمام نادي الرحاب لينزل ياسين وهايدي ليقضيا وقتا جميلا طويلا في النادي ، بينما جلستُ مدام وعد مع سيداتٍ تعرفتُ عليهن ، وانخرطن جميعا يتحدثن في أمورٍ تفهم وعد بعضها بسهولة ، لكنها تعجز عن أن تجارهن في الكثير ، فتهرب للصمت الطويل الآمن .

وكانت وعد لا تزال رغم انتقالها إلى تلك الحياة الجديدة في كل شيء تداوم على الذهاب بين وقتٍ وآخر إلى إشارة التسول في تقاطع شارعي الطيران ومصطفى النحاس ، والغريب أنها صارت تبدل ملابسها وتتخفّى لتعود للتسول بنفسها بعدما كانت قد اقتصرتُ على مجرد الإشراف .. دفعها إلى ذلك أنه لم يتبقَّ معها من المال

إلا القليل ، إن اعتمدت عليه فقط ستعود للفقير القديم ، فلم يكن لها من عملٍ تحترفه وتتقنه كثيرا غير التسول .

إنَّ معظم رصيدها في البنك قد أنفقته على شراء شقتها الكبيرة في الرحاب وتغيير سيارتها إلى سيارة أغلى ثمنا ، وحياتها الجديدة مع الغلاء الفاحش صارا يكلفانها بذل الكثير من الأموال في كل يوم ، وصار ياسين وهايدي يحتاجان لأموالٍ كثيرة من أجل دراستهما الأجنبية ، لقد أدخلت الاثنتين نفس المدرسة التي بها بدر وأخته من أحلام لشيء في نفسها الطامحة الشريرة .

ووعد بالطبع لم تنسَ ابنتها بدريوما واحدا ، فهي منذ أن غرسته في التربة الثرية تنتظر هذا اليوم الذي يكبر فيه لتعيده إليها بكل ثرائه ، أو تذهب له بكل طموحها ومطامعها الشريرة .

كانت منذ اليوم الذي بدلته مع ياسين تراقبه من بعيد .. كانت تنتظر الساعات أمام فيلا الزمالك الفخمة لتراه بينما يركب السيارة متوجها إلى مدرسته ، وتراه بينما يعود منها داخلا إلى الفيلا ، حتى إنها كانت تتبع مسعود سائق السيارة حتى المدرسة والنادي .. فعلت ذلك لتعرف كل شيء عنه أولا بأول .

هي بالطبع تعرف أنَّ أباه معتصم شرف الدين وزوجته أحلام لا يزالان على قيد الحياة ، وتعرف أنَّ أحلام قد أنجبت له أختا اسمها يارا ، وقد أغاظها ذلك وأغضبها كثيرا ، فهي تريد الثروة كلها لابنها بدر .

وتعرف أنَّ مدحت الأخ الأكبر لمعتصم ، ونرمين أختها الوحيدة يترددان دائما على الفيلا .. هما أيضا لديهما حُلْمُ الثراء الأكبر عن طريق ساكني هذه الفيلا المرصودة من الأعين الحاقدة .

ولقد تعدتُ العجربةُ وعد أنْ تعلِّمَ ياسينَ وهايديَ تعليماً عالياً غالياً كما يتعلم بدر ويارا ، وقد كلَّفها ذلك المال الكثير حتى أوشكتُ على مشارف الإفلاس ، فهي تخطط منذ سنين لأنْ يتقابلا لاحقاً في الجامعة ويتعارفا بأي شكل أو طريق .. تريد أنْ تقترب كثيراً من حديقة حلمها حُلْم الثراء ، وهي مستعدةٌ لأنْ تجتث كل جذوع الشجر الذي قد ينبت فيعوق طريق مخططاتها نحو جني الثمار ، لكنها حتى هذا الحين الذي اقترب هي مضطرةٌ لأنْ تنزل بنفسها للتسول لجمع بعض النقود بعدما كانت قد انقطعتُ فترةً طويلةً عنه معتمدة على فوائد أموالها وعلى ما تعطيه لها نوال .

إنَّ الجميع يقدرُون ذكاءَ وعزمَ اليهود أو الغرب عندما يتوحدون حول هدفٍ واحد ، يموتُ الواحد منهم ويأتى الآخر بعده ليُكْمِلَ نفس الطريق للوصول لنفس الهدف المحدد على حين غفلةٍ وتفرقٍ من أعدائهم ، وإنَّ لديهم إصراراً دائماً موحداً للوصول لكل ما خططوا له ، ومثلهم تلك العجربةُ وعد بكل شرِّها ومخططاتها الإجرامية . فكرها فكرُهُؤلاء ، وعزمها عزمٌ من حديد ، والنجاحُ يكون دائماً حليفاً الأذكياء أصحاب العزم والعمل والثبات على المبدأ وإنْ كان الهدف غير سوي ، والفشلُ حليفاً الأغبياء الكسالى الذين يفقدون دوماً كلَّ هدفٍ في الحياة ما لم يستيقظوا ويعملوا عمل الناجحين .

ها هي وعد تعود إلى أرض التسول بأنوثةٍ ما فوق الثلاثين ، وجمالٍ فاق جمالها القديم ، وجمالُ المرأة يزيد مع تعاقب السنين مثل غرس الشجرة المثمرة ، كلما طال عليها العهد حلا ثمرها طعماً ومذاقاً .

صار جمالٌ وعد يجذب كل عين ، ولا يصدق كثيرون أنّ صاحبة هذا الجمال هي متسولةٌ في الحقيقة ، فثياب التسول لم تستطع أن تغير تلك الطفرة التي زادت في جمالها لسببين : أولهما النضج الذي يزيد الأنثى - أية أنثى - أنوثة ، وثانئهما جوار حياة الأغنياء في الرحاب .

في أول يومٍ لها بعد العودة أقبل عليها المتسولون والمتسولات لتحياتها والترحيب بها .. قالت نوال :

- نَوْرَتِ مكانكِ يا وعد
- النور نورك يا نوال
- ونظرتُ لها نوال وقالت مأخوذة بطغيان جمالها وأنوثتها :
- آه لو كنتُ رجلاً
- ضحكتُ وعد قائلة :
- امشي يا شاذة
- يخرّب بيت جمالك يا وعد
- أي جمال تتحدثين عنه؟! .. أنا في الآخر متسولة
- مثلك يجب أن تسكن القصور
- الله أعلم يا نوال .. ربما يحدث قريباً
- أنا متأكدة أنه سيحدث
- قالتها نوال وضحكتُ ضحكة خليعة مسموعة ثم التفتتُ لعملها ، وراحت وعد تمارس مهنتها وتنتقل بين السيارات وتردد:
- (منديل يا بيه .. منديل يا هانم ..)

وانتظمت حياتها في ذلك النمط الممل الذي صارت تشعر به جديدا عليها بسبب شخصيتها الجديدة ومسكنها الراقي ، وقد كرهت أن تمضي بها الحياة هكذا طويلا رغم أن المال قد بدأ يعاود جريانه في كل يوم إلى نهرها ، وإنما في الأساس صبورة ، وتحب أن تتقن كل خطتها ، ومع ذلك فقد بدأت تستعجل الوصول إلى حلمها حُلْم الثراء الفاحش الذي لا عودة منه لفقر أبدا .

ومضت أيامها على ذلك حتى كانت تجلس يوما بالرصيف أسفل شجرة تحتسي كوبا من الشاي ، فسمعت ضجيجا على الطرف الآخر من الطريق من ناحية مبنى حي مدينة نصر ، حيث كان كثير من الناس يحيطون برجل زري الهيئة ، شاحب اللون ، ثيابه متسخة وممزقة ، حافي القدمين ، بوجهه آثار جروح طفيفة لم يَطْلُ عليها الوقت ، وكان يتلقى الضربات وقذائف الحجارة وكلمات السخرية من المحيطين دون أن يرد على أحدٍ إلا بابتسامة .. كان فقط يريد أن يجلس في ظل شجرة وببكي .

سألتُ وعد عامل الشاي عن سبب الضجيج ، فنهض من مكانه واقفا وأرسل عينيه بعيدا ثم قال لها :

- لا شيء يا وعد .. فقط الناس تجري خلف مجنون

ضحكتُ وعد ثم ارتشفتُ بعضا من الشاي ، وأخرجتُ تليفونا محمولا قديما ، وراحت تتصل بهايدي لتطمئن عليها ، فهي بالطبع ابنتها بنت بطنها غير ياسين الغريب ، لذا فهي لا تنقطع عن أن تطمئن عليها في كل وقت .. إنها تحبها حبا جَمًا ، فهايدي تشبهها كثيرا ، وكلما كبرتُ ولفَّ خِرَاطُ النساءِ جسدها اقتربتُ منها أكثر لتكون وعد الثانية بكل سحرها وأنوئتها الطاغية .

وبنفس تلك اللحظات لم يكف الناس عن مطاردة المجنون ، وكلما ابتعد عنهم اقتربوا منه حتى عبر الشارع إلى الجانب الذي تجلس فيه وعد ، وصار قريبا جدا من مكان جلوسها ، ورغم ذلك لم تهتم حتى جاءت لها نوال مسرعة تقول لها في رفقٍ وتأثر:

- والله حرام

فنظرت لها وعد ضاحكة وقالت :

- ماذا بك يا نوال؟

- إنه رجل مسكين .. يا ناس ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

- أه منك يا نوال يا أم قلب طيب

- ماذا فعل لهم المجنون ليقذفوه بالطوب؟

- هيا يا نوال عودي إلى عملك .. لا دخل لنا بالمجانين

وظلّت نوال واقفة ، واقتربت من وعد أكثر تستعطفها أن تقف وتمنع الناس والمتسولين من ملاحقته وضربه ، فإنّ لها سُلطةً وكلمةً بالمكان ، فابتسمت وعد وهزّت رأسها واقفة وهي تقول لها :

- ما رأيك أن تطلي الطلاق من زوجك لتزوجك هذا المجنون؟

- والله أتمنى ذلك .. إنه على حالته تلك أحلى من المتعوس زوجي

وضحكت العجيرة وعد ، وقالت وهي تغمز نوال أسفل صدرها قائلة :

- أه منك يا نوال أه

واتجهت وعد من مكانها ناحية المجنون الذي كان قد جلس جانبا ، ثم وارى وجهه بين كفيه وأخفض رأسه وانخرط في البكاء وهي تنادى فيمن حوله أن يتركوه

حتى اقتربت منه قائلة له :

- تعال معي ولا تخف .. تعال أسقيك شاي

ورفع المجنون رأسه لها صامتا والدموع تسير على لحيته الطويلة المبعثرة .. لكن مَنْ هذا؟! .. يا إلهي! .. لقد ظَلَّتْ العجربة وعد لفترة تنظر له فقط دون أن تتكلم .. إنها تعرف هذا الوجه .. تعرفه بدون ملامح الشحوب والقهر والحزن التي تعلوه ، وبدون تلك اللحية وكثرة الجروح والندوب .. إنه هو .

عندما تَعشَق الخير ، وتُفني نفسك من أجل أن ترى البسمة على الشفاه ، ثم يأتي أقرب الناس إليك ، ولا يكون له هدفٌ غير أن يقطع يدك الممتدة لغيره بالإحسان وإن كانت في الأصل ممتدة له امتدادا لا ينقطع ، فهذا في رأي من علامات النهاية بآخر الزمان .. يفعل القريب منك هذا لأنك لا تقصرها عليه ، فإن فشل معك في الجولة الأولى انتقل إلى جولات أشد حقا ومكرا ، ولا يكون أمامك رغم كل صدمة فيه ومنه إلا أن تقاوم وتقاوم لتبقى واقفا تُقَرِّب الخير لمن يحتاج ، وأنت تعرف مع ذلك أن منتهى الحسرة والألم أن تشعر أنك إن سقطت سقط كل شيء ، وإن فقدت قوتك خارت كل القوى ، وإن استسلمت في النهاية وأنت القوي أصابك الجنون كبديل .. تلك نهاية الدكتور مالك الأمير في بيته .. نعم هو هذا ، مالك المجنون .

وعند العودة إلى الوراثة سنوات نذكر أن الخادمة العجربة وعد كانت قد أبلغته أن زوجته حنان قد طلبت منها الإيقاع به في الجنس معها لهدف في عقل الزوجة الشيطانة يخدم خطتها لقهره وإضعاف قوته ، وأخبرته وعد حينها بمكر الزوجة ، وذلك لأنها عندما وازنت بين أمورها وجدتها ترجح أكثر في كفة الزوج ، وبحيلةٍ منها أوقع الزوج بزوجه الماكرة حنان ، لكن حنان أخبرت مالك بعلاقة

الجنس الحرام التي تَمَّتْ بين وعد وأخيه إياد ، وأخطأ الدكتور مالك خطأ حياته ، فأبقى على الشيطانة حنان في بيته ، وطرد الشيطانة وعد .

وها هو الدكتور مالك يُطْرَد من بيته على يد حنان وإياد وبقية الأسرة والأهل ، حتى إنَّ فلذتي كبده بلال وحبببة قد وقفا في صفِّ أمهما الغادرة ، وكان هذا أكثر ما قهره وأطار صوابه ، كيف لم يحرك حبيباه ساكنا للاحتفاظ به وهما تربية يده وديناه بكل ما فيها؟! ، لكن حقا إنَّ حبَّ المال والرغبة في الانحلال دائما يفسدان قلوب الضعفاء ، لذا فلا عجب أن اخترقت سهام الغدر والخذلان طيبة الرجل وعقله وقلبه وثقته بكل البشر ، فخرج للشوارع مجنوننا يتقلب بين أمواجها الهادرة حتى وصل جاثيا خائر القوى مسكينا أمام الشيطانة وعد .

- دكتور مالك!!

هذا ما صرخت به الغجرية في ذهول فور أن عرفتته ، لكنه ظلَّ لفترة ساكنا ينظر لها دون أن ينطق فأعادت وعد :

- دكتور مالك .. أنتَ دكتور مالك .. لا يمكن أن أنساك

لم يرد المجنون وظلَّت تطلب منه الكلام وهو لا يتكلم فقالت له :

- لا أستطيع أن أصدق عيني .. تحدث لأسمع صوتك .. أنا أحفظ صوتك .

ولم يتحدث ، فراحت تقول :

- أظن أن زوجتك حنان هي سبب ما أنتَ فيه الآن

فنظر لها ، وأشار برأسه أنها الحقيقة ، فقالت بغضبٍ وتأثر :

- كنتُ أعرف .. الله يحرقها

وسألته عن إخوته فلم يرد ، فسألته عن ابنه بلال وابنته حبيببة ، فنظر لها وبكى

فقالته له في رفقي :

- لا عليك اهدأ .. مؤكدا أنك جائع

نظر لها ولم يتكلم ، فوقفت وناذت نوال ، فأسرعت نوال إليها ، فأعطتها نقودا ، وطلبت منها أن تُسرِع إلى مطعم أرابياتا قبل آخر الشارع بقليل وتأتي بأفضل طعام .

أكل مالك وشرب ، ثم نظر دون كلام بنظرات الشكر لوعده التي جلست بجانبه تراقب كل حركاته وتعبيرات وجهه وهي غائبة عن حولها وعمما حولها .

تذكرت عندما كان يعود من عمله مشرق الوجه رغم التعب فيضع حقيبته بشوشا في وجه كل من يصادفه ، ثم يفتح ذراعيه بكل عطف ورفق ضاحكا لطفليه ، فيقبلان عليه لثما وتقبيلا ، وتذكرت إنفاقه على الفقراء ، كما تذكرت زوجته حنان التي كانت تقف أمامه دون حراكٍ خوفا منه رغم ميولها الشيطانية ، فلقد كان الأمر النهائي في ذلك البيت الغني الكبير .. هذا ما حدثت به وعد نفسها وهي تتساءل : كيف استطاع الشياطين إيصاله إلى هذه الحال؟ .. ونظرت إلى الجروح في وجهه فقالت له :

- سأخذك معي لأعالج جروحك

أشار لها رافضا ، فقالت تصبح فيه :

- سأخذك رغما عنك

وجذبتة من يده ، ثم اتجهت به ناحية سيارتها وأركبته بصعوبة ، وفي الطريق راحت تتحدث له وهو لا يفعل شيئا غير أن يهز رأسه لها حتى صاحت فيه أن ينطق ليجيب على سؤالها :

- تحدث وقل هل تعرفني؟ .. هل تتذكرني؟

التفتَ لها ونطقَ أخيرا :

- أنتِ وعد

فخفق قلبها بسماع اسمها يجري على لسانه حتى إنها رفعتُ يده إلى فمها بحركة لا إرادية وقبلتها ، وإنها بالفعل لا تتعامل معه على أنه مالك المجنون ، بل تتعامل على أنه الدكتور مالك الأمير ، ذلك الذي تمتته كثيرا منذ سنوات ولم تخجلُ عن أن تذكر ذلك لزوجته حنان .

أطلقتُ زغرودة عالية من السيارة دون اهتمام بالناس ، فابتسم لها ، فابتسمتُ

وقالت :

- أنا سعيدة أنك تذكرتني

قال لها بصوتٍ هادئ :

- مثلك لا يُنسى يا وعد

ابتسمتُ ابتسامة صافية من أعماق قلبها وقالت :

- ما أجمل كلامك! .. والله أنا لا أصدق أنك مجنون

قال لها مبتسما :

- وأنا لا أصدق أنك عاقلة

فنظرتُ له باستغرابٍ وسألته :

- لِمَ تقول ذلك!؟

- إننا نعيش في دنيا معقدة وعجيبة .. الأبيض أسود والأسود أبيض .. ضباب

وضباب

- دكتور .. أنا لا أفهم كلامك الكبير هذا .. خاطبني على قدر عقلي

فضحك مالك وقال :

- باختصار ليس هناك حقيقة ثابتة إلا الله وما أخبرنا عنه الله

- والله معك حق يا دكتور .. بدأت أفهم

ووصلا إلى الرحاب ، وصعدت به إلى شقتها حيث فوجيء ياسين وهايدي بها
تدخل عليهما شقتهم وفي يدهما رجلٌ يبدو من هيئته وملابسه أنه مجنون .. نظر
ياسين بعينين بارقتين ولم ينطق ، وصاحت هايدي :

- ماما .. من هذا!؟!

قالت لها وهي تتجه به ناحية الحمام :

- لا تسألني

وفي اليوم التالي لم تذهب للتسول ، إنما ذهبتُ به إلى نادي الرحاب .. كان
يمشي بجوارها بعد أن حلق لحيته وألبسته أحسن الثياب كأنهما زوجان خرجا
للتريض .

كانت سعيدة به جدا وفخورة به جدا .. تشعر بالحماية في كنفه وهي المرأة
القوية الشريرة التي عاشت كل حياتها الزوجية السابقة الأثني والرجل ، بل لقد
تأبطتُ يده وتشبثتُ بها ، وتعمدتُ أن تسلك به كل مكان في النادي قد يتواجد بها
صديقاتها ، وتلك فطرة الخلق عند المرأة الطبيعية ، أن تسرع قدماها ناحية
الرجل لتختبيء تحت جناحيه مهما كان ضئيل الشأن ومهما كانت هي .. يكفي أن
يحمل اسم رجل .

والحقيقة أن مالك لم يكن عاقلا تماما ، ولم يكن أيضا مجنوننا تماما .. إنه
شخصٌ مثقفٌ ثري بقلبٍ نقي ، تعرض لصدماتٍ كبيرة وكثيرة أحدثتُ خلالها فيه ،
وإنَّ أكبر مأساة يعيشها أنه كان أعقل الناس ، وكان أنقى الناس ، وهو الآن كذلك

حقا ، لكنه النسخة المجنونة ، ولا يجب أن نستغرب ، فمعظم البشر لهم وجهان ، الأصل الظاهر يكون عاقلا ، والثاني يكون مجنونا ، لكنه خفي يظهر ويغيب .
 وقد يتساءل البعض : هل هناك شخص مجنون وعاقل في نفس الوقت ، والجواب نعم هناك كثيرون ، بل إن كثيرا من البشر يتدرجون في مراتب الجنون ، والغريب أن هؤلاء أول من يوفون بالعهود ويتقنون الأعمال ، ويكفي أن المجنون لا يكذب ولا يكره ولا يخون ، وكأن هذه الأنواع من الشرور قد غابت مع الجزء الذي غاب من العقل ليحل بدلا عنه بصيص من الاستنارة والفراسة ، لذا يحدث تكرارا أن نسمع أكثر الكلام حكمة ممن يعتبرهم الناس مجانين ، أو من عقلاء غابوا وقتنا عن عالم الناس في حالة أشبه بالهذيان المقصود والهدوء الغريب فأبدعوا وخرجوا بأروع الأفكار والاختراعات .

لكن هذا ياسين الغاضب يقول لوعده صائحا أمام مالك بينما كانت تتأبط يده خارجين من شقة الرحاب :

- ما هذا الذي تفعلينه؟
- كما ترى
- أبي لوعرف ما تفعلينه مع هذا المجنون سيغضب جدا منك ومني
- أبوك في حكم الرجل الغريب بالنسبة لي
- لكنه لم يطلقك بعد
- وما شأنك بذلك؟
- إنه أبي وإن كنت بعيدا عنه

وبالطبع لم تستطع وعد أن تخبره بأن سالم السعدي ليس أباه ، فتركته وانصرفت مع غضبه منها وغضبها منه ، لكنها أخفت غضبها ، وقد كانت خبيرة في إخفاء مثل هذه المشاعر إلى حين .

وخارج البيت انتظرت من مالك أن يخبرها أنه غاضب من كلام ياسين ، لكنه لم يتحدث عن ذلك ، فالمجنون في مثل حالة الدكتور مالك يجيب فقط في الغالب ، وسألته هي إن كان غاضبا أم لا ، فأشار برأسه أن لا ، فابتسمت وأخبرته أنها قررت أن تنقله لشقة بالحي السادس بمدينة نصر لتكون قريبة من مكان عملها في التسول ، فأشار برأسه بالرضا والقبول .

وكانت هذه الشقة هي شقة ياسين التي اشترتها ببعض المال الذي أعطاه لها أبوه المهندس معتصم شرف الدين نظير بذرتة الحرام ، وبالطبع لم يكن ياسين يعلم عن تلك الشقة شيئا .. كانت شقة صغيرة في حي شعبي لكنها معقولة لأن تأوي مالك بجنونه حتى يعود عاقلا .

ذهبا سويا واشترت فرشها ، وبعد أن رتبته له كل شيء فيها أمسكت بيده وأخبرته أنها ستأتي له بالطعام والشراب كل يوم ، وعليه ألا يخرج منها إلا معها حتى لا يتعرض لأخطار الشوارع ، فأشار برأسه مبتسما ابتسامة عرفان ، لكنها عندما أخبرته أنها ستأخذه إلى طبيب نفسي غضب غضبا شديدا ، وانتابته نوبة جنونية ، فأخذته من يده وأجلسته على أريكة ، وراحت تمسح على شعره ووجهه وتممس له بصوت حنون ، وقد اقتربت منه كثيرا :

- أنا أعرف أنك لست مجنونا يا مالك .. أنت فقط تعرضت لصدمة كبيرة وتحتاج لبعض العلاج البسيط لتعود إلى حياتك الطبيعية وعملك .. أم هل نسيت أنك طبيب قلب؟

فأجاب مسرعا وهو يهزُّ رأسه ساخرا :

- وكيف أنسى أنني طبيب القلب الذي أبلغتُ عنه زوجته كذبا أنه يتحرَّشُ
بمريضاته وممرضاته؟

- تلك السافلة الكلبة!! .. كيف تجرأتُ حنان على أن تفعل بك كل ذلك؟

- وأكثر من ذلك يا وعد .. لقد ملأت الدنيا بشائعات عني

فقالته وعد له برفقٍ وحنان :

- دَعَكَ من هذه الشيطانة .. ألا تريد العودة لأولادك وإخوتك؟

- إخوتي وأولادي تحالفوا معها ضدي .. أبلغوا عني أنني أبديد ثروتهم على

الفقراء

فأخذتُ وعد نفسا عميقا ثم قالت :

- إذن عُدْ إلى الفقراء يا مالك .. ما ذنبهم أن تستسلم وتمنع خيرك عنهم؟

- الفقراء الآن هم أول من يسخرون مني .. إنهم يلقونني بالحجارة في الشوارع

كلما شاهدوني

فابتسمتُ وعد ابتسامة حزينة واقتربتُ منه أكثر ، ورفعتُ رأسه لها وهي تنظر في

عينيه قائلة :

- إذن عُدْ لي يا مالك

فنظر لها طويلا مستغربا كلامها الأخير بينما كانت تنظر له بابتسامة ساحرة

شغوفة به .. قالت :

- نعم لي .. أريدك أن تذهب للطبيب ليعالجتك من أجلي

وظلَّ مالك الأمير ينظر لها دون كلام ، فوضعتُ رأسها على كتفه فرفع يده وطوقها ، فرفعتُ رأسها سريعا له سعيدة بذلك وعيناها لا تفارق عينيه ، ثم هوث على وجهه ورقبته تنثر قبالتها الملتهبة الحارة وهو مستجيبٌ مستكينٌ راضٍ بكل ما تفعله ، فدخلنا بذلك معا عالما سحرًا جميلا ، وأحسْتُ معه بمشاعر لم تشعر بمثلها أبدا من قبل .

إنه العشقُ الذي جاء يطرقُ بابَ شيطانةٍ عجزيةٍ تملك بالنهاية قلبا بشريا ، ولا أظن أنَّ هناك إنسانا عاش سنواتٍ طويلة أو قصيرة ثم رحل دون أن يَمَسَّ الحبُّ قلبه .. لقد عشقتُ الإنسانةُ وعد الإنسانَ مالك بلا تلك الألقاب والأوصاف والصفات التي تظلُّ دائما حاجزا حديديا أحمقَ بين القلوب العاشقة .. لقد كان حبا صافيا نقيًا من النوع الذي يدوم نقاؤه فلا تلوثه قاذورات البشر .

وصارت العجزية وعد تتعجل أن تُنبئ عملها كل يوم لتذهب بكل احتياجات مالك إليه ، ولتجلس معه فتتحدث كل أحاديث العشق التي عاشت عمرها دون أن يجري على لسانها كلمة منها ، ووصلتُ إلى درجة أنها لم تعد تستطيع أن تتركه ، فصارت تبيت الليل معه كثيرا في شقة السادس ، وعلى نفس السرير .

ولكن ما الأمر بالنسبة لمالك؟ إنه بلا شك ليس في حالته الطبيعية ، فهل لقلب مجنونٍ أن يخفقَ بالحب؟ .. الحقيقة نعم ، وهل ينسى أحد قيس بن الملوح مجنون ليلي العامرية؟ .. إنَّ قصة حبه لها خالدة عبر العصور ، وهذا المجنون مالك الأمير قد خفق قلبه بحب وعد العجزية ، الإنسانة كما عرفها ، تلك التي حفظته من خطر الشوارع وسقته وأطعمته وأسكنته بشقة يتمناها كثيرٌ من العقلاء ، وعالجت كل جراحه بيديها الحانيتين وبقليها الشغوف به منذ زمن ، وبأشياء أخرى ، فكيف لا يحب تلك الإنسانة؟

لكن وعد الخادمة ، تلك التي عرفها تخدم في بيته ، ووعد التي تعمل في التسول كما رأها بعينيه ، ماذا كان رأيه فيما؟ .. أما الخادمة فلم يزعجه ذلك إن كانت قد تابت عن مثل ما فعلته مع أخيه إياد ، وأما المتسولة فهذا ما كان دائما يلومها عليه ، فكانت تخبره بأنها يوما ما ليس ببعيد ستترك التسول بلا رجعة لتنقل نفسها وتنقله معها إلى حياتها التي خططت لها من البداية تخطيطا شيطانيا لتحقق حلم الثراء .

وهو بالطبع لم يعرف بعد وعد الشيطانة تلك ، إنه رجل مبادئ رغم أنه مجنون ، وإنَّ المجنون يظلُّ محتفظا بمبادئه معه خارجا في جولته من العقل إلى الجنون ، بل إنَّ ما جعل بعضا من العقلاء مجانين هي تلك المبادئ التي ظلوا يتمسكون بها حين فرطَ المفرطون ، والتي بسببها يبدو جنونهم باديا للناس .

قالت له وعد ذات ليلة قولا ليس بمستغرب :

- مالك أنا أحبُّك .. فهل أنتَ تحبني؟

ابتسم لها ثم أمسك بيدها قائلا بحب :

- وكيف لا أحبك يا وعد؟!

- وهل ستظل تحبني يا مالك؟

- وما الذي قد يمنع ذلك؟

- أنْ تبحث عنك حنان وترجعك إليها

- حنان شيطانة وأنتِ ملاك .. سأظل معكِ أنتِ

وابتسمت وعد وقالت في نفسها : (يا خوفي من أن تعرف ذات يوم حقيقتي!)



ثم انتهت على قوله لها :

- سالم زوجك يا وعد
- ما له؟
- أنا وأنتِ نخونه .. وهذا شيء لا أحبه
- فابتسمت وربتت على كتفه وهي تقول :
- لا تقلق بسبب ذلك .. سأرفع عليه قضية خُلع وبعدها نتزوج ونعيش معا

في الحلال

- أتمنى أن يتم الخلع بسرعة يا وعد
- مالك يا حبيبي .. ماذا ينقصك مني الآن؟
- أشعرتأنيب الضمير .. أنا خائف من ربنا
- ألسنت تحبني؟
- بلى أحبك
- وأنا .. ألسنتُ أحبك؟
- بلى تحبينني
- الحب عقد زواجنا .. هذا يكفيننا
- لا يا وعد .. نحن مسلمان في بلد مسلمة .. لسنا في بلاد الغرب
- اعتبرأنا في بلاد الغرب
- سالم زوجك مسكين مخدوع .. حرام علينا
- مالك يا حبيبي
- نعم
- طالما أنا وأنت معا فلا تحدثني عن زوجي سالم



- وعد .. يجب أن يطلقك سالم .. ويجب أن نتزوج وإلا.....
- سألته مسرعة في اهتمام :
- وإلا ماذا يا مالك؟
- سأترك شقتك .. وسأتركك
- وهل أهون عليك؟
- نعم تهونين .. فهذا أهون من نار جهنم

(١٢)

يعقوب الأصفر

عندما تلتقي الشياطين على طريقٍ واحدٍ فلا شك أنهم سيتوجون الشر ملكا عليهم ، ولنقل على الخير السلام ، ولنودع الحق والأمن لنستقبل الغدر والقتل .. وعد ويعقوب شيطانة وشيطان ، طموحٌ واحد ، وغاياتٌ مشتركة ، غير أنّ الأولى شيطانةٌ عاقلة ، والآخر شيطانٌ مجنون ، أو شيطانٌ عاقل يتظاهر بالجنون ، جمع بينهما الحبُّ ، حبُّ الشر وحبُّ المال بأي ثمن دون حد ، كما جمع بينهما الكره والحقد ، فكلُّ منهما يكره الأغنياء ، وكلُّ منهما يحقد على كلّ صاحبٍ نعمةٍ ومال ، ومتعتما الكبرى أن يجدا غنيا في ورطة .. أما عن تقارب الجسدين ، فقد حاول يعقوب معها أكثر من مرة ، أراد توطيد علاقة غير سوية بها على هامش العمل الشيطاني المشترك ، بدأها باسم الحب مرة أو مرتين ، ثم مرات تحت تحرشات الجنس ، لكن قلبها كان قد خفق الخفقة الوحيدة بحياتها لمجنون آخر ، هو الدكتور مالك الأمير .. والعهد أن يُطَهَرَ الحُبُّ الصادق القلوبَ الأثمة ، ويظلّ أسى مطَّير .. فماذا سيحدث مع وعد؟

ها هو مالك الأمير بعد أن عالجه طبيبٌ حتى استرد الكثير من حالته الطبيعية يُعيد عليها أنه يشعر بتأنيب الضمير بسبب علاقتهما الأثمة ، ولا يستطيع بسبب زواجها أن يتزوجها .. قال لها :

- وعد .. ما آخر أخبار سالم زوجك؟

- لماذا تسأل عنه الآن؟

- لأعرف ما الذي فعلته معه في موضوع طلاقك منه



- هو يعاند معي .. لا يريد أن يطلقني
 - والخلع؟
 - يبدو أن الموضوع صعب يا مالك
 - فقال مالك غاضبا :
 - وعد .. سأترك الشقة .. سأتركك
 - مالك أرجوك .. أنا أحبك ولا أستطيع تحمل ذلك
 - وأنا أحبك لكننا نرتكب الفاحشة معا كل يوم
 - مالك نحن حبيبان .. فماذا في ذلك؟
 - أنا لا أحب ذلك وأريد أن أتوب .. ولن أتوب إلا بالزواج منك أو مغادرة
- شقتك

فراحت وعد تبكي وتحضنه قائلة :

- مالك إن تركتني سأموت .. ستتحول حياتي إلى جحيم
- وأنا يا وعد ستكون آخرتي جحيم إن بقيت أطاوعك
- فنظرت له وقالت بكل إصرار:
- مالك .. سأجد حلا .. هذه المرة أقولها لك وأنا على يقين أني سأجد الحل
- ما هذا الحل؟
- أي حل يا مالك غير أن تفارقني
- فيم تفكرين يا وعد؟
- لا تقلق سأجد حلا

ولم تنم الفجرية العاشقة ليلتها ، بل ظلتُ عيناها مغمضتين بجانبه طوال الليل ، لكن عقلها كان يقظا يفكر فيما يجب أن تفعله لتُبقي حبيبها معها .. كانت تتعجب من حالتها التي صارت لها بسبب العشق ، وكانت تنقم على نفسها أن ذهبتُ بمالك إلى الطبيب النفسي الذي عالج كثيرا منه ، فاستيقظ مع هذا العلاج إدراكه لكثيرٍ من الأمور ، وصار ينتبه لحدود الحلال والحرام ، حتى لقد تمتنت لو ظلَّ بالجنون الذي قابلته عليه ، لكن حدث ما حدث ، فلتفكر في شيء ، أي شيء من أجل بقاء حبا الأول والأخير .

ويبدو أن تفكير الليل قد هداها لشيء .. فذهبتُ منذ الصباح الباكر بسيارتها إلى عزية الهجانة لتقابل صباح أم زهرة زوجة سالم الأخرى ، وكانت صباح قد نقلتُ سكنها إلى هناك ، وأرادت وعد أن تلحق بها قبل الخروج للعمل .. ووصلتُ فوجدتها على باب الشقة تستعد للنزول .. احتضنتها وطلبتُ منها صباح الدخول ، فدخلتُ وعد وسألتها عن زوجها سالم فقالت لها صباح :

- هو بخير والحمد لله

فأخذتُ وعد نفسا عميقا ثم قالت :

- سالم لا يريد أن يطلقني يا صباح

فابتسمت صباح وقالت :

- والله سالم طيب جدا يا وعد .. لماذا تريدان الطلاق؟

- صباح ماذا تقولين؟! .. هل صرتِ تحبينه؟!

- إنها العشرة يا وعد

- وخيانتك له يا صباح؟ .. وابنتك زهرة .. تلك التي كبرتُ وصارت تعمل في

مصنع للملابس .. هل نسيتِ ممن أنجبتها؟

فغضبتُ صباح وقالت :

- وهل أنتِ ملاك يا وعد؟ .. أنتِ مثلي تماما
 - أنا لا أنكر أني شيطانة .. وما زلتُ شيطانة .. لكفي مندهشة إذ رأيتكِ أيتها
 - الطيبة تتحدثين عن طبيبته وتستغربين طلبي الطلاق منه
 - فابتسمتُ صباح ابتسامة هادئة وقالت :
 - وماذا في ذلك؟ .. بالنسبة لي فإنَّ سالم طيب ولا أريد الطلاق منه
 - وماذا لو عرف أنه لا يُنجب؟
 - ومن أين يعرف؟
 - افتراضا .. ماذا لو عرف؟
 - طبعا ستكون مصيبة على رأسي وعلى رأسك
 - إذن ليس هناك إلا حل واحد يا صباح
 - ما هو؟
 - الموت .. أنا وأنتِ من مصلحتنا أن يموت سالم
 - ولم تفهم صباح على الفور مقصدها ، فقالت كلاما أذهل وعد وأغضبها :
 - بعد الشر عنه .. الأعمار بيد الله يا وعد وقد نموت قبله .. ربنا يحسن
- ختامنا

فصرختُ فيها وعد قائلة :

- ماذا حدث لك يا صباح؟
- لم يحدث لي إلا كل خير يا وعد .. وأدعوك بالهداية مثلي
- صباح .. هل أنتِ طبيعية؟
- لقد أصبحتُ طبيعية بفضل الله ورحمته وكرمه

- هل صرت غيبية أم صرت شيخة يا صباح؟ .. منذ متى وأنت بهذه التقوى؟
 - ألا تعرفين؟ .. لقد اصطحبني سالم للعمرة منذ شهرين
 - فبرقتُ عينا وعد استغرابا ، ثم قالت وهي تنهض ناحية الباب :
 - تقبل الله منك ومنه .. سلاما يا شيخة صباح
- ونهبضت صباح وراءها ، لكن وعد لم تلتفت لها ، ونزلت درجات السلم غاضبة مسرعة إلى سيارتها .
- قادت السيارة وعقلها يدور حول التغير الذي حدث لصباح .. تتساءل : هل تابت صباح فعلا عن كل شيء حرام بعد عمرتها وبعد نقلها للشقة الجديدة أم أنها صارت تحب سالم أم الاثنين معا؟ .. لكن ماذا يفيدها من ذلك؟ .. فلتذهب صباح بتوبتها إلى الجحيم .
- هكذا قالت لنفسها في النهاية ، فلتفكر وحدها في مصيبتها .. فالأهم عندها هو أن سالم قد صار عثرة كبيرة في سبيل حبه واستقرارها مع مالك ، وعثرة أيضا في سبيل طموحها نحو تحقيق حلم الثراء ، فإن وجود زوجها سالم حيا لا شك سيجعل عشيقها مالك يتركها لتكتوي بنار الشوق له ، وأيضا ماذا لو اكتشف سالم أنه لا يُنجب؟ .. ستكون مصيبة كبرى وفضيحة قد تصل إلى ياسين وهايدي ، وقد يقتلها سالم نفسه أو يقتلها ياسين .. إذن لا بد من قتل سالم السعدي .
- كان ذلك الهدف هو الشاغل الذي صار ذهنها لا يخلو من التفكير فيه .. فكرت في طرق كثيرة لقتله على أن يبدو الأمر موتا طبيعيا .. لكنها تحتاج إلى اليد المعاونة التي تعينها على مكرها وحيلها التي لا تنتهي دون تراجع ، ودون توبة ، فهذا هو صباح يبدو أنها قد خرجت عن طريقها ، فلتبحث عن يد أخرى غيرها .

لكنها قبل أن تبدأ البحث جاءت اليد المطلوبة حتى مكان عملها في الإشارة ..
 اقترب منها رجلٌ في عينيه شروخبت ومكر شديد ، ويبدو من هيئته وملابسه ووقفته
 أنه مجنون ، لكنه ليس كأى مجنون .. سألتها الرجل كأنه يستجوبها :

- هل تعرفين مكان مالك؟

نظرتُ إلى ملابسه المتسخة ولحيته الكثيفة المعقّدة لتتأكد من أنه مجنون
 بالفعل ، فقد خرجتُ كلماته من فمه فوقعتُ على أذنها وقعا يوحى بأنّ قائلها
 عاقل .. قالت :

- من أنت؟

- أنا صديقه يعقوب الأصفر

فضحككُ وقالت له :

- فعلا والله أصفر

- علام تضحكين؟ .. ألا يعجبك شكلي؟

- هل أنت مصري؟

- بالتأكيد مصري ابن مصري

- أشك في ذلك

- لِم؟

- لا عليك .. لماذا تسأل عن مالك؟

- قلتُ إنه صديقي

- ولماذا جئتَ تسألني أنا عنه؟

- الناس هنا أخبروني أنك تعطفين عليه وتعرفين مكانه

- فحركتُ رأسها وفكرتُ قليلا ثم أخبرته :
- تعال هنا غدا وسيكون موجودا
- فنظر لها يعقوب نظرة خبث مبتسما قائلا:
- طبعاً من أجل مالك سأتي وأنتظر العمر كله
- فقالته وعد في نفسها : (ما لهم المجانين هذه الأيام؟! .. نظراتهم وكلماتهم أعقل من العقلاء)
- وفي المساء أخبرتُ مالك عن صديقه يعقوب الأصفر فضحك ضحكة مشوية بالقلق قائلا:
- أخيرا ظهرتَ يا يعقوب .. ربنا يستر
- قالت له باستغراب :
- لماذا تقول ذلك؟
- لا شيء .. لكن فقط احذري منه
- فقالته تستفسر منه أكثر:
- لماذا شعرتُ بأنَّ يعقوب هذا أشبه بالشیطان يا مالك؟
- ضحك مالك وقال جادا :
- يعقوب هو الشيطان نفسه
- يا ساتر
- احذري منه يا وعد كما قلتُ لكِ
- كلامه والله يدل على أنه إنسان عاقل
- فعلا هو إنسان عاقل جدا .. وحاقد جدا على الناس
- ولماذا يبدو مجنوناً؟!



- يريد أن يمتلك الدنيا .. يَحْلُم ويخطط لأن يكون غنيا جدا
- من الواضح أنه ماكروذي
- جدا جدا
- وشعرتُ وعد بكثير من العجب مما تسمع ، وأكملتُ تسأل مالك عنه لتعرف الكثير والكثير ، وأحسَّت أنها اقتربت من اليد الباطشة التي تبحث عنها لتعينها في شروها .. سألت :
- كيف ينفق يعقوب على نفسه وبيته؟
- لديه أموال كثيرة جمعها من النصب والسرقة
- والقتل .. هل قتل أحدا من قبل؟
- ضحك مالك وقال :
- قال لي مرة إنه قتل شخصا من أجل سرقاته
- فصاحت وعد تسأله في دهشة :
- حقا!.. وهل صدقته؟
- لقد سألته إن كان ما قاله صدقا فابتسم وعاد فقال إنه كان يمزح معي
- من الواضح أنه شرير جدا يا مالك
- شره فوق ما تتخيلين
- وسألتُ وعد باستغراب :
- ولماذا تصادقه يا مالك؟
- القدر أسلمنا لبعضنا فتصادقنا
- كيف يتصادق شيطان وملاك؟!
- ليس لدي ما يطمع فيه يا وعد فأخاف منه

وفي الصباح صحب مالك وعد حيث مكان عملها بالإشارة ، ولم يكن يعقوب موجودا ، فجلس مالك قريبا منها لأكثر من ساعتين ينتظره حتى جاء من بعيد ينادي باسمه :

- مالك .. مالك

نهض مالك من مكانه وأقبل يعقوب يتحسس ملابسه ويتعجب من شكله الجديد ونظافته :

- ما هذا الجمال يا مالك؟ .. هل شُفِيتَ مِنَ الجنون؟

- الحمد لله

واقترب يعقوب من مالك يقول له بصوتٍ منخفضٍ :

- هل كل ذلك بسبب المتسولة الجميلة؟

فرمقه مالك بنظرة غضب ، ولم يرد على سؤاله ، بل راح يسأله :

- هل أنت جائع؟

- نعم جدا

فناولته كيسا بلاستيكيًا بيده قائلا :

- يوجد بالكيس سندوتشات .. فاجلس وكُل يا صديقي

تناولها يعقوب وجلس جانبا وراح يأكل ، وجلس بجانبه مالك ينظر له وابتسم من منظره وهو يلتهم الطعام ، ثم جاءهما طفلٌ بكوبين من الشاي ، وضعهما أمامهما وهو ينظر لهما قائلا :

- الشاي من الست وعد لكما .. هيا اشريا أيها المجنونان

فضحك الاثنان ، ونهض يعقوب من مكانه ناحية الطفل مازحا يقول له :

- انتظر حتى يسلمك المجنون الشرير جلدك .. سوف أكلك فقط يا ولد

وأسرع الطفل جاريا من أمامه ، وعاد يعقوب فجلس ليكمل طعامه ، ثم جاءت وعد فوقف لها يعقوب سريعا ، ورفع يده يؤدي التحية لها كمن يؤدي تحية عسكرية ، فنظرت له قائلة :

- يا أخي والله أنت لا تريحني .. اجلس

جلس يعقوب ، وجلست وعد تنظر له وتراقب حركاته في حين قال له مالك :

- أين تنام الليل الآن يا يعقوب؟

ضحك يعقوب ضحكة متقطعة ثم قال :

- كل الشوارع حجرات نومي الواسعة .. وكل الأرصفة سرانير مريحة لي

ضحكت وعد وقالت :

- وأين حمامك أيها الظريف؟

فأجابها مبتسما ثم ضاحكا :

- يا سيدتي .. حمامي في ظلال الشجر .. وعندما تعرق ثيابي أغسلها تحت

المطر

نظرت له وعد نظرة ساخرة قائلة في نفسها : (ما لهذا المجنون!) .. وعاد مالك

ليسأله :

- صحيح .. أين تنام حاليا؟

قال يعقوب وقد توقف عن الضحك وسلك سبيل الكلام الجاد :

- بالأمس نمتُ قريبا من هنا بجوار سور الحديقة الدولية

- وقبل ذلك .. أين كنت منذ آخر مرة كنا معا؟

- في العباسية وعبيده باشا

ونظرتُ وعدَ لمالك تشير له وتحذره بعينها خوفاً ألا يعرض عليه المبيت معه بالشقة ، وكان مالك بالفعل قد فكَّر في ذلك ، فلما أشارت له وعد فهم مقصدها ، فتراجع عن ذلك ، وسأل يعقوب مالك وهو يتنقل بعينه بينه وبين وعد :

- وأنتَ يا صديقي .. أين تقضي حياتك الجميلة النظيفة تلك؟ .. وأين تبيت

ليلك الطويل؟

فأسرعتُ وعد تجيب :

- هو حتى الآن يبيت عند أحد أقاربه

- أين يا مالك؟

فأسرعتُ وعد أيضاً تغير مجرى الحديث قبل أن يجيب مالك ، فسألته :

- أخبرنا أنتَ .. أين تذهب عندما تختفي؟

فنظر لها يعقوب وقال ضاحكا بطريقة هستيرية :

- وما شأنك بي؟ .. لماذا تسألين؟

فقال وعد بغضب :

- مجرد سؤال

فابتسم لها ثم قال بصوتٍ منخفضٍ :

- إن كنتِ ستمتتين بي وتعطفين عليّ مثل مالك فسوف أخبرك بكل شيء

فنظر له مالك نظرة غضب ثم قال :

- احذر في كلامك يا يعقوب .. لا أريد أن أخسرك

فوقف يعقوب ونظر لمالك ثم نقل عينه إلى وعد ، وأوقفها عليها وهو يقول :

- وأنا طبعاً لا أريد أن أخسر صداقتك يا صاحبي .. أنا ذاهب الآن ومكاني

بجوار سور الحديقة الدولية إن أردتني .. سلااام

وعمدا كان يعقوب يوجه كلامه الأخير لوعده .. بالطبع هو يراها متسولة ،
ويراها امرأة فائرة الأنوثة والجمال ، وينتظر منذ رآها تلك اللحظة التي تذهب له
فيها جاثية أمامه ، فهو يتعامل مع كل الناس خاصة النساء على أن وسامته ظاهرة
للجميع رغم قذارة هيئته .. يتفاخر دائما بشعره الناعم ووجهه الأشقر وعينيه
الملونتين وطوله الفارع ، ولذلك فهو يرى نفسه قياسا بمالك أكثر منه جاذبية
للنساء .

هذا رأي يعقوب في نفسه ، لكن رأي وعد فيه مختلف ، فهي تمقت شكله منذ
اللحظة الأولى التي رآته فيها ، وترى مالك أكثر الرجال وسامة وشخصية وجاذبية ،
ففي رأيها ليس صاحب كل عينين ملونتين جاذبا للنساء ، منهم الكثيرون تأنفهم
العين وتراهم منبوذين .

ومع ذلك فقد أخبرت وعد حبيبها مالك في وقت متأخر من مساء نفس هذا
اليوم أنها ذاهبة إلى الرحاب لترى ابنتها هايدي وياسين ، ثم تعود رغم الوقت
المتأخر للمبيت معه ، والحقيقة أنها لم تكن ذاهبة إلى هايدي وياسين .. كانت
ذاهبة إلى الشيطان يعقوب .

كان يعقوب نائما على الرصيف بجوار السور الجانبي للحديقة .. وقفت سيارة
جيب بجانبه على الطريق الواسع الخالي من السيارات في الغالب .. ضغطت
صاحبتها على الكلاكس كثيرا حتى استيقظ يعقوب وهو يضغط عينيه ليرى من
يتعمد إيقافه . ظن منذ الوهلة الأولى أن أحدا سيعطيه مالا أو طعاما كما يحدث
كثيرا في كل يوم ، فحياة المجانين تقوم على ذلك ، لكن كانت سعادته غامرة عندما
رأى المتسولة وعده هي من تطل بعينها من السيارة .. انتفض من مكانه مسرعا ..

ابتسم ابتسامة النصر والزهو بنفسه .. راح لثوانٍ ينظر من نافذتها إليها ، ثم يُدير
عينية على السيارة من داخلها وخارجها حتى قالت له :
- اركب

فتح الباب فإذا بها تمدُّ يديها خلفها لتسحب مفرشا بلاستيكيًا .. بسطته تحته
وخلفه قبل أن يرمي جسده الضخم .. فعلتُ ذلك حتى لا يتسخ المقعد من ملابسه
.. انتبه لما فعلته فنظر لها وقال في غضبٍ :

- سأقبلها منك هذه المرة فقط لأنك لم تعرفيني بعد بعيدا عن الجنون
فضحكّت وعد ضحكة استهزاء وقالت :

- أنت مغروريا يعقوب

- وأنتِ ساحرة جدا .. وفوق ذلك أنتِ غنية .. سيارتك وحدها تساوى أكثر من
مليون جنيه .. كان يجب أن أعمل متسولا من البداية .. فهذا أفضل من الجنون

- دَعْ عنك هذا الحقد والحسد فهذا لا يؤثر فيَّ .. أنا بالنهاية متسولة

- صدقيني أنتِ أجمل متسولة رأيتها في حياتي

- يعقوب لا تحاول .. فلن تصل لشيءٍ معي مما يدور بذهنك

- وها أنتِ ذكية أيضا .. لذلك لن أياس .. فذكاء المرأة يثبرني أكثر من جسدها

- اعلم يا يعقوب أنك آخر من أفكر فيه

- هل لمالك علاقة بذلك؟

- لا شأن لك بذلك

- إذن لماذا أتيت لي؟

- بسبب ما قاله لي مالك عن شرك ومكرك

- هل قال لك مالك ذلك عني؟



- مالك لا يُخْفِي عني شيئا
 - يا لحظكَ يا مالك!
 وأوقفتُ وعد سيارتها بجانب السور ، وكانت قد دارت حوله أكثر من ثلاث مرات
 .. قالت له :

- يعقوب هل تريد بعض المال؟
- طبعا فأنا أعيش فقط لأجمع المال
- هل تملك قلبا شجاعا؟
- طبعا طالما سأحصل في النهاية على المال
- وهل تحفظ السر؟
- أنا مجنون .. والناس لا تصدق المجانين فلاتخافي
- لهذا اخترتك يا يعقوب
- ماذا تريدان؟
- مهمة بسيطة
- ما نوعها؟ .. نصب أم سرقة أم.....؟
- ستقتل شخصا
- أنا موافق

(١٣)

ماس كهربائي

مع أول بزوغ لشمس يومٍ جديدٍ ذهبتُ وعد لصباح في شقتها بعزبة الهجانة ..
أوقفتُ سيارتها بعيدا عن البيت في شارعٍ غير شارعها ، وفوجئتُ صباح بطرقٍ على
بأبها في وقتٍ مبكر .. فتحتُ الباب فدخلتُ وعد بوجهٍ مبتسم غير الذي غادرتُ به
من عندها آخر مرة ، وبدا على وجه صباح الاندهاش بسبب هذه الزيارة المبكرة ،
سألته وهي لا تزال بالباب :

- أهنأك شيء يا وعد؟!
 - إن شاء الله خير يا صباح .. جنئتُ لأتحدث إلى سالم
 - سالم لم يبت عندي الليلة .. يمكنك أن تتصلي به
 - هو يغلق تليفونه في وجهي دائما
 - اذهبي له إلى محله
 - لا أعرف مكانه تحديدا
 - سأخبرك بمكانه
- وكان قد طال وقوفها بالباب دون أن تطلب منها صباح الدخول ، فسألته وعد :
- ماذا حدث لك يا صباح؟! . حتى الآن لم تقولي لي تفضلي
 - فأشارت لها صباح إشارة اعتذار بسبب سهوها عن ذلك ثم قالت لها :
 - أسفة يا حبيبتي .. ادخلي البيت بيتك

تقدمتُ وعد ناحية مقعد جانبي وجلست في حين انصرفت صباح ناحية المطبخ وهي تقول :

- سأحضر لكِ الشاي .. أعرف أنك تحبينه
- وانتظرتُ وعد بمكانها لم تفارقه ، لكن عينها راحت تتجول بالمكان وتخرق مداخل كل الأبواب ، وعندما عادت صباح سألتها وعد :
- ما أخبار ابنتك زهرة يا صباح؟ .. لم أرها عندما جئتكِ المرة السابقة
- بخير يا حبيبتي .. هي نائمة في حجرتها .. إنها على وشك أن تصحو للذهاب لعملها

- ولماذا لا تعمل مع سالم في المحل؟
- لا يعجبها العمل في الساعات
- وابتسمتُ وعد ثم قالت في خبثٍ :
- وماذا تفعلين وحدك بالشقة يا لئيمة بعد نزول زهرة؟
- فنظرتُ لها صباح بغضبٍ قائلة :
- أنا الحمد لله أصبحتُ إنسانةً أخرى يا وعد
- دائما تفكيرك شمال يا صباح .. أنا لا أقصد ذلك
- إذن ماذا تقصدين؟
- أقصد مع سالم زوجك وليس مع أحد غريب
- فقالت بصوتٍ هادئٍ :

- فعلا سالم يأتيني كثيرا في هذا الوقت
- هنيئا لكِ .. اشبعي به
- طبعاً أشبع به .. أليس زوجي حبيبي؟!!

- أعرف أنه قد صار لكِ وحدكِ بعد أن طلق راضية
فتهدت صباح وقالت :
- والله كانت بنت حلال
- صحيح ما أخبارها؟
- راضية ما شاء الله عليها .. تزوجت من رجل غني وأنجبت منه
فقالته وعد على الفور :
- راضية أنجبت !! .. اعلمي أن هذا يؤكد أن سالم لا ينجب فعلا
وسكتت قليلا ثم قالت لصباح مازحة وهي في الأصل تخيفها :
- ما رأيك أن أخذه إلى طبيب ليعرف حقيقتنا .. ويعرف كم ظلم راضية؟
فأسرعت صباح تقول في غضب :
- ألن تتوقفي عن ذلك؟
فأجابتها وعد بلهجة أكثر غضبا منها :
- لا لن أتوقف عن ذلك يا صباح .. ألم تقولي إنك ذهبت للعمرة؟ .. فهلا
أكملت توبتك واعترفت له بخديعة السنين؟
- وخافت صباح أن تستيقظ ابنتها زهرة وتسمع حوارهما ، فقالت صباح لها
بصوتٍ منخفضٍ :
- وعد .. ماذا تريد مني؟ .. لماذا أتيت في هذا الوقت؟
- أتيت لأعرف متى يأتيك سالم لآتي وأتحدث له وأرجوه أن يطلقني .. هل
فهمت؟
- فقالته صباح في نبرة هادئة :
- سيأتي غدا بعد خروج زهرة للعمل



- فوقفتُ وعد وأمسكتُ بكتفها قائلة في ودّ مصطنع :
- صباح يا حبيبتي .. حاولي أن تقنعيه معي أن يطلقني .. تلك آخر خدمة أريدها منك
- حاضريا وعد
- فربتتُ وعد على كتفها بحنانٍ مصطنعٍ ثم قالت :
- عندما يأتي سالم وتشبعان من بعضكما .. اتصلي بي دون أن يعرف لأتيك فوراً
- حاضريا حبيبتي
- وأخرجتُ رقما من هاتفها ، وقالت لها وهي تبسّم :
- هذا رقمي الجديد .. رني رنتين فقط على هذا الرقم وسأتي فوراً
- حاضريا وعد .. لكن لا تخبري سالم أنني وراء مجيئك هنا
- لا تقلقي
- وفي المساء توقفتُ السيارة الجيب أمام يعقوب بسور الحديقة الدولية .. أطلتُ وعد برأسها منها :
- اركب يا يعقوب
- ركب يعقوب منشح القلب مزهوا بنفسه بوجهٍ مبتسّمٍ .. قالت :
- هناك تعديل بسيط يا يعقوب
- أوامرك
- سنقتل شخصين معا مرة واحدة

فضحك يعقوب قائلاً :

- لا يهم .. قتل شخص مثل قتل شخصين .. الإثم واحد في الآخرة طالما تلوّثت اليد بالدماء

- معك حق يا يعقوب

- لكن هناك شيء سيتغير

- ما هو؟

- الثمن سوف يتضاعف .. لكل شخص ثمنه .. مؤكداً أنك شعرتِ بمدى حيي

للمال

- ألم تقل إنَّ قتل شخص مثل قتل شخصين؟

- هذا في العقاب من الله .. أما حين الثواب من البشر المحرّضين فهناك فرق

- عموماً .. سأعطيك كل ما تريد .. لكن يجب أن أخبرك شيئاً

- ما هو؟

- احذر من المال وأيضاً من نظراتك المريضة لي .. فغالبا ستكون نهايتك

بسببهما

فابتسم يعقوب ثم قال :

- عندي سؤال لك

- أسأل

- يبدو أنك خبيرة في الشر والانتقام .. فلماذا تستعيني بي؟

فضحكتُ وعد قائلة :

- أحتاج منك شيئين .. قوتك .. ثم خبرتك في الكهرباء

سألها في دهشة مسرعا :

- مَنْ أخبرك عن خبرتي بالكهرباء؟!

- مالك

وأرجع ظهره للخلف في زهو قائلا :

- هذا صحيح .. فأنا خبير في أشياء كثيرة جدا

- لا أريد الآن إلا خبرتك في الكهرباء

- سوف أمهرك

- يعقوب .. أريد أن نترك وراءنا جريمة نظيفة .. لا أريد أي شك يحوم حولي

- اطمئني .. لكن فقط أحتاج إلى مزيد من المعلومات لأفهم أكثر

- ستفهم كل شيء

وفي الغد في تمام العاشرة اتصلت صباح تطلب موتها .. كان اتصالها رنتين ثم أغلقت كما طلبت منها العجربة وعد ، فانطلقت الشيطانة لعملها ومعها يعقوب الشيطان .. أوقفت سيارتها بعيدا كالمعتاد ، ثم جلس يعقوب على مقهى شعبي في شارع بعيد بعد أن هدّب من نفسه ولحيته قليلا .

وبالعمارة التي تسكنها صباح صعدت وعد درجات السلم وبيدها كيس به الكثير من زجاجات عصير المانجو .. طرقت الباب ففتحت صباح ، وتظاهرت بأنها تفاجأت بها .. خرج سالم من الحمام يرتدي ملابسه الداخلية فقط .. رآها فقال لها بصوتٍ غاضبٍ :

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

قالت له برفق :

- جئت لأرى صباح



فقال بنفس غضبه :

- هذا بيتي .. بعد ذلك لا تأتي إلا بإذني
ونظرتُ وعد لصباح تغمز لها أن تتركهما ، فانصرفتُ صباح إلى المطبخ ،
فاقتربتُ وعد منه قائلة :

- سالم .. هل هانت عليك العشرة؟ .. أرجوك لا تعاملني هكذا

- أنتِ مَنْ طلبتِ الطلاق .. وأنا لن أطلقكِ أبدا

واقتربتُ منه أكثر تهمس بأنوثة :

- ومَنْ قال إنني أريد الطلاق الآن؟

فقال لها سالم متعجبا وقد خارت قواه :

- هل أنتِ صادقة فيما تقولين؟

فقبلته بوجهه قائلة :

- طبعاً يا سالم .. أنا مشتاقة لك جداً

فسكت سالم قليلاً ثم اقترب منها وقال :

- وأنا أكثر

- إذن ما رأيك أن ندخل قليلاً أية حجرة لنكون وحدنا؟

- ماذا تقول صباح علينا؟ .. ستفهم كل شيء يا وعد

- أنتِ زوجي حلالي يا سالم .. وأنا زوجتك مثلها تماماً

- معكِ حق

- إذن سأدخل المطبخ حتى تخبرها

ونادتُ وعد على صباح ، فخرجتُ لها مسرعة فقالت لها :

- صباح جنّتُ لكم بعصير مانجو .. سأدخل المطبخ لأصبه لنا



- لكفي أعددتُ الشاي مع الكيك
فضحكْتُ وعد قائلة وهي تنظر إلى سالم :
- الشاي يحرق الدم .. سالم يحتاج مشروباً ينعشه ويقويه
وانصرفتُ إلى المطبخ وتركتهما فراح سالم يخبرها أنه يريد أن يختلي قليلاً بوعد ،
فقالَت باستغراب :
- لا أفهم قصدك
- افهمي يا صباح .. لا تكوني دائماً هكذا غيبية .. زوج وزوجته يريدان أن
يختليا .. فهل فهمتِ؟
- فهمتُ يا سالم .. هذا حقكما ولكن
- وعند ذاك خرجتُ وعد بأكواب عصير المانجو ، فقطعاً كلامهما ، وناولتهما وعد
العصير مع ابتسامة مصطنعة .. شرباً العصير ، وشربت وعد العصير وهم يتحدثون
عن الأولاد ، ثم وضع سالم يده على فمه وتثاءب كثيراً ، ومثله صباح ، ثم راحا في
نوم عميق ، وكان آخر نومهما .
- اتصلتُ وعد بيعقوب الأصفر بأن رنّت عليه رنتين ثم أغلقتُ ، وشرعتُ بعد
ذلك تُفرغ بقية العصير في حوض المطبخ ثم غسلتُ الأكواب جيداً ووضعتها بمكانها
على الرف .
- وجاء يعقوب فحمل سالم كمن يحمل وسادة كبيرة ممتلئة ، ثم وضعه على
السرير ، ثم عاد وحمل صباح ووضعتها بجانبه ، ثم اتجه سريعاً ناحية لوحة
مفاتيح الكهرباء ، وذهبتُ وعد وألقْتُ عليهما نظرة ، ثم أزالته كل البصمات من كل
مكان ، وأتمَّ يعقوب كل شيء خاص بالكهرباء بسرعة وخبرة عالية ، ثم غادر
الشیطان اللعين بصحبة الشيطانة اللعينة مكان جريمتهما دون أن يرياها أحداً .

وما كانت إلا ثلاث ساعات مرّت حتى رنّ هاتفُ الشيطانة .. كان ياسين يخبرها

وهويبيكي :

- بابا مات
- ماذا تقول؟
- بابا مات
- مَنْ أخبرك؟
- زهرة أختي
- كيف؟
- ماس كهربائي .. احترقت شقة الهجانة
- وزوجته صباح .. أين كانت هي؟
- ماتت معه

وتمّ دفنُ بقايا الجثتين المحترقتين معا في قبر واحد ، وكان العجرقديما يدفنون موتاهم في منازلهم أو أمام خيامهم ، وكانوا يحرقون العربة الخاصة بالمتوفى أو المنزل الذي أقام فيه أو هياكل شبيهة ، بل إنّ السيدات العجربات كنّ يُدفنّ بعد الوفاة بكل الحلى الخاص بهن إلا إذا كان للمتوفاة بنتٌ من صلبيها ترث حلبيها ، وبالطبع فإنّ كلّ ذلك قد تغيّر حديثا بعد الاختلاط بالمدن والناس ، ولهذا صارت أملاك سالم رغم تواضعها من نصيب ياسين وهايدي وزهرة ووعد .

ولم يشك أحد مطلقا في أنّ الحادث كان سببه شيئا آخر غير الماس الكهربائي ، وكانت العجربة وعد تسيير بالجنّازة ترتدي السواد الأشبه بسواد قليها وضميرها ، وبيجانها أمها أطفاف وتصرخ وتبكي وتغمزها أنّ تصنع صنيعها ، وكان ياسين

والبنتان في بكاءٍ مستمرٍ .. يبكون جميعاً أبا ليس أباهم ، ويشعرون باليتم بفقدان رجلٍ لا يَمُتُّ لأيٍّ منهم بصلةٍ .. عاشوا الحسرة والأسى بسبب شيطانة تُدعى وعد .
 ولم يمضِ يومان حتى كانت وعد تُنهي إجراءات الميراث .. وُزِعَتْ ما تركه سالم .. لم تبخس زهرة حقها حسب الشرع والقانون .. عادلة هي تلك الشيطانة .. أخبرتها أنها لن تتخلى عنها ، ومحفوظةٌ أمها صباح ، ماتت بعد أن تابت واهتدتُ إلى الطريق المستقيم ، ومحفوظٌ سالم ذلك الرجل الذي رباها ، مات محترقا مخدوعا وربما تكون الجنة له ، فقد عاش حياته من أجل غيره ، وعاش شطرا طويلا من عمره يطعم ثلاثة أفواه غريبة عنه تماما ، لكن ما فعلته العجرية وعد تهتد له الجبال الرواسي .. قال ياسين يوما لها وهو يشعر تجاهها بغضبٍ شديدٍ :

- أظنك الآن قد استرحتِ

رمقته بنظرة غضبٍ قائلة :

- أنا حزنْتُ مثلك تماما

- أشك في ذلك

- ياسين .. لقد كان أبوك طيبا معي رغم كل شيء

- أبي مات وهو غاضبٍ عليك

- اسكت يا ياسين

- عليك أن تستغفري ربك

- ياسين .. تأدبُ في الكلام معي

- عندما أراكِ أما صالحة سأتأدب في الكلام معكِ

- فصرختُ فيه بغضبٍ :

- ماذا تقصد؟

- أقصد عشيقك المجنون .. فأنا أشعر بالعار مما تفعلينه .. كيف كنتِ تنامين مع رجلٍ وأنتِ على ذمة رجلٍ غيره؟ .. أنتِ لستِ فقط متسولة .. بل أنتِ عاهرة زانية

وصفعته وعد على وجهه وهي تقول :

- اخرس يا كلب .. المتسولة الزانية هي مَنْ تطعمك وتسقيك وتعلمك في أعلى المدارس .. هل كنتِ تظنُّ أنَّ الملاليم التي يرسلها لك سالم خلال كل شهر تكفي ثمن حذاء لك أو لأختك؟

فقال ياسين بغضبٍ شديدٍ وهو يضع يده على وجهه :

- إياك أنْ تضربيني مرة ثانية .. لا تنسي أني تربية شوارع وحواري منشية ناصر.. لا يغرنك أننا الآن نعيش بالرحاب
- أنا مَنْ أسكنتك بالرحاب يا كلب
- لا أريدها .. منشية ناصر كانت أفضل عندي
- كان يجب أنْ أتركك فيها لتعيش خارج حدود الزمن .. لكن اعلم أنني قد أُرْجِعُكِ إليها إنْ تعاملتْ معي هكذا مرة ثانية

فنظر لها ياسين باشمزاز ثم قال :

- هيا هيا اذهبي إلى المجنون لتخبريه أنَّ زوجك قد مات
فقالته بكل تحديٍّ : طبعاً سأذهب له .. أنا حرة .. وسنتزوج
فهزَّ رأسه ثم قال وتركها مسرعا إلى حجرته :
- لو كنتُ مكانه ما تزوجتكِ
- ماذا تقصد؟

لم يرد ، وكان قد دخل الحجره وأغلقها عليه .

(١٤)

همسات عاشقت

ذهبتُ وعد على الفور إلى شقتها مع مالك بالحي السادس .. دخلتُ من الباب فوجدتُ مالك نائما فأيقظته ، وقالت له :

- عندي مفاجأة سارة لك

جلس من رقدته وابتسم قائلا :

- أخبريني أولا .. لماذا غيبت عني كل هذه الأيام؟

- السبب هو المفاجأة السارة

- ماذا؟

- سالم زوجي .. ماااات

نظر لها باستغراب وقال :

- الله يرحمه .. لكن لماذا أراك سعيدة بموته هكذا؟

- ألا تعرف السبب؟ .. أنت أيضا لا بد أن تكون مثلي

ونهب من سريره ، واتجه ناحية زجاجة ماء فشرب ، وهي تتابعه بخطواتها ثم

قال :

- أنا لا أفرح بموت أحد يا وعد

اقتربتُ منه وقالت :

- هل نسيتَ أنك تريد أن تتزوجني؟

- بالطبع لم أنسَ

ونظرتُ في عينيه وسألته مباشرة :

- هل ما زلتَ تريد أن تتزوجني يا مالك؟

- طبعاً يا وعد

- إذن هذا هو سبب سعادتي لموت سالم .. أننا سنتزوج ليرتاح ضميرك

أمسك كتفها بيديه وضمها إليه وهو يقول :

- لكن لا يجب أن نفرح بموت أحد يا وعد .. هناك أشياء كثيرة عندك يجب

أن تتغير.. ولن أتوقف عن أن أغيرها يا حبيبي

وما أن سمعت ذلك منه حتى ذابت بين يديه وقالت له :

- يا حبيبي أنا ملك يدك .. اعتبرني قطعة عجين لك أن تشكّلها كما تريد .. ثم

ضعها بفرنك وحدك لتسويها نارك .. ثم كُلّها كُلّها وحدك .. كُلّي لك يا مالك

- ما هذا الكلام الجميل يا وعد؟

- أنا بين أحضانك أقول أحلى كلام

وضحك مالك وهمس في أذنها :

- أحبك

- أعشقتك

قالتها ثم دفعته فوق السرير وألقت بنفسها فوقه وهو يسألها :

- كيف مات سالم؟

فقالت بينما كانت تنزع ملابسه وملابسها :

- ليس الآن

ومرّت أيام العدة ثم عقدا زواجهما عقدا شرعيا عند مأذون دون حفل زفاف ،
وسافرا إلى العين السخنة أسبوعين سعيدين ، ثم عادا من هناك لتعود إلى عملها
في التسول ، وذات يوم قال لها مالك :

- لا أحب أنْ عملي في التسول .. لذلك أفكر أنْ أعود لعملي
وكان كلامه هذا مفاجأة لها ، فقالت باستغراب :

- أي عمل يا مالك؟

- وعد هل نسيت؟ .. أنا طبيب قلب

- والله كنتُ قد نسيتُ

- لكني لا أنسى عملي أبدا

فسألته في حزن غير ملامح وجهها :

- وبعد أنْ تعود لعملك .. هل ستعود إلى أولادك وزوجتك؟

فضحك وقال :

- وعد ماذا تقولين؟! .. أنتِ الآن كل حياتي .. أنتِ من أعدت لي كامل اتزاني ..

أنا لستُ جاحدا للجميل .. لقد عالجت كل صدماتي كمن يعالج الشروخ بالذهب

فتبدو أجمل .. فكيف أتركك؟

فراحت تمسّط له شعره الناعم وتقول :

- وماذا لو عادت لكِ زوجتكِ حنان نادمة أيها الطبيب الشاعر؟ .. ألن تعود

لها من أجل أولادك؟

قال لها وهو يشعر بغضبٍ تجاه حنان :

- وعد .. قد عرفت أن الشيطانة حنان وإخوتي وأولادي أغلقوا البيت

وهجروا مصر كلها



- أين ذهبوا؟
- سافروا إلى لندن
- ألن يعودوا ثانية؟
- لا أعرف
- وكيف عرفت ذلك؟
- عرفتُ وفقط فلا تسألني
- ألهذا تزوجتني؟
- ماذا تقصدين؟
- أقصد أنك عندما علمت أنهم سافروا تزوجتني لأنه لم يبق لك غيري
- فأمسك بيديها ورفعها إلى فمه وقبلها واحدة بعد الأخرى وهو يقول :
- ما رأيك أني علمتُ بسفرهم بعد زواجي منك؟
- فابتسمتُ ابتسامة جميلة وادعة ، وسرى في وجهها حمرة ساحرة ، وقالت له
- وقد طوّقت رقبته بيديها :
- يا حبيبي يا مالك .. أنا أعشقتك .. أه لو تعلم ماذا فعلتُ من أجلك .. وما
- زلتُ مُستعدة أن أفعل كل شيء من أجلك
- وأخذته من يده ، وأجلسته على مقعد وقاربت بين رجليه ثم جلستُ وطوقت
- عنقه وراحت تنقل قبالتها بين وجهه وعنقه وشفتيه قائلة :
- لي عندك طلب وحيد يا حبيبي
- اطلبي يا حبيبتني
- أريدك أن تُوْجَل موضوع عودتك لعملك
- لِمَ؟

- أغار من المريضات اللاتي سيأتين لك فتضع يديك على قلوبهن
- هذا عملي يا وعد .. وهو مجرد عمل
- فقبلته قبلة خاطفة على فمه وقالت بدلال :
- أنت طبيب قلب امرأة واحدة يا مالك .. هي أنا وعد المحروس
- أنت غيورة جدا يا وعد المحروس
- جدا يا حبيبي .. وكيف لا أكون كذلك وأنت عشقي الوحيد؟
- وابتسم مالك وراح يمرر أصابعه على شفתיها وأنفها وهو يقول :
- لكنني كرجل لا أحب أن أجلس هكذا في البيت وأنت تُنفقين عليّ
- مالك .. سأخبرك بشيء لا تعرفه عني
- وهنا انتبه لها قائلاً بسرعة :
- خيراً تفضلي
- هل سمعت عن العجرج من قبل؟
- العجرج!!
- نعم العجرج
- نعم أظنني سمعتُ
- ماذا سمعت؟
- هم أشخاص كل حياتهم مشاكل .. حتى أنّ الناس عندما تريد أن تسبّ
- أحدا تقول له .. أنت إنسان عجرجي .. وتلك تصرفات عجرج
- وماذا سمعت غير ذلك؟
- لا شيء
- هل تأذيت من أحدهم يوماً؟



- لا أبدا والحمد لله
- هل تعرف أحدا منهم؟
- لا
- وتركْتُ وعد رجليه وجلستُ على مقعدٍ مقابل له وقالت :
- الناس ظلمتُ الغجر كثيرا يا مالك .. كلمة الغجر ليست سُبَّةً .. إنما هي مُسَمِّيٌ لمجموعاتٍ مِنَ الناس ليسوا كلهم مثيرين للمشاكل .. إنهم ككل أنواع البشر .. منهم السوي ومنهم غير السوي .. منهم الشرير ومنهم غير الشرير
- وكان مالك يسمعها باهتمامٍ شديدٍ معجبا مِنْ طريقة كلامها ، ومتعجبا مِنْ اهتمامها بالحديث عن هؤلاء الناس والدفاع عنهم .. وقال لها :
- والله معكِ حق .. لكن لماذا تقولين لي هذا الكلام يا وعد؟
- فضحكتُ وقالت :
- لأنه في عادات الغجر تخرج المرأة للعمل ويبقى الزوج غالبا في البيت
- فهتمتِكِ فهتمتِكِ .. لكن لا تحاولي سأخرج للعمل .. ثم إنَّ هذا عند الغجر وأنا لستُ عجريا .. وأنتِ كذلك ..
- وقاطعته وعد المحروس قائلة :
- دكتور مالك يا حبيبي .. أنا لم أخبرك مِنْ قبل بحقيقة أصلي
- وما حقيقة أصلك؟
- أنا عجزية
- فانخرط مالك في ضحكٍ متواصل ، ووعد تنظر له في توجسٍ تنتظر رد فعله عندما يتوقف عن الضحك ، وتوقف بالفعل ، فوقف وأمسك بيديها وهو يصيح :
- يا الله زوجتي امرأة عجزية .. لكن والله كنتُ أشك في ذلك

وحملها إلى السرير، وألقاها فوقه وهي مذهولة من ردة فعله، وراحت تردد:

- أحبك .. أحبك .. أعشقتك

وهمس مالك في أذنها:

- كونك عجيبة جعلني أحب كل العجر .. ما أجملهم جميعا إن كانوا مثلك

أيها الساحرة الطيبة

- مالك انتظر انتظر .. منهم هؤلاء ومنهم هؤلاء ككل الناس

- لكني أحب كل العجر

- لِمَ؟

- لأنك منهم

فقبلته قبلة طويلة ثم سألته:

- هل ستخرج للعمل يا حبيبي؟

- بالطبع سأخرج ولا تحاولي .. فأنا أريد أن أعمل لأنفق عليك

- طالما أنت مصمم على ذلك فأنا أوافقك يا حبيبي لكن فلتؤجل هذا

الموضوع الآن .. أخاف عليك من مواجهتك للناس وأنت ما زلت تتعافى

ومرّت سنوات بعد ذلك اليوم دون أن يعود مالك لعمله كطبيب .. كانت وعد

في كل إصرار منه على العودة للعمل تجد أكثر من ذريعة لتأجيل ذلك .. وما أكثر

طرقها الملتوية من أجل أن تحتفظ به لنفسها فقط بعيدا عن كل العيون!

ولقد كتب الله على وعد أن تعيش عشقين، أولهما لرجل غريب هو مالك الذي

صار زوجها، وثانيتها لابنتها هايدي التي صارت تدير خطتها وشروها على نحو

تكون هايدي فيه هي الملكة بدلا منها، وبالطبع هي لا تنسى الغرس القديم في

حديقة الثراء، بدرابنها .. قطعها هي تحبه، لكنها تحرص على ألا تنبش عنه في

داخلها ، فيميل قلبها ضعفا وشوقا له فتجذبه إلي حضنها قبل أن تُنضح النارُ الشواء .

قالت لها حبيبته هايدي أثناء تناول طعام الغداء :

- أخيرا رأيناك يا ماما
 - أنا مشغولة يا حبيبتي
 - أخشى أن تنسي حفل تخرج ياسين .. إنه قريب
- فقال ياسين بنبرة ساخرة :

- أساسا ياسين ليس على بال أملك نهائيا
ونظرتُ وعد له ثم لهايدي وقالت :

- ألا تعرفان أنني أعمل ليلا ونهارا من أجلكما؟
قالت هايدي بعرفانٍ وحنان :

- ربنا يعينك يا ماما
وأسرع ياسين بطريقة فيها كثير من الاحتقار يقول :

- أنتِ لا تعملين لنا وحدنا .. بل من أجل المجنون العاقل أيضا
فقالت بصوتٍ هادئ :

- ياسين أنتَ لا تعرف حقيقة هذا المجنون العاقل
فقالت هايدي :

- أخبرينا أنتِ يا أمي عن حقيقته

- لقد علمتكما في أحسن المدارس وأدخلتما أحسن الكليات لتحصلا على

شهادة عالية مثله

ضحك ياسين وهز رأسه ثم وجه كلامه لهايدي :

- أمك تعلمنا لنكون مجنونين عاطلين تُنفق علينا امرأة
فرمقته وعد بنظرة غضب قائلة :

- المجنون العاطل هذا اسمه الدكتور مالك الأمير .. طيب قلب

وضحك ياسين بصوت عالٍ ضحكات متقطعة في حين طلبت منه هايدي أن
يتوقف لتكمل أمها :

- ياسين انتظر.. هل المجنون هذا كان طبيبا يا ماما؟

- نعم يا حبيبي .. وبإمكانه أن يعود إلى عمله في أي وقت
سألتها هايدي :

- ولماذا لا يعود؟

- أريده أولا أن يتعافى تماما ثم يعود ويكون قادرا على أن يندمج مع الناس
فعاد ياسين وضحك قائلا :

- أنا لا أصدق ذلك .. أمك تغار عليه يا هايدي .. النساء ستخطفه منها
ثم وجّه كلامه إلى وعد قائلا :

- احفظيه في الثلاجة حتى يكون لك وحدك .. ثم أخرجي منه قطعة قطعة

حسب الطلب

وصرخت فيه وعد متجهة ناحيته لتضربه :

- ياسين يا كلب اخرس

- هل تريدني ضربي من أجل مجنون؟!!

- أنت زودتها كثيرا ولم أعد أحتملك

-

ونهبضتْ هايدي تحجز بينهما وهي تقول لأمها :

- ماما لا تغضبي منه .. إنه يمزح

وتركتهما وعد وهي في أوج غضبها عائدة إلى الحي السادس ، لكنها في الطريق قررت أنْ تنعطف قليلا على الحديقة الدولية ثم مكان عملها بإشارة التسول .

وكانت قد طلبتْ من يعقوب الأصفر عدم مغادرة مكانه ليسهل عثورها عليه كلما أرادته .. لم ترد أنْ يكون الاتصال بينهما تليفونيا إلا اضطرارا وعلى خطوط مختلفة ليستْ باسمها ، خطوط تغيرها تكرارا حرصا منها ألا يتتبع أحد مكالماتها .. كانت حذرة جدا لكل خطوة تخطوها في طريق الشر ، لا تترك وراءها ذرة خيط قد يقود إليها ، وإنْ كثيرين يقولون : " ليس هناك جريمة كاملة " ، لكنني أقول : " بل هناك جريمة كاملة إنْ كانت الجريمة وعد المحروس "

لم تجد يعقوب في المكان المعهود بجانب سور الحديقة الدولية ، فغضبتْ لذلك كثيرا ، وذهبتْ لمكان العمل ، فاطمأنتْ من بعيد على سيره كما تريد ، ثم أكملتْ إلى الحي السادس ، لكنها قبل الصعود للشقة اتصلتْ بيعقوب فجاءها صوته قائلا :

- حبيبتي وعد .. انتظرتكِ كثيرا هناك .. ثم إني لم أسمع صوتكِ منذ فترة

قالت له بغضب :

- يعقوب .. لا تناديني بحبيبتكْ مرة ثانية

- كما تريدِين .. سأناديكِ بمعلمتي فهل يروق لكِ ذلك؟ .. يا لحظ الدكتور

مالك!

- الدكتور مالك هو زوجي يا يعقوب .. ألم يخبرك؟
- بلى أخبرني يا معلمتي .. أنا أقابله كثيرا بين وقت وآخر
- أعرف ذلك .. الأهم أين أنت الآن؟
- في الدنيا الضيقة
- كُنْ في أي مكان .. ما مهمني أن تكون في المكان المعهود مساء الغد
- هل هي مهمة جديدة؟
- أجل
- ما نوعها؟
- مهمة قتل
- مَنْ؟
- ابني

(١٥)

المفاجأة

كانت المهمة قتل ياسين ، لكن حدث شيء لم يكن في الحسبان أبداً ، حتى العجربة وعد لم تحسب حسابه ضمن ما تحسب ، حيث أعدت كلية ياسين حفل التخرج في وقتٍ سابقٍ لموعده .. حضر أولياء الأمور ، وبالطبع فإنَّ ياسين وبدر في كلية واحدة كما حرصتُ على ذلك وعد من البداية .

ارتدتُ وعد ثياب الهوانم الثريات الراقيات زاهية لحضور الحفل .. نزلتُ من سيارتها الجيب الفاخرة وهي تتأبط ذراع زوجها طبيب القلب الدكتور مالك الأمير ، وفي قاعة الحفل نظرتُ له ابنتها هايدي نظرات إعجاب وتقدير جديدين منها نحوه ، فزوج أمها طبيبٌ أنيق ، يسير في وقار وهيبة تملأ القلوب إعجاباً به .. إنه يبدو كنجوم السينما الأمريكية .. تابعته نظرات صديقاتها مأخوذاتٍ به .. سألتها صديقة :

- مَنْ هذا الرجل الوسيم الذي تتشبت أملك بذراعه؟

ابتسمتُ وقالت بكل فخر كاذبة عليها :

- إنه أبي

قالت ثانية :

- واوو.. لم أكن أعلم أنَّ لك أبا بهذه الأناقة

سألتها ثالثة :

- ماذا يعمل؟

أجابت بنبرة تحمل قمة الفخر:

- إنه طيب قلوب
- وضعتُ واحدة من الصديقات يدها على قلبها ، وصاحت مازحة :
- قلبي قلبي .. أرجوك يا هايدي قلبي يؤمني .. اطلبي من والدك أن يكشف عليّ
- ابتسمتُ هايدي وأشارت على أمها قائلة :
- اذهبي إلى أمي واطلبي منها ذلك .. وصديقي قد تقتلك
- وأقبل ياسين تجاه الدكتور مالك .. نظر له فرأى أناقته الظاهرة ، ورأى الإعجاب به باديا على وجوه الفتيات وأولهن أخته هايدي ، وسمعهن يتحدثن لهايدي على أنه أبوهما ، فأعجبه ذلك فقط على سبيل الزهو والتفاخر به لا على سبيل التودد والتحبب .. اقترب منه بوجه مبتسم ، وألقى عليه سلاما أرضى عنه وعد كثيرا بعد أن كانت غاضبة عليه .. قال ياسين بحال غير الحال الغاضبة دائما :

- أهلا يا دكتور مالك .. شرفَت الكلية

قال له الدكتور مالك :

- أهلا بك يا ياسين .. ألف مبروك يا حبيبي

- الله يبارك في حضرتك

ثم نظر ياسين لوعده وقال ووجهه في الأرض :

- شرفت الكلية يا ماما

- مبروك يا حبيبي

وأوشكت المقاعد أن تمتلىء عن آخرها بأولياء الأمور .. حرصتُ وعد على أن تجلس في الصفوف الأخيرة المنزوية .. هي تعرف أن المرأة الثرية مهندسة الديكور أحلام المصري قطعاً لا بد أن تحضر بصحبة زوجها المهندس معتصم شرف الدين ليريا الابن بدر في حفل التخرج .. تعمدت أن تُخفي نفسها عنهما .. فقط أرادت أن تراهما من حيث لا يريانها ، فلم يَجِن الأوان بعد لأن تخرج قاطعة الطريق إلى مسار فرائسها لتبدأ جني الثمرات من غرس السنين .

وبالفعل جاءت مهندسة الديكور أحلام بصحبة زوجها المهندس معتصم وخلفهما كانت ابنتهما يارا .. رأتهما وعد من بعيد .. لقد نقشت السنون معالمها على وجهيهما فصارا أكبر بكثير من عمرهما رغم كل الثراء الذي يعيشان به .. راحتُ وعد تتابعهما وتتفحص يارا ، ثم دارت بعينها تبحث عن ابنها بدر ، وللحق فقد اشتاقت كثيرا لأن تراه .. إنه ابنها وهي تراه بين وقت وآخر من بعيد دون أن ينتبه لها ، وقد حرصتُ على حضور هذا اليوم ليس من أجل ياسين كما هو الظاهر ، إنما أرادت أن تملأ عينها وقلبها عن قرب برؤية ابن بطنها بدر في حفل تخرجه من الجامعة .. بالطبع ياسين لا يهمها في شيء رغم أنه صار مهذبا معها على غير عادته . حتى إن هذا الاهتمام والحب اللذين شعرت بهما ناحيته في بعض الأحيان قد ذبلت أوراقهما وتساقطت مع كل كلمة إساءة منه لها أو لحبيبتها مالك .. صارت لا تطيقه حقا للدرجة التي جعلتها تفكر للحظة طارئة أن تذهب لأحلام قائلة لها : (خذي ابنك .. أعطني ابني)

لكنها إن فعلت ذلك فقد أضاعت صبر السنين ، ودهستُ بغضها العشب الأخضر والشجر الموشك على الإثمار .. إن طموحها الكبير على وشك أن تعتلي قمته .. صارت قريبة جدا من أن تُحوّل حُلْم الثراء إلى واقع أروع من الحلم ذاته .. لا بد

أن تصبر حتى يُنهي يعقوب مهمته .. الثروة كلها يجب أن تكون لبدر وهايدي ولها مع مالك بأية طريقة .. فصبرا قليلا يا ياسين .

وأخيرا ها هو ابنها بدر قد ظهر لها بين مجموعة من زملائه .. نظرت له بكل لهفةٍ وحب .. يبدو أن حياها لرجل مثل مالك قد حرّك معه كل المشاعر لكافة أنواع الحب الأخرى ، ومنها الحب لابنها الذي كان بالنسبة لها غالبا لا شيء غير غرسٍ ثمينٍ في أرضٍ ذهبيةٍ ثمينة تدخره للأيام .

وكان ياسين يقف بجوار ابنها بدر بين مجموعة من الزملاء ، لكن عينها لم تر غير بدر ، ولم تثبت إلا عليه ، لكن هناك بالقاعة بين الجلوس في الصفوف الأمامية عينين أخريين لامرأةٍ أخرى كانت لا تفارق ياسين ، إنهما عينا أمه الحقيقية المهندسة أحلام المصري .

كانت أحلام تتابع ياسين بعينها رغما عنها أينما ذهب ، شعرت معه بإحساسٍ غريبٍ جميلٍ لم تشعر به من قبل إلا مرة واحدة سابقة ، راحت تحاول تذكر هذه المرة السابقة ، وغاصت طويلا في ذكرياتها لاستخراجها ثم عادت ولامت نفسها على انشغالها بغير بدر .. كيف تتركه وتتابع زميلا له؟ .. إنها قد جاءت من أجل بدر لا من أجل ياسين ، لكنها لم تستطع أن تمنع ذهنها من أن يعود فيدور حول ياسين .. فجأة تذكرت شيئا حدث لها منذ سنوات عندما نزلت من السيارة لتجري تحت المطر نحو الطفل المتسول بالإشارة ، يومها سألته عن اسمه وأعطته نقودا كثيرة وجاءت بدر .. تذكرت أن الطفل كان اسمه ياسين .. أجل أجل كان اسمه ياسين .

ولكن يبدو أن مراسم الاحتفال بالتخرج قد بدأت ، وقد جلس الطلاب بمقاعدهم المخصصة لهم ، فراحت أحلام المصري من مكاتها تُرسل عينها حيث يجلس ياسين .. تفاجأت بأن وجدته يتحدث إلى بدر ويتضحان .. فرحت لذلك

كثيرا ، وقررتُ في نفسها أن تسأل بدر عن كل شيء عنه ، كما قررتُ أن تطلب من بدر أن يطلب من ياسين أن يزوره في فيلتهم .

(لكن هل هناك صلة بين هذا الشاب الجامعي والطفل المتسول؟ .. هل يكونان نفس الشخص؟ .. وإن كانا نفس الشخص فما الذي يجعلني أتعلق به هكذا؟ ماذا لوعلم زوجي الجالس بجواري أن كل عقلي مع شاب في سن ابنه بدر؟ .. ماذا يحدث لك يا أحلام؟)

هذا ما حدثتُ به أحلام نفسها ، وتلك كانت أفكار كثيرة تجتاحها .. ظلت تفكر في كل ذلك بسبب إحساسها بنفس الشعور الواحد عندما رأت هذا الشاب ومن قبله بسنوات ذاك الطفل ، ثم طردتُ هذه الأفكار عنها عندما سألتُ نفسها سؤالا تراه وجيها : ما الذي يوصل طفلا فقيرا متسولا لأن يتعلّم في أعلى الجامعات وأرقاها؟

ووقف رجلٌ جهوري الصوت يرفع صوته بأسماء الطلاب للبعود لمنصة الاحتفال واحدا بعد الآخر .. نطق الرجل اسم بدر معتصم شرف الدين ، فصعد سريعا تتبعه نظراتُ امرأتين : الأولى أمه الحقيقية وعد الخادمة التي لا تفارقه عيناها للدرجة التي لفتت انتباه زوجها الدكتور مالك وابنتها هايدي ، والثانية أمه المخدوعة التي ربته سنيها والتي تنقل عينها ما بينه وبين زميلٍ آخر له .

ومرّ وقت قصير ثم نطق الرجل اسم ياسين سالم السعدي ، فاتجه ياسين من مقعده مسرعا وصاعدا تلك الدرجات القليلة حتى اصطفت في صفوف الطلاب .. وقفتُ المهندسة أحلام وهي تضع يدها على فمها وتردد ذاهلة : (ياسين!! .. اسمه ياسين!!) .. لقد جاهدتُ قلبها لتمنع نفسها من أن تصعد خلفه إلى المنصة كما فعلتها من قبل تحت المطر.

ومرَّ وقتٌ قصيرٌ آخر ، ثم نزل الطلاب من المنصة إلى ذويهم .. وعين وعد تتبع بدر الذي ذهب ليرتقي بين أحضان المهندسة أحلام التي تتابع بعينها ياسين الذي ذهب ليقف مع أخته هايدي جانبا قريبا من الصفوف الأمامية بعيدا عن أمها وعد وزوجها الدكتور .

وتعمَّدت المهندسة أحلام أن تنتقل بعينها مع ياسين حتى يصل لأمه لتراها وتعرفها من باب الفضول ، لكن العلاقة بين ياسين ووعد ليست بهذا الصفاء ليذهب إلى أحضانها .. استمر واقفا بعيدا عن وعد يتحدث إلى أخته هايدي ، لكن شيئا غريبا حدث كان مفاجأة غير متوقعة لأحلام ، وأيضا مفاجأة غير متوقعة لوعد .. كانت يارا تقف بين أمها أحلام وأبيها معتصم ، فاستأذنت منهما قائلة لهما :

- مامي بابي .. أستأذنكما .. سأذهب لأسلم على زميلة لي

أشارت أحلام برأسها ليارا أن تذهب ، لم تتبعها بعينها لتري أين تذهب ابنتها لأنَّ عينها كانتا مشغولتين راكزتين مع ياسين ، لكن الابنة يارا ذهبت حيث ركزت عينا الأم .. ذهبت حيث يقف ياسين .. سلَّمت على هايدي ثم سلَّمت على ياسين ثم تركتهما هايدي ، فضلَّ الشاب ياسين والفتاة يارا يتحدثان كعاشقين تحت رعاية عيني أمهما أحلام .. يا الله ! .. ماذا يحدث ؟ .. إنهما قد صارا عاشقين ، وهما في الأصل أخ وأخت ، ولا يعلم ذلك أحد في هذه القاعة الواسعة كلها إلا امرأة واحدة هي وعد العجورية .

لكن إلى أين انصرفت هايدي عندما تركت ياسين ويارا؟ .. انصرفت إلى حيث يقف بدر بجوار المهندسة أحلام وأبيه المهندس معتصم .. أرادت أن يراها بدر .. رآها بدر فأسرع ناحيتها ، وكانت عينا أمه الحقيقية بالطبع راكزة عليه تتابعه .. رآته متجها ناحية ابنتها هايدي .. وقف عندها .. سلَّم عليها ووقفا يتحدثان كعاشقين

تحت رعاية عيني أمهما وعد .. يا الله ! .. ماذا يحدث ؟ .. إنهما أيضا قد صاروا عاشقين ، وهما في الأصل أخ وأخت ، ولا يعلم ذلك أحد في هذه القاعة الواسعة كلها إلا امرأة واحدة هي وعد الفجرية .

ما هذا؟ .. كيف يحدث ذلك؟ .. لم يكن هذا العشق بالطبع ضمن ما دبّرت له الشيطانة وعد ، هي بالطبع لم تتعمد أن يصل هؤلاء الإخوة إلى مثل تلك العلاقات العاطفية في هذه الدائرة المحرمة .. فهل سيجعلها ذلك تتراجع عن قتل ياسين أو تؤجله إلى حين آخر؟

كان مخطط وعد الشيطاني منذ البداية قائما على عدم وجود زوجها سالم السعدي بحياتها حين خروجها لطريق جني الثمار سواء اختفى منها بطلاقها أو بقتله ، وكتب سالم نهايته قتلا عندما عاند ممتنعا عن تطليقها ، وعَلِقَتْ معه الزوجة صباح التائبه عندما لم تنحز لصف وعد ، كما كان مخططها قائما على أن تأتي نهاية الزوجين الثريين معتصم وأحلام معا على يديها مرة واحدة في وقت معين بعد أن يصل بدر إلى درجة من النضج والسن الذي لا يكون هناك وصي عليه في أملاك أبيه معتصم تفاديا لتدخل الطامعين المتريصين العم مدحت والعمة نرمين ، وفي الوقت الذي يرث فيه الوريث المزيف ابنها بدر كل شيء يأتي الدور على الوريث الشرعي الأصلي ياسين ليغادر الحياة ، فلا يمكن لياسين أن يقف صامتا دون أن يسأل ويفهم حين انتقال وعد وهايدي إلى بدر حيث الثراء والقصور ، وبعد أن يموت ياسين تخرج وعد إلى طريق بدر ، فتذهب له بعد انقضاء حزنها على فقيدها ياسين ، وانقضاء حزن بدر على فقيديه الأبوين الثريين ، فتقف أمامه باكية حاملة له السرالدين الذي عاشت المسكينة وحدها معه دون أن تخبره رفقا به ، ثم تجلس أمامه تائبة راجية منه أن يسامحها قبل أن تموت ، وهي لم تخبره عن

نفسها بعد : مَنْ تكون؟ وبالطبع ستكون حالتها بين بكاءٍ ووعويلٍ ومظاهر نفس تائبة .. وهنا يسألها بدر حتما : (مَنْ أنتِ؟) فتجيب وعد بكل وداعة وبراعة : (أنا أمك الحقيقية) .. ولا شك أنَّ الابن سيُصاب بالذهول ويسارع ليسألها : (كيف؟) ، فتخبره بالحقيقة كاملة على الوجه الذي يظهرها ملاكا ، وستؤكد أنها فعلت ذلك التبدل يوم ميلاده ياسين من أجل ألا يعيش حياتها الفقيرة المتشردة ، وإن أراد أن يستوثق فعليه أن يجري كل التحليلات التي ستؤكد له أنه ابنها وابن معتصم معا ، أما عن يارا اليتيمة ، فهي أخته من أبيه ولها نصيبها من الثروة ، وأما هايدي الجميلة ، فهي أخته أيضا من وعد ، ويجب أن يكون لها نصيبٌ كبير.. أما ياسين ، فرحمة الله على ياسين الذي أحبته كابنها وربته وعلمته في أحسن المدارس والجامعات دون أي تقصير ، ثم اختطفه الموت منها في حادث أليم .

كانت تلك خطتها الأولى ، لكن ما حدث يوم حفل التخرج كان أشبه بسائلٍ مُزِيلٍ قد سَكَبَ قدرا على كل الكلمات بصفحاتِ خطتها اللعينة ، فما بقى منها كلمة واحدة حتى جعلها والعدم سواء ، وعليها أن تخطَّ بيديها ونفسها الشريرة سطور خطة ملعونة بديلة من جديد ، يكون ياسين فيها حيا .

لكن ما الذي حدث يوم حفل التخرج؟ .. ما حدث هو أنَّ الشيطانة وعد قد رأت بعينها النظراتِ العاشقةِ ما بين ياسين وأخته يارا من أب واحد هو المهندس معتصم وأم واحدة هي أحلام المصري ، كما رأت بعينها نظراتِ عاشقةٍ أخرى بين ابنها بدر وأخته هايدي من أم واحدة هي وعد ، وإن كان الأبوان مختلفين ، الولد من معتصم شرف الدين والبنت من تامر الغمراوي .

فهل هذا يجعلها تتراجع عن قتل ياسين؟ .. بالطبع ستتراجع لتتيح لنفسها التفكير جيدا في تعديل مسار مكرها وخطتها الشيطانية ، فربما تحتاج ياسين في خطتها الجديدة الملعونة .

ولقد كانت هناك مخاطرة كبيرة بوجود يارا في خطتها الأولى ، فيارا مصيرها حتما للزواج ذات يوم ، ومن يديرها ألا يكون زوج يارا القادم شخصا طامعا ماكرا يكدر صفو حياة ابنتها بدر؟ .. فإن ظهر أن يارا تحب ياسين ، وياسين يحب يارا ، فلا بأس أن يتزوجا ليبقى المال بين كفيهما .. في النهاية ياسين هو ابنتها كما يظن ، فإن كان غاضبا منها لفترة فيمكنها أن تُزيل غضبه بكلمة ، وها هو قد وقف أمامها بالنهاية معذرا .

وإنها أيضا في خطتها الأولى عندما قررت قتل ياسين قررت ذلك لأنها كانت تنوي إخبار ابنتها بدر بقصة التبدل ، وهذا لا شك سيجعل ياسين يقتلها إن علم ، وكان من الوارد أن يعلم ، لكن في خطتها الجديدة التي ما زالت تديرها بداخلها لن تلجأ إلى أي اعتراف ، وهذا أفضل ، خاصة أنها كانت تتخوّف من ألا يصدقها بدر ، أو ألا يسامحها أبدا .

ولهذا فقد كان ما حدث يوم حفل التخرج شيئا مريحا لها ، حيث إن دورها الجديد في الخطة الجديدة هو فقط مشاهدة المباراة من بعيد .. لن تكلفها الخطة الجديدة عناء الركض والجري والوقوع والنهوض أو الإصابة داخل مستطيل الملعب ، ولم تعد بحاجة إلى أن تذهب لبدر باكية تائبة ، ولم تعد بحاجة لقتل ياسين ، فليبق ياسين ليارا زوجها يرث معها ما يتبقى من بدر ، وليبق لهايدي أخ لا يعاني قلبها الصغير بفقدته ، وأما زواج بدر وهايدي ، فهذا ما يجب أن تفكر بشأنه بعض الوقت

، لكنها مع كل الاحتمالات ستكون بحاجة ماسة إلى إنهاء حياة اثنين ، هما المهندس معتصم وزوجته .

كلُّ ذلك أدارته في عقلها عندما رأَتْ بعينها مظاهر العشق الحرام .. قررتُ خلال دقائق تغيير خطة السنين لخطة بديلة لم تسطر بعد كل صفحاتها على الوجه النهائي ، فربما يَجِدُّ جديداً آخر ، لذلك فقد حرصتُ على أنْ تنسحب فوراً بعيداً عن عين أحلام وزوجها معتصم حتى لا يريانها في الحفل ، فالخطوط الأولية لخطتها الجديدة تحتم عليها أنْ تعود فتختفى عنهما لوقت آخر ، كما حتمتُ عليها أنْ تترك ياسين ليعيش حيناً من الزمن ، لذا كان أول شيء فعلته عند الخروج باتجاه سيارتها أنْ مالت بنفسها جانباً لتُجرى اتصالاً واجبا ببيعقوب الأصفر تخبره أنها أَجَلتْ مهمة قتل ياسين .

أما المهندسة أحلام فقد فرحتُ كثيراً لرؤية ابنتها يارا تتحدث بشغفٍ إلى ياسين.. دخلتُ عليها حجرتها ، ثم جلستُ بجانبها على السرير.. سألتها بحب وحنان:
- يارا يا حبيبتي .. مَنْ هذا الشاب الوسيم الذي كنتِ تقفين معه في قاعة الحفل؟

رفعتُ يارا عينها لها بابتسامة خجلة ثم قالت :

- هل رأيتنا؟

- نعم .. ورأيتُ نظراتكما لبعضكما

فازداد احمرار وجه يارا ثم قالت :

- اسمه ياسين سالم السعدي .. زميل أخي بدر .. وأخته هايدي زميلتي .. وبدر

أيضاً

ولم تُكْمِلِ يارا ، فقالت أمها باسمه :

- أكلمي يا يارا

- لا .. أسألي بدر

فضحكتُ الأم قائلة :

- أنا أعرف .. بدروهايدي مثلكما أنتِ وياسين

نظرتُ يارا لها ثم قالت :

- هل ستخبري بابي بذلك؟

- ولمْ لا نخبره؟ .. أبوكما رجل متحضر .. لسنا رجعيين .. وقد ربيناكما على

الصراحة والثقة

ولم تعلق يارا ، فأكملتُ أمها :

- احكِ لي عن ياسين

- ياسين شاب محترم يسكن في الرحاب .. أمه سيدة أعمال تزوجت بعد أبيه

من طبيب قلب .. فأبوه قد مات .. لكن كل زملائنا يظنون أنَّ طبيب القلب هو أبوه

- حبيبي يا ابني .. عاش يتيما

وأُسعد يارا اهتمام أمها الزائد بياسين ، ثم سألتها الأم أحلام سؤالاً يشغلها

بسبب ربطها بين ياسين الشاب هذا وياسين الطفل المتسول :

- يارا .. أين كان ياسين يعيش قبل أن يسكن في الرحاب؟

- لا أعرف يا مامي

فسكتتُ المهندسة أحلام لحظة ثم راحت تسألها :

- هل كان معكما في نفس المدرسة؟

- لقد جاء إلى مدرستنا من أول المرحلة الثانوية .. هو وأخته هايدي لم نرهما قبل ذلك

وسكنت الأم تفكر فسألتهما يارا : لماذا كل هذه الأسئلة يا مامي؟

- حبيبتى يجب أن أعرف كل شيء عن أصحابك وأصحاب أخيك

- اطمئني يا مامي

وذهبت الأم أحلام إلى بدر في حجرتة وسألته عن ياسين فأخبرها أنه صديقه منذ أيام المدرسة الثانوية ، ولا يعرف عنه غير ما تعرفه يارا .. سألته عن هايدي قائلة :

- وهايدي .. هل تحبها؟

- نعم يا مامي أحبها

- هل تريد أن نخطبها لك؟

- طبعا أتمنى ذلك يا مامي .. لكن متى؟

- اطمئن يا حبيبي .. فقط نريد أولا التعرف عليها وعلى ياسين أكثر

- هايدي بنت جميلة جدا وطيبة و مثقفة

وسكنت الأم قليلا ثم قالت : ما رأيك في ياسين يا بدر؟ من الواضح أن أختك

تحبه

- بالنسبة لي كصديق هو شخص جيد .. وأنا طبعا أعرف أن يارا تحبه ولا

أعترض عليه في شيء

- وهايدي بالنسبة لك .. هل تراها مناسبة كزوجة؟

- أجل يا مامي

- ما يميني الآن أهلها يا بدر.. وأيضا الماضي الغامض لهما .. خاصة ياسين
بالنسبة لي

- ولم ياسين على وجه الخصوص؟

لم تُجِبْ على سؤاله هذا ، إنما سكتت قليلا ثم سألت : ألا تراه يشبهك كثيرا يا
بدر؟

- بلى يشبهني كثيرا .. زملاؤنا يظنوننا أخوين

- لا أعرف ماذا أقول يا بدر.. لكن ياسين هذا فيه شيء غريب

- مامي .. ماذا تقصدين؟

- هل رأيت أباه؟

- لم أره أبدا .. أبوه ميت .. زوج أمه الآن طبيب

- أعرف ذلك .. أخبرني يارا

- بإمكانك أن تتعرفي على أمهما

- معك حق .. يجب أن أتعرف على أم ياسين

(١٦)

زيارة مؤلمة

في نفس الوقت الذي ظلَّت فيه الأم الحنون أحلام المصري ساهرة تفكر كيف تجمع بين القلوب العاشقة ، كان هناك شيطانةٌ لم تنم ليلتها ، ساهرة هي الأخرى تقلب خطتها الجديدة على الوجه الجديد ، ياسين وأخته يارا عاشقان ، وبدروأخته هايدي عاشقان .. نعم تلك هي الحقيقة المؤلمة للضمير.

وإنها لم تقلق بسبب ما رآته بعينها من تجانس القلوب العاشقة عشقا حراما لأنهم جميعا أخوة مقبلون على الزواج بما يخالف شرع الله ، بل كان قلقها بسبب تحول مسار خطتها الدنيئة .

سهرت الليل كله تحسب كل أمرها ، ومع أول صوت لبائع الفول بعد الفجر في الحي الشعبي كانت قد حسمت كل أمرها .. توصلت إلى قرارٍ شيطاني .. ستترك كل شيء يمضي كما يريد العاشقون ، فقد وجدت في ذلك أكبر ضمان لأن تكون الثروة كلها في النهاية بين يديها ويد الذين تحبهم من التابعين لها ، ثم لماذا تكون هي العذول الذي يفرق بين العاشقين؟

وماذا إن منعت زواج الأخوة لتسلك طريقها الأول مع خطتها الأولى؟ .. في نهايته ستكون الأملاك لابنها بدر الذي لا بد أن يتزوج يوما من امرأة غريبة غير مضمونة الجانب تشاركه في ثروته ، وفي نفس النهاية ستتزوج ابنتها هايدي أيضا من رجل غريب غير مضمون الجانب يشاركها في ثروتها التي قد تشارك أباها بدر فيها .. فلتكوني عاقلة أيتها الأم وعد وقاسية القلب أيضا وخالية من كل رادع ، وإياك وصحوة الضمير ، ولتكوني شاذة التفكير لتجمعي الثروة كلها في يد ابنتك وابنتك

معا كزوجين ، ولتكوني رحيمة أيضا ، ولتعطفي على ياسين ويارا ابني المهندس الذي عاشرك كثيرا في الحرام لأيام متتابعة والمهندسة المخدوعة التي أوتك في بيتها شهورا كخادمة ، فإن استقاما فوق طريق شيطانك كان بها ، وإن انحرفا يوما فيعقوب الأصفر موجودٌ لمن ينحرف بالمرصاد .

هذا ما حسمتُ إليه الشيطانة الماكرة كل أمورها وخططها الشيطانية القادمة دون أي رادع أو خوف من قوانين البشر المتغيرة أو شرع الإله الثابت .. فما هذا الشر الجامع ! .. حقا والله مهما بحث إبليس اللعين بين ركاب العاصين والمذنبين عمن يخدم شروره إلى هذا الحد ما وجد طاعة مثل ما وجدها من تلك الشيطانة الفجرية وعد المحروس .

لكن كان هناك العثرتان الأكيدتان أمام وعد ، هما المهندسة أحلام وزوجها المهندس معتصم .. عليها أن تلتقي ببعقوب الأصفر لتُنهي أمرهما سريعا ، لكن ماذا لو تقارب ياسين وهايدي مع أصحاب الفيلا الثرية دون علمها قبل أن يتحرك يعقوب الأصفر؟ .. وماذا لو تمادى ياسين وهايدي معهم بنية حسنة صادقة فأخبرهم عن الأصل المعيب لهما؟ ماذا لو تمّ نبش الماضي رجوعا إلى الجذور؟ .. ماذا لو قاد الكلام والتعارف بأي شكل وطريق بين الجميع إلى وعد الخادمة القديمة في فيلتهم الثرية؟ .. إذن لا بد من التحرك سريعا سريعا .. لا بد من يعقوب الأصفر.. لكن قبل كل ذلك لا بد من زيارة سريعة لياسين وهايدي في الرحاب .

دخلتُ وعد شقة الرحاب عليهما بوجهٍ جديدٍ محب وملابسٍ جديدةٍ جميلة مع لساني حلو ، وكثير من الرفق والحنان تصبه صدقا لهايدي وخذاعا لياسين .. سألتها ياسين باستغراب :

- ما سبب كل هذا الرضا؟

- ضحكتُ وعد وقالت :
- أم تأتي لأولادها بهدايا .. فما الغرابة في ذلك؟
- سألته هايدي باهتمام :
- لماذا لم يأت معك الدكتور مالك؟
- ياسين لا يحبه
- أسرع ياسين يقول :
- كان هذا في الماضي قبل حفل التخرج .. شعوري تجاهه تغير كثيرا
- ففرحتُ وعد كثيرا بكلامهما ، وأقبلتُ عليهما تحتضنهما ثم قالت :
- أريد أن أحدثكما في موضوع مهم لكما
- نظرا لبعضهما في صمتٍ ثم قالت هايدي لأمها :
- خيرا ماما
- فنظرتُ وعد لياسين وقالت :
- لقد لاحظتكَ يا ياسين يوم الحفل تقف وتنظر نظرات معينة إلى بنت جميلة
- أسرع ياسين يقول :
- هل تقصدين يارا؟
- هزتُ رأسها مبتسمة ، ثم نظرتُ إلى هايدي بابتسامة أكبر وقالت :
- نعم يارا أخت بدر.. هل تعرفينه يا هايدي؟
- ابتسمتُ هايدي وقالت :
- طبعا أعرفه يا ماما



- ضحكتُ وقالت في رفق :
- أنا لا أعارضكما في شيء .. بل على العكس أشجعكما على ذلك
أقبلتُ عليها هايدي وقبلتها :
- شكرا يا ماما .. كنا خائفين من رد فعلك عندما تعلمين
قالت وعد مسرعة :
- لا تخافا .. أنا موافقة لكن بشرط
سألها ياسين :
- ما هو؟
- هو ألا تخبراهما الآن عني بأي شيء .. اثبتنا على القول لهما أو لأهلهم أن
أمكما سيدة أعمال .. وأن أبكما كان رجل أعمال .. الناس مظاهركما تعلمان
أسرعتُ هايدي تقول :
- معظم زملائنا بالفعل لا يعرفون عني أو عن ياسين أكثر من ذلك .. لكن
للأمانة فقد أخبرتُ بعض صديقاتي يوم الحفل بأنّ الدكتور مالك هو والدي .. أردتُ
التفاخر به
- وضحكتُ وعد ضحكة عالية وقالت في فخر :
- فعلا مالك فخر لأبي أحد .. وأعدكما سوف تتزوجان من تريدان
قال ياسين متخوفا :
- لكني أخاف ألا يوافقوا علينا .. فهم أثرياء جدا
أمسكتُ وعد بيده وقالت تطمئننه :
- لا تقلق طالما أنا معك

وكانت الأم الأخرى المهندسة أحلام قد أخبرت زوجها المهندس معتصم بعلاقات الحب هذه .. ولأتهما شخصان متحضران إلى درجة لا توصف كأنهما غير شرقيين ، فقد تقبّل الأب المهندس ذلك في يسردون تعقيد ، بل طلب من يارا أن تخبر ياسين بأنه يريد أن يراه .

واتصلت يارا بياسين تخبره في سعادة غامرة ، وتحدّد الموعد بعلم الشيطانة وعد .. فقد راقت مجاري المياه بينها وبين ياسين ، وصار ياسين وهايدي يخبرناهما بكل شيء في حياتهما ، واطمأنت الشيطانة وعد إلى أنّ الأمور تسير على ذلك سيراً جيداً .

وكان الموعد في المقر الرئيسي لشركة الأب معتصم شرف الدين .. ذهب ياسين يرتدي ثياباً شبابية من أعلى الماركات ، فقد حرصتُ وعد على أن يبدو أنيقاً ، فاخترت له بنفسها ما يرتديه .

وصل مقر الشركة .. ظهر عليه الدهول والإعجاب منذ أن عبر البوابة الرئيسية الضخمة الفخمة لها .. تسلّم السائس مفاتيح سيارته ليركنها له .. نزل منها وراح ينظر حوله مأخوذاً بكل شيء ، المبنى الكبير الأنيق ، والمكاتب الكثيرة ، والموظفين والمهندسين الذين لا عدد لهم ، والمهندسات الفاتنات .. كل شيء كان ينطق بالثراء الفاحش .. أحسّ بالظفر لأنّ ابنة صاحب هذه العظمة تحبه .. تدرج بين الطوابق والصالات الواسعة من استقبال حافل عظيم له إلى استقبال أكثر عظمة حتى وجد نفسه أمام مديرة مكتب الوالد المهندس .. كانت واقفة في ثبات وأناقة تنتظره .. سارت أمامه توسع له الطريق حتى وجد نفسه يقف أمام والد الفتاة التي يريد أن يتزوجها وهو لا يعلم أنّ الرجل أبوه والفتاة أخته والشركة شركته .

نعم هو أبوه الحقيقي ، ياسين هو صاحب كل هذه الامبراطورية في الحقيقة إن مات والده معتصم ، لكنه الآن قد ذهب ليخطب منه أخته يارا ، نعم هي أخته في الحقيقة ، لكن في عالم الفجرية وعد فإنَّ الواقع الحالي يقول إنَّ ياسين ذهب لوالد يارا للتعرف به قبل أن يُوقَّع الأب الموافقة الأخيرة على طلبه .

ومنذ وقعت عين الرجل الثري على ياسين عن قربٍ نسي ثراه ومكانته وعظمته وكل مظاهر الفخامة التي يعيشها ، وشعر بشيءٍ غامضٍ يسري بداخله ، لقد أحسَّ أنه يعرف هذا الشاب ، وشعر أنهما تقابلا كثيرا من قبل في ظروف أخرى مؤلمة ثم افترقا على أن يتقابلا الآن في هذا المكان والزمان ليزول الألم .. بالطبع لم يستطع أن يجد تفسيراً لمشاعره تلك ، لكن على كل حال فقد انجذب إلى الولد انجذاباً غامضاً ساحراً بحيث إنه قد قرَّر ألا يفرض به كزوج لابنته المدللة يارا .. ونفسُ ذلك الإحساس كان لدى ياسين .

طلب له الأب مشروباً بارداً مع شيكولاته وحلوى .. تعجب ياسين من ذلك ، لكنه لم يسأل .. سأله الأب عن طموحاته وأهدافه المستقبلية ، وسأله من بعيد أسئلة غير مباشرة عن آرائه السياسية دون خوضٍ كثيرٍ في تفاصيلها ، واختبره في معلوماته الدينية والرياضية .. وجد ياسين يملك ثقافة متنوعة ، فليس هناك موضوع أو مجال لم يتقن الحديث فيه بمستوى معقول ، ثم سأله عن أهله وأصولهم ، فلم يزد ياسين شيئاً على ما نهته وعد إليه ، واحتسى الأب بعضاً من القهوة ثم قال لياسين :

- إن شاء الله الخطوة القادمة هي أن تتعرف والدة يارا على والدتك

وهنا تلجج ياسين بعد كامل الثقة التي كان عليها .. قال له :

- طبعاً طبعاً

فتناول الأب بعضاً آخر من القهوة وقال :

- لماذا لم نرها يوم حفل التخرج؟
- كانت موجودة .. وكان معها زوجها الدكتور مالك
- للأسف فاتنا شرف التعرف بهما
- بل الشرف لنا نحن
- وأشار الأب لياسين أن يشرب العصير ثم سأله :
- ما طبيعة الأعمال التي تديرها والدتك؟
- كل شيء .. التصدير والاستيراد .. مزارع الأسماك والدواجن والمواشي ..
- تصنيع الألعاب الكبيرة .. أولنقل الآلات الكبيرة لألعاب الأطفال
- آلات كبيرة لألعاب الأطفال ! .. لا أفهم
- الألعاب التي توضع في المولات الكبيرة كمراجيح الأطفال الحديثة بكل أنواعها أمي تصنعها
- نعم نعم .. فهمتُ .. ما شاء الله .. وهل ستعمل معها بعد تخرجك؟
- نعم .. لكنني سأحاول تطوير كل ذلك

ابتسم الأب وقال :

- إن شاء الله ستكون رجل أعمال كبير يا ياسين .. تعجبني طريقة تفكيرك
- شكرا لحضرتك .. أنا سعيد جدا بالتعرف عليك .. وأشعرب.....
- وسكت ياسين ، ولم يستطع أن يكمل ، فنظر له الأب ينتظره فأكمل ياسين :
- أشعر أني أعرف حضرتك كثيرا .. أو كآني قابلتك قبل ذلك كثيرا

فابتسم الرجل ونظر له بحنان قائلاً :

- والله أنا أيضاً يا حبيبي أشعر بذلك

وتسربت دمعتان في نفس الوقت ، الأولى من عين ياسين والأخرى من عين الأب ، فراح كل منهما يواربها قبل أن يلتفت الآخر لها .

وعاد الأب المهندس معتصم إلى زوجته أحلام منشرح الصدر بنفس الانجذاب الغامض الساحر .. لا يكفُّ في كل لحظة عن أن يتحدث عن ياسين ، ففرحت الزوجة أحلام بكل ما سمعته ثم نامت بعد انشغال طويل ساحر خفي يتعلق بالولد

ولما غرقت في النوم رأته في المنام يتقدم ناحيتها مبتسماً وسط ضباب وبيديه إكليل من الورد والزهور ذات الألوان الجميلة ، فاستيقظت منشرحة الصدر ، وصلت الفجر ثم جلست على مقعد هزاز بجانب نافذة كبيرة تُشرف على شارع عريض ممتد مزين بالأشجار الجميلة على الجانبين .. راحت ترقب مولد اليوم الجديد عن حركات الباعة والناس والسيارات .. كانت ترى كل شيء جميلاً ، فقد زين وجود ياسين بحياتها كل شيء .

وكانت وعد قد عادت من الرحاب إلى زوجها الدكتور مالك في شقة الحي السادس .. وجدته جالسا حزينا يفكر في شرود .. سألته بحب ورفق :

- مالك يا حبيبي؟

نظر لها وقال :

- وعد لقد مللت من حياتي هكذا

قالت بدلال :

- هل تقصد من حياتك معي؟

فوقف وقبّلها ثم قال :

- لا أقصد ذلك يا وعد .. بل أريد أن أعود لعملي
- أخذت نفسا وتهدئة ثم قالت :
- أنا موافقة يا حبيبي طالما أن هذا سيخرجك من الملل
- فأسرع يقول في إصرار وعزم :
- ليس هذا فقط .. بل أريد أن أستعيد كل ما سلبته حنان مني
- فأسرعت وعدت توافقه وتشجعه قائلة :
- هذا حقا ما يجب أن تبدأ به من الغد يا مالك .. البلد فيها قانون وقضاء ..
- لقد ظلموك ونهبوا كل شيء منك عندما أثبتوا أنك مجنون .. أنت استسلمت لهم مرة .. لكن ليس كل مرة .. يجب أن تسترد كل ثروتك .. وتسترد بلال وحبيبة

فقال مالك حالما مسرورا :

- بلال وحبيبة .. لقد اشتقتُ إليهما كثيرا
- مؤكداً أن حنان سممتُ فكرهما من ناحيتك .. لكن في النهاية أنت أبوهما
- سأقاضي حنان في كل المحاكم وسأسترد منها كل شيء .. لكنني لن أسامح إخوتي
- وأنا معك في كل شيء يا حبيبي
- وبالفعل بدأ الدكتور مالك بمساعدة وعد يبحث عن محام يتولى كل قضاياها ، ويسلك كل ما يستطيع من أجل استرداد حقوقه حتى عثروا على المحامي المناسب ، ثم بدأ المحامي في العمل .

وذات يوم أراد مالك أن يذهب ويُلقَى نظرة على البيت من خارجه ، فقد اشتاق له .. ذهبتُ معه وعد .. أوقفتُ سيارتها ثم نزلنا ووقفنا أمامه ينظران ، وكان البيت قد صار ساكنا حزينا مهجورا بلا حياة .

وراحت عينا الدكتور مالك تنتقل بشوقٍ شديدٍ بين شرفات البيت ونوافذه وحديقته .. هنا كان يجلس .. وهنا كان يقف .. وهنا كان يلعب ابنه بلال وابنته حبيبة .. وهنا تعودُ أن يركن سيارته .. وهنا كان يقف مع أصحابه أيام الصِّبا يتسامرون ليلا بينما تُنعش وجوههم نسائم الربيع .. وهنا كانت صفوف الفقراء والأرامل تصطف طلبا للمساعدات في كل يوم خميس ، وأخرجته وعد من ذكرياته قائلةً بحب :

- مالك يا حبيبي
- نعم يا حبيبي
- هل تذكر؟
- ماذا أذكر
- كنتُ خادمك في هذا البيت
- أذكرك يا حبيبي
- الآن أنا زوجتك
- هذا يشرفني والله يا وعد
- عندما نسترد بيتنا هذا .. هل تعرف ماذا أتمنى بعدها؟
- ماذا تتمنين؟
- أن أنجب منك عشرة أطفال
- عشرة أطفال !!

- نعم .. لينشروا فيه الحياة والفرحة بعد تلك الكآبة التي سكنته
- والله معك حق يا وعد
- وفجأة بينما كانا يقفان مستندين إلى السيارة برز لهم حارسُ العمارة المجاورة ..
- أقبل منها نحو الدكتور مالك مسرعا قائلاً في فرح :
- دكتور مالك دكتور مالك .. أنا أيوب .. هل تذكرني؟
- خرج الدكتور من ذكرياته على صوت أيوب الذي تذكره على الفور ، واحتضنه
- قائلاً :

- نعم أتذكرك يا أيوب .. ما أخبارك؟
- أنا بخير .. لكن والله ينقصنا وجود حضرتك .. حمد لله على السلامة
- الله يسلمك يا أيوب .. ما أخبار أولادك؟

قال أيوب البواب :

- نشكر الله على كل حال .. والحمد لله أني رأيتك بخير .. قالوا عنك كلاماً كثيراً لم أصدقه
- أنت رجل أصيل يا أيوب .. لكن أخبرني ما أخبار عم محمد بواب بيتنا؟
- منهم لله .. طردوه بعد ما فعلوه بك لأنه كان يحبك ولا يتوقف عن الحديث
- عنك

قال الدكتور مالك في أسف :

- ربنا موجود يا أيوب .. وهو لا ينسى أحداً
- ربنا يصبرك يا دكتور .. لقد حزنْتُ كثيراً لأجلك .. لكن أكثر ما أتر في نفسي
- أن يسكن هذا البيت سكان غيرك وغير أولادك

ووقعتُ الكلمة على أذن الدكتور مالك وقع الصاعقة ، وأراد أن يفهم ما سمعه
أكثر فقال :

- ماذا تقصد يا أيوب؟
 - زوجتك مدام حنان .. الله لا يسامحها
 - ماذا فعلتُ أكثر مما فعلتُ؟
 - جاءت هنا منذ شهر مع رجل غريب عرفتُ بعد ذلك أنه زوجها .. ثم جاء
أشخاص كثيرون في أيام متتالية .. كانوا يعاينون البيت
 - وماذا حدث بعد ذلك؟
 - باعت البيت
- وهنا انتابت مالك حالة هستيرية ، وراح يصيح بصوتٍ عالٍ ناعتا حنان بالكلبة
والشيطانة ، واستند على مقدمة السيارة ، وكاد يقع على الأرض وأسرعتُ وعد
تُسنده ، وفتحتُ باب سيارتها لتجلسه ، وكان أيوب البواب يساعدها في ذلك ، ثم
أمسكتُ بزجاجة ماء وسقته منها ، وهو لا يكفُّ عن أن يردد :
- حنان باعت بيتي يا وعد .. الكلبة باعت بيت أبي .. الشيطانة دمّرت بيت
أحمد الأمير

فنظر البواب لوعد في حسرة وقال :

- والله الدكتور معه حق .. الله لا يسامحها .. دمّرت أسرة كاملة
- ونظر الدكتور مالك له يسأله :
- وأخوتي يا أيوب .. هل كانوا معها وهي تبيع البيت؟

فنظر أيوب لوعده ثم قال :

- سمعتُ أنها تركتُ إخوتك بالخارج وحدهم .. كان معها فقط هذا الرجل
زوجها

فقال مالك في حسرة :

- آه يا حنان آه .. لم يَكْفِكِ تشريدي .. بل جئتِ لأولادي بزواج أم .. حبيبي يا
بلال .. حبيبتي يا حبيبة .. وهل تعرف شينا عن بلال وحبيبة يا أيوب؟

فنقل أيوب عينيه بين وعد والدكتور مالك وسأله مستغريا :

- ألا تعرف يا دكتور؟

- ماذا أعرف؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله

- أيوب .. ماذا حدث؟

فعاد ونظر نظرات أكثر غرابة وقال لوعده في ألم :

- هل حقا لا يعرف؟

- قُلْ ما عندك .. حرقت أعصابنا

قالتها وعد صارخة فيه ، وتردّد أيوب رغم ذلك قليلا ، ثم استجمع قواه وقال :

- ربنا يصبرك يا دكتور .. والله لا أعرف ماذا أقول لك

صرخ فيه الدكتور مالك وصرختُ وعد ، فاضطر أيوب البواب أن يخبرهما :

- حبيبة هربتُ منهم عندما كانوا بلندن لتعيش مع صاحبها .. وبلال ابنك مات

بسبب المخدرات

(١٧)

قواعد العشق عند وعد

لم يتحمّل الدكتور مالك موت ابنه وانحراف ابنته ، وهو من كان حريصا على أن يعلمهما في مدارس إسلامية ملتزمة بمبادئ الدين والأخلاق الفاضلة الحميدة ، وبعدهما عما قد ينتثر بعض الغبار على معدنهما الثمين الأصيل ، وقطعا " لا شيء في الدنيا أغلى على الأب والأم من أولادهما " .. هذه أول قاعدة من قواعد العشق التي تسمو على قواعد جلال الدين الرومي الأربعين ، فكل أنواع العشق وتفصيله ومظاهره ما هي إلا هوامش على جانبي هذه القاعدة . فالأولاد أئمن وأغلى ما يملكه البشر .

أصابت تلك الأخبار القاتلة عقل وقلب الرجل المسكين فانهار توازنه العقلي والنفسي .. ترك وعد وأسرع هائما من أمام بيتهم الضائع إلى الشوارع المحيطة ، وراحت تلاحقه وتتبعه حتى استطاعت بمعاونة أيوب البواب أن تُمسك به .. أدخلته السيارة وانطلقت به إلى شقتهما بالحي السادس .

ظلَّ مهذي طوال الليل وعيناه عالقتان بسقف الحجرة .. يحدث المرأة والدولاب والسرير .. يحكي حكايته مع حنان منذ اليوم الأول الذي رآها فيه بطريقة أثّرت كثيرا في قلب زوجته وعد ، تلك التي ظلت ساهرة بجانبه . تسمع له وهو يتحدث إلى كل شيء حوله .. يحكي لهذا الليل الساكن حكاية بلال وحببية .

وفي الصباح أخذته وعد إلى مستشفى أبي العزائم للأمراض النفسية والعقلية .. تمَّ احتجازه هناك من أجل العلاج . فحالته ظاهرة للجميع .. لقد عاد الدكتور مالك للجنون .

وعادت وعد من المستشفى بدونه .. تركته حزينة غاضبة .. اتصلت بـ يعقوب

الأصفر:

- يعقوب .. قابلني حالا هناك

- أمرك يا معلمتي

قالت له مذ رأته عند الحديقة الدولية :

- هناك امرأة أريد منك أن تأتيني بكل أخبارها

- فقط أعطني اسمها وما لديك من معلومات عنها واتركي الباقي عليّ

- المعلومات قليلة يا يعقوب .. لكني أتق بقدراتك

- اطمئني .. فأنا تلميذك

غاب يعقوب أسبوعا كاملا ثم عاد ليخبر وعد بما جمعه من أخبار عن حنان ..

قال لها هاتفيا :

- سأنتظرك هناك

ذهبتُ حيث سور الحديقة الدولية .. ركب بجانبها .. قالت :

- قلْ ما عندك

- باعت البيت وكل الأملاك التي يملكها مالك بموجب إعلام الوراثة

وتوكيلات من أخوته وتقارير طبية تثبت أن مالك مجنون

- أنا تقريبا أعرف ذلك .. ما الجديد؟

- اشترت فيلا في التجمع الخامس وفرشتها لتستقر بها مع زوجها الجديد

- وماذا بعد؟

- هي الآن في شرم الشيخ لمدة أسبوع

- هل هناك أحد في الفيلا الآن؟

- لا أحد غير الحارس وزوجته وأولاده
- إذن اسمعني جيدا يا يعقوب
- دائما أسمعك جيدا .. تفضلي
- من أجل أولاد الحارس .. سأخرجهم جميعا من الفيلا لساعتين فقط .. هل تسمعني؟
- أسمعك يا معلمتي
- وسيكون أمامك ساعة .. ساعة فقط .. هل تفهمني؟
- أفهمك يا معلمتي
- ستدخل الفيلا وتسرق كل ما تستطيع حمله .. هل تكفيك ساعة؟
- وأقل من الساعة يكفيني
- كل ما ستسرقه هو غنيمة لك وحدك
- وأنت يا معلمتي؟ .. ماذا ستستفيدين من ذلك؟
- يكفيني شيء واحد يا يعقوب
- ما هو؟
- ماس كهربائي
- فضحك يعقوب طويلا ثم قال مزهوا بنفسه :
- تلك لعبتي .. وشقة سالم وصباح ليست عنا بعيد
- أنا أنق بك .. لكن زد بعضا من المواد القابلة للاشتعال
- فلتكن جهنم يا معلمتي
- أجل .. فلتكن جهنم لكل من يمسُّ شعرة من حبيبي

فضحك يعقوب ثم قال :

- إذن هو الانتقام .. الانتقام لمالك
- نعم إنه الانتقام لي ومالك .. والغنيمة لك
- فعاد يعقوب ، وضحك قائلاً وهو يرفع يديه لوضع الدعاء :
- اللهم أكثر من أمثالك يا معلّمي
- ومنك يا يعقوب
- أمين
- ثم ثبّتت وعد عينها على الطريق بتحدٍ و غضب قائلة :
- يعقوب .. أريد أن أمتع عيني برؤية نار جهنم تأكل الفيلا
- هذا أمرٌ بسيط يا معلّمي
- سأنتظر اتصالك لتخبرني بكلمتين فقط
- ما هما؟
- صارت جهنم
- أمرك يا معلّمي
- يعقوب .. لياكلُ الحريق الفيلا كاملة
- سيحدث
- ثم رمقته بنظرة جانبية سريعة وقالت :
- وإن لم تحترق الفيلا كلها ستقول كلمة واحدة
- ما هي؟
- فشلت
- أعوذ بالله .. ربنا يبعد عنا الفشل



- يعقوب
 - نعم
 - التنفيذ غدا من السابعة إلى الثامنة مساء
 - أمرك .. ولكن ما الداعي لاستبعاد الحارس وزوجته وأولاده؟ .. فليحترقوا
- مع الفيلا
- وما ذنبيم يا يعقوب؟
 - معلمتي ماذا حدث لك؟ .. من أين جاءت تلك الشفقة؟
 - يعقوب .. نفذ ما أمرتك به فقط
- وتمّ التنفيذ ، واحترقت فيلا حنان عن آخرها ، وذهبت وعد فمتّعت عينيها لوقتٍ طويل .. كانت تقف بين الواقفين والسعادة تشعُّ من عينيها ، بينما وقع الخبر على حنان وقع السهام التي اخترقت كل جسدها ، فلم تُبقِ موضعا دون إصابة ، ثم راحت بعد أن استفاقت من حسرتها ولوعتها تتابع تحريات الشرطة ، وتستقصي عن كل شيء لعلها تصل لشيء .
- وعاشت وعد وحدها في شقة الحي السادس ، وكان مالك لا يفارق خيالها لحظة .. راحت تستعيد كل مواقفها معه .. ظلت بها أياما تعاني آلام الفراق وتكابد الشوق له .. تذكرت كل أيامها سويا .. هنا كان يمازحها ، وهنا كان يبكي على صدرها ، وهنا كان يقبلها ، وعلى هذا المقعد جلس فجلست على رجليه وطوقت عنقه وصبّت عليه قبلاهما ، وهنا جلس يوم فاجأها بهديته لها عندما خرج دون علمها ليحضرها ، وهنا جلس خلفها يمشط لها شعرها الناعم ، وهنا أخبرها أنه لم يحب في حياته غيرها .. هنا في هذه الشقة كانت حياتها الملائكية ، وخارج هنا لم تكن إلا شيطانة .

وذهبتُ إلى الرحاب لتقييم بعضا من الأيام مع ابنتها هايدي وياسين ، إذ لم تتحمل البقاء كثيرا وحدها بالشقة دون زوجها وحببيها مالك ، وبدا لياسين وهايدي تغير مزاجها فسالها :

- مالك؟

- أنا بخير

قالت هايدي :

- لماذا لم يأت معك الدكتور مالك؟

أجابت كاذبة في أسي :

- هو مشغول بعيادته الجديدة

فقال ياسين :

- ربنا يوفقه

وقالت هايدي تحدثها في موضوع آخر:

- ماما .. أنا وياسين نريد أن نطلب منك شيئا

- اطلبنا

- نريدك أن تتركي عملك

- هل تقصدين عملي في التسول؟

أجاب ياسين عن هايدي :

- أجل .. ماذا لو تصادف وراك عمو معتصم أو زوجته المهندسة أحلام

تقفين في الإشارة؟

- ابتسمتُ وعد ابتسامة حزينة وقالت :
- هل سيقرآن على جبتي أني أمكما؟ .. وقد مرّت سنوات منذ كنت أخدم
ببيتهما وشكلي تغير
قالت هايدي مسرعة :
- نحن نعرف ذلك .. لكن اقترب وقت أن يتقابلا معك .. ماذا لوراكِ أحد منهم
بعد ذلك تتسولين؟
- قالت وعد بصوتٍ منكسر:
- هل تعرفان أن عمكما الدكتور مالك طلب مني ذلك كثيرا؟
قالت هايدي بابتسامة جميلة :
- ألن تسمعي كلامه؟
فابتسمتُ وعد ابتسامة عاشقة وقالت :
- وكيف لا أسمع كلام من أحبهم؟! .. اطمئنا .. لن أعمل في التسول بعد اليوم
ووقف الاثنان وأسرعنا ناحيتها ، وقبلا رأسها وهي تربتُ على يديهما قائلة في حزن:
- الحب بلا تضحية ليس حبا
- ونحن أيضا والله نحبك كثيرا يا ماما
- وبالطبع لم تترك وعد عمل التسول إلا من أجل زوجها وحببيها مالك ، فكثيرا
كان يطالبها بذلك ، فأرادت أن تحقق طلبا له في غيابها عنها كما لو كان معها ، وفعلا
تلك قاعدة ثانية من قواعد العشق عند وعد العجربة . وهي "الحبُّ بلا تضحيةٍ
ليس حبا"

وذهبتُ وعد لزيارة مالك في المستشفى .. وجدته حقا شخصا مجنوناً ، وجنونه في ازدياد ، حتى إنه لم يشعر بوجودها .. يتحدث إلى نفسه هاذا مشغولاً عن كل مَنْ حوله ، فجلستُ بجواره تراقبه ، ثم أسرعْتُ إلى إدارة المستشفى لتخرجه معها إلى شقتهما بالحي السادس ، فأخبروها أنّ ذلك خطرٌ عليه وعليها ، لكنها أصرتْ إصراراً كبيراً على إخراجِه .

ركب بجانيها ثم غلقتُ الأبواب ، وراحت تتحدث إليهِ دامعة .. ذكرتُ له بعضاً من مواقفهما معا حتى تضاحكه ، لكنه كان قد سلك رغماً عنه طريق الجنون الفعلي ، فلم ينتبه لأي شيء ، فراحت تبكي بحرقة ، وهي التي لم تبك على شيءٍ طوال عمرها السابق أبداً ، ولم تهتم لشخصٍ على مدى حياتها السابقة أبداً ، ولم ترتكب جريمة دون ثمنٍ مادي تلمسه يداها ولو على أبعد مدى ، لكنها الآن بكّت ذلك البكاء بسبب العشق ، وهنا قاعدة عشقية ثالثة ، هي "مَنْ لا يُبكيه العشقُ يوماً فليس بعاشقٌ"

وراحت بعد ذلك تفكر فيما معها من مال ، فلم تجد ما يلزمها ويلزم هايدي وياسين ، وأكثر من ذلك لم تجد ما يلزم للإنفاق بسخاءٍ على حبيبها الدكتور مالك ، فماذا تفعل وقد تركتُ التسول؟ ..لم تفكر طويلاً ، إنما اتصلتُ بـيعقوب الأصفر كي يقابلها في المكان المعهود .

ركب يعقوب بجانيها .. قالت له :

- يا يعقوب .. أريد مالا
- كم تريد يا معلّمي؟
- كثيراً
- يمكنني إقراضك الآن مائة ألف .. هل تكفي؟

- وعد المحروس لا تقترض من أحد يا يعقوب
- مالي هو مالك يا معلمتي .. لقد غنمتُ أضعاف ذلك من فيلا حنان
- كل ما غنمته حلال عليك
- يمكنني أن أجد لك عملا تريحين منه الكثير يا معلمتي
- ما هذا العمل؟
- العمل الذي أعمل به حين أختفي
- قلْ يا يعقوب ما لديك
- هذا سر كبير وخطير يا معلمتي .. لكنني سأخبرك به .. أنا أثق بك جدا
- أخبرني
- عندما أنغيب عنك أكون هناك ضمن عصابة لخطف الأطفال وبيع

الأعضاء

- يا لك من شيطان!
- تلميذك يا معلمتي
- هل وصل شرُّك إلى هذا الحد؟
- ولم لا؟ .. إننا نربح من ذلك ما لا كثيرا
- عرفتُ الآن لماذا تختفي خلف قناع الجنون أمها الشيطان
- تلميذك يا معلمتي
- يعقوب
- نعم
- أبعدي عن موضوع خطف الأطفال
- هل معقولٌ ما أسمعُه منك؟

- الحبُّ رَقَّقَ قلبي يا يعقوب .. أشعر أنَّ حيي لمالك يغسلني في كل يوم ليَطَهِّرَ

بعضاً مِنِّي

- كم أحسد مالك عليكِ! .. يا لحظه السعيد!

- ابحث لنا يا يعقوب عن شيءٍ آخر تملكه تلك الأفعى حنان

- أمرك

- هذه المرة لن نحرق .. إنما سنسرق

- كما تريدن يا معلمتي

- سنتقاسم الغنائم يا يعقوب .. فأنتَ فعلا قد ظهر إخلاصك لي

- والله ما أجمل العمل معكِ يا معلمتي! .. لكنَّ أتمنى أن يدوم الإخلاص بيننا

قالها الشيطان يعقوب الأصفر ثناءً عليها وتملقاً إليها ، وهو يقينا يستفيد منها

الكثير ، ولهذا فقد أعقبها يقول لنفسه في نفسه : (لن أسمح لكِ بالتوبة أبدا يا

وعد .. سيكون يوم توبتك أو خيانتك لي هو يوم موتك على يدي .. لستِ أنتِ وحدكِ

.. بل كل من تحبين وأولهم مالك)

وحقا كما قالت وعد "الحبُّ يُرَقِّقُ القلب" ، وتلك أيضا قاعدة رابعة من

قواعد العشق ، حيث أحسَّتْ وعد بهذا الإحساس بسبب عشقها لمالك ، ولو لم

تعشق لخطفتُ أطفالا وقتلتهم مثل يعقوب دون أن ترفَّ لها عين ، ودون أن

يساورها أقلُّ إحساسٍ بأقل ألم أو ندم ، لكنه العشقُ الذي يفعل المستحيل مع

الأشخاص الأسوياء ، أما امرأة مثل وعد العجربة فيكفيننا منها أن رفضتُ خطفَ

طفل أو قتله لنقول : إنَّ العشق حَقَّقَ معها المستحيل .

اتصل يعقوب بعد أسبوع ، فذهبتُ له وركب بحانها .. قال :

- معلمتي

- نعم يا يعقوب
- حنان باعت فيلتهما الكبيرة على حالتها المحترقة
- بكم باعتها؟
- بأقل من نصف ثمنها بكثير.. بسبعة ملايين
- وماذا فعلت بأموالها؟
- لا أعرف.. لكن مؤكد أنها وضعتها في بنك
- وأين ستقيم؟
- ستشتري شقة كبيرة في التجمع جاهزة بفرشها لتقيم فيها
- بكم الشقة التي ستشتريها؟
- ثلاثة ملايين
- كيف عرفت؟
- راقبت كل تحركاتها.. وسألتُ وعرفتُ كل شيء من بعيد
- وهذه الملايين الثلاثة.. هل ستدفعها نقداً أم تحولها؟
- هذه لا أعرفها
- اعرف ذلك يا يعقوب
- أمرك يا معلمتي
- وذهب يعقوب لثلاثة أيام ثم عاد فقال :
- معلمتي .. عرفتُ من شخص بالمكتب العقاري أنّ البائع طلب استلام الملايين نقداً
- حسنا حسنا .. فهذا ما نريده .. ومتى الدفع يا يعقوب؟

- بعد غد صباحا .. ستذهب وتسحب أموالها من بنك في شارع التسعين ثم تذهب لتدفعها
- جميل جميل
- لكن هناك مشكلة يا معلمتي
- ما هي؟
- زوجها لا يفارقها
- وما المشكلة في ذلك؟
- إنه رجل ضخم
- وهل هناك أضخم منك يا يعقوب؟ .. إنك تملأ سيارتي وحدك
- هو أيضا يملأ سيارة حنان
- لا عليك .. اترك الأمر لي .. قوة العقل تغلب قوة الجسد
- معك حق
- فقط أخبرني عن مكان البنك ومكان الشقة والمسافة بينهما
- سأخبرك بكل شيء

وفي تمام الساعة الثامنة صباحا كانت هناك سيارة هيونداي النترا تقف أمام البنك المُراقب ، وبداخلها رجلٌ يلبس جلبابا أبيض بلحية طويلة مهذبة ، وعلى رأسه طاقية بيضاء وبجواره امرأة منتقبة ، ومعهما طفلة جميلة في الخامسة من عمرها .

جاءت حنان بعد التاسعة بقليل تقود سيارة نيسان قشقاي وبصحبتها زوجها الضخم .. وقفت السيارة جانبا ، ثم خرجا منها ببطء إلى داخل البنك ، وكان بيد الرجل حقيبة يد كبيرة مطوية يبدو أنها فارغة ، وما هي إلا نصف ساعة بالداخل ،

ثم ظهرها خارجين يحملان نفسَ الحقيبة الكبيرة بعد أن انتفتحت .. سارا مسرعين من مخرج البنك حتى السيارة يتلفتان حولهما ، ولما دخلا سيارتهما القشقاوي أدارتها حنان وبجوارها زوجها سالكين طريقهما إلى حيث يدفعان الملايين الثلاثة . وأدارت المرأة المنتقبة سيارتها الهيونداي تتبعهما من بعيد وهي حريصة ألا تفقد أثرهما .. وصلا إلى شارع شبه خالٍ من الناس قريبا من الشقة المقصودة .. زادت المرأة المنتقبة من سرعتها .. صارت بموازاتهما .. تأكد الرجل الملتحي أنه بمكانٍ خالٍ من الكاميرات ، فأصدر الأمر للطفلة بالتحرك ، فأخرجت الطفلة الصغيرة يدها من السيارة تجاه نافذة القشقاوي المغلقة وبيدها وردةً جميلة .. انتبه الرجل الضخم للطفلة المبتسمة .. ابتسم لها ، فأشارت له الطفلة بأنها تريد أن تعطيه الوردة .. فتح نافذته ليلتقط منها الوردة ، فأسرع الرجل الملتحي بإلقاء سلة مفتوحة بها ثلاثة ثعابين كبيرة داخل السيارة القشقاوي .. رأتها حنان فصرخت واضطربت وزادت من سرعتها ، ولم تنتبه لقيادتها ، فارتطمت سيارتها بالرصيف وتوقفت .

نزلت المرأة المنتقبة سريعا ومعها الرجل الملتحي ، وفي خفة ومهارة كانا قد رشًا على وجه حنان والرجل الضخم سائلا أفقدهما الوعي .. حمل الرجل الملتحي الحقيبة ، وكانت المرأة المنتقبة قد سبقته إلى السيارة الهيونداي .. قادتها سريعا بعيدا عن هذا المكان بثلاثة ملايين من الجنيهات .

وعندما صارا خارج التجمع بطريقٍ منعزلٍ تماما وسط رمالٍ من الناحيتين يربط بين الطريق الدائري والمقطم أوقفت المرأة المنتقبة السيارة جانبا ، ونزل الرجل الملتحي سريعا ، فنزع أرقام السيارة المزيفة ووضع مكانها أرقاما أخرى ، ثم نزع عن نفسه ملبسه ولبس غيرها ، ونزعت المرأة المنتقبة نقابها وخمارها وعباءتها ..

دفن الرجل كلَّ ما نزعاه بالرمال ، ثم رجع إلى السيارة عائدا بظهره يزيل آثار قدميه ، وقادت المرأة وهي تقول منتشية بنجاح المهمة :

- هل لكَّ خيال واسع يا يعقوب؟
- أنا موهوب بكل الأشياء الجميلة
- إذن تخيّل ما يحدث لحنان الآن وصفه لي
- ولمّ ذلك يا معلمتي؟
- أريد أن أشعر بمزيد من السعادة
- يكفي حسرتها عندما تستفيق
- ألن تلدغها الثعابين وتموت؟
- للأسف الثعابين مزروعة السم
- هذا أفضل .. أريدها أن تعيش لتعاني بدلا من أن تموت فتستريح
- فعلا الموت راحة
- والجنون يا يعقوب؟ .. ما رأيك فيه؟ .. هل هو معاناة أم راحة؟
- الجنون أيضا راحة
- أرجو ذلك .. فحبيبي مالك لا أريده أن يعاني
- لن يعاني أبدا طالما أنت معه
- بمثل ما يشعر مالك أنا أشعر دائما يا يعقوب
- الله الله ! .. لا أعرف إلى متى ستظلّ محظوظا هكذا يا صديقي
- يعقوب
- نعم

- نحن الغجر لسنا شياطين كما يظن الناس .. انظر إلى حنان .. ليست
عجربة وفعلت ما فعلت

- معك حق

- وهذا أنت لستَ عجريا .. لكنك شيطان يا يعقوب

- الدنيا فيها هذا وذاك يا معلمتي .. آدم صنيع يد الله أنجب الخير والشر

ها بيل وقابيل

- يعقوب .. ماذا ستفعل بنصيبك من هذه العملية؟

- سأخبرهم في البنك

- كم جمعت من الأموال؟

- أموالا بلا عدد

- ألن تتوقف عن جمع المال؟

- ماذا أفعل بنفسى؟ .. حب المال مرض مزمن

- توقف يا يعقوب لتستمتع بما جمعت

- صرتُ أرى أن متعة جمع المال أروع من متعة إنفاقه يا معلمتي

- يعقوب

- هل لك زوجة وأولاد؟

- نعم

- هل تحب زوجتك؟

- نعم أحبها .. لكني أحب المال أكثر

- وأولادك؟

- إلا الأولاد .. كل ما أفعله أفعله لهم



- هل تحبهم كثيرا؟
- فوق ما تتخيلين
- وهل تعرف أنّ كل الآباء يحبون أولادهم مثلك؟
- أعرف
- وهل تعرف أنّ مالك عاد إلى الجنون قهرا على أولاده؟
- نعم أعرف
- هل لي أن أطلب منك طلبا بعيدا عن العمل؟
- أي طلب منك هو أمر لي يا معلمتي
- لا تخطف أولاد الناس بعد ذلك يا يعقوب
- وسكت يعقوب قليلا ثم قال :
- أمرك
- وكانت وعد قد أوقفت سيارتها لينزل يعقوب ومعه الطفلة ، فنظرت له والدموع في عينها قائلة :
- ولا تتاجر بأعضاء الأطفال يا يعقوب
- أمرك يا معلمتي .. ولكن
- فقالت وعد في أسى وحزنٍ شديدين :
- لا تقلق سأعوضك عن كل ذلك
- ولحظ يعقوب الدموع في عينها فسألها :
- لِمَ كل ذلك؟
- مِن أجل مالك

(١٨)

الفجرية الحائرة

- أنا في حيرة يا يعقوب
 - لِمَ؟
 - الموضوع كبير ومُعقّد
 - أخبريني
 - لا أعرف ماذا أقول
 - قولي ما تشعرين به
 - أشعر بأنني أريد أن أتوب الآن
- فوجم يعقوب ، وظلّ لفترة صامتاً يشعر بالغيظ والضيق ، لكنه كظم غيظه وقال :
- باب التوبة مفتوح دائماً لا يُغلق .. فلماذا الآن؟
 - هل تقصد أن أوجّل توبتي؟
 - طبعاً
 - والموت يا يعقوب؟! .. إنه يأتي فجأة
 - يكفي أن في نيتك أن تتوبي .. إنما الأعمال بالنيات
 - أنتَ شيطان مُضِلٌّ يا يعقوب
 - تلميذك يا معلّمتي
- واتصل ياسين بوعد يخبرها بأنه يريد لها على وجهٍ عاجلٍ حتى تذهب معه إلى فيلا أهل يارا بالزمالك لخطبتها ، فهم ينتظرون هذه الخطوة منه . فشعرت أيضاً

بحيرة شديدة إلى جانب ما هي فيه ، ولم تستطع أن تنام ليلتها ، ولم تستطع أن تخبر مالك ، فلن يفهمها في حالته تلك ، ولن يغفر لها خطاياها ، ولن يرضى أبدا عن شرورها .

وضاقت بها أسرارها ، بل خنقها حفظ تلك الأسرار وحدها ، فأرادت أن تُباعد طوق الخناق عنها ، فلم تجد أفضل من يعقوب لتسكب عنده كلَّ الأسرار ، فهو الوحيد الذي سيساعدها في الخروج من كل حيرتها ، خاصة أنها صارت تثق به كثيرا بعد أن أثبت كفاءته في كل شيء ، فصار بذلك يدها اليمنى ، فكيف لا تُسلم يدها اليمنى ما عجزت عن أن تحمله وحدها يدها اليسرى الضعيفة؟

اتصلتُ به ليتقابلا ، فلما أتاها قالت له :

- أخبرتك من قبل أني أريدك أن تقتل ابني .. فهل تذكر؟
- طبعا أذكر
- لمَ لم تستغرب أو تسألني كيف أفكر في ذلك؟
- أنا فقط أفعل ما تأمريني به .. أنا تلميذ مطيع .. والطاعة هي نصف النجاح
- أنا حائرة جدا ولا أعرف ماذا أفعل
- اعلمي أني طوع بنانك في كل شيء .. فقط عليك أن تأمريني
- إذن فأنا مضطرة أن أخبرك بسر حياتي .. هذا لأنني أحتاجك كثيرا فيما هو

قادم

- اعلمي أن أسرارك هي أسراري يا معلمتي
- سأخبرك لكن لا تجعلني أندم .. فندمي قاتل يا يعقوب
- اطمئني .. فمنذ عرفتك صارت أذني سجنا أحبس فيه كلَّ كلامك ..

ثم أغلقه بمفاتيح أرميها تكرارا في أعرق بحر

وأخيرا أخبرتُ وعد يعقوب بكل شيء في حياتها من البداية إلى النهاية ، وكل شيء عن خطتها القديمة وخطتها الجديدة ، فظلَّ الرجل للحظة منبهرا مذهولا مأخوذا بكل ما سمع ، ثم قال معجبا بها :

- يا معلمتي العزيزة .. أنا فخور بكِ جدا .. في كل يوم أتعلم منكِ شرا جديدا
- لكنني أفكر في التراجع عن كل شيء لأمنع هذا الزواج الحرام
- معلمتي .. مَنْ قطع عرض البحر عوما حتى أوشك على الوصول للشط الآخر بعد إنهاكٍ طويل سيغرق ويموت أثناء رجوعه للشط الأول .. قوته الباقية تكفيه فقط للوصول لا الرجوع .

فأخذتُ وعد نفسا عميقا ثم قالت :

- لكنني لا أستطيع أن أستوعب أن أزوج ابني لابنتي
- سيعوض ذلك الكنوز التي ستحصلين عليها والنعيم الدائم .. وبالطبع فلن تنسييني

- طبعا يا يعقوب .. لكن أشر عليَّ .. مطلوب مني أن أذهب وأقابل مَنْ كنتُ أعمل لديهم خادمة ثم خدعتهم خديعة السنين
- إن رأك أحد منهما سيرفك
- لن يعرفاني يا يعقوب .. فقد مرت سنوات
- سيرفانك يا معلمتي .. ليس من السهل أن ينسالك أحد .. مثلك يملأ القلب والعقل

ونظرتُ وعد بطرف عينها إليه ، فضحك يعقوب ضحكة خفيفة ثم تنهدت فقالت له :

- ماذا بكِ يا تلميذ؟



- فقط عقلي وقلبي يهذيان باسمك ليل نهار
- أعادت نظرتها بغضبٍ ولم تعقب فقال :
- سامحيني
- خَلِّنا في موضوعنا يا يعقوب
- لا موضوع لي غيرك يا وعد
- فصرختُ فيه قائلة :
- يعقوب لا تجعلني أندم على أني أخبرتك بأسراري
- فقال يعقوب بنبرة أسفة :
- لن تندمي أبدا .. أعدك بذلك فسامحيني
- يعقوب .. أنا أحب الدكتور مالك ولن أخونه .. أنتَ إنسان جيد بالنسبة لي
- .. ربما لولم يكن مالك بحياتي .. لكان لك مكان بقلبي .. لكن
- قالتها وصمتتُ ونظر لها يعقوب وأحسَّ بالراحة فابتسم وقال :
- هذا يكفيني منك يا معلمتي .. لنعد إلى موضوعنا
- فقالت وعد :
- فكرتُ أن أغَيِّرَ مِن شكلي واسمي
- فضحك يعقوب وقال :
- الأثرياء أذكياء يا معلمتي .. سيعرفانك
- إذن ما الحل؟
- الحل أنتِ فكرتِ به في الخطة القديمة والخطة الجديدة
- هل تقصد قتل أحلام ومعتصم؟

- طبعا .. ومن الخطأ التراجع عن ذلك
- لكن الحبَّ رَفَّقَ قلبي يا يعقوب
- إذن طالما أنَّ الحب رَفَّقَ قلبك .. فلماذا لا تخبرهم بالحقيقة؟
- هل تريدني أن أدخل السجن يا يعقوب؟ .. مَنْ يعتني بحبيبي مالك؟
- إذن ليس أمامك إلا أن تكمل العوم للشط الآخر .. بهذا تصلي إلى النجاة

والنصر

- لكن قد يغرق غيري في طريقي
- هناك كثيرون ماتوا غرقا تحت أقدام مَنْ نجوا
- معك حق .. فلنقتل المهندس معتصم والمهندسة أحلام يا يعقوب
- هذا شيء سهل يا معلمتي .. ولا مفر منه
- وياسين؟
- أرى أن نؤجل قتله الآن .. نحتاج وجوده من أجل يارا
- اقتنعتُ بتفكيرك الشيطاني هذا يا يعقوب
- أنا تلميذك الذكي المخلص يا معلمتي

وأخبرتُ وعد يعقوب بالطريقة التي فكَّرتُ فيها لقتل معتصم وأحلام معا ، ثم ذهبتُ إلى الرحاب ، وأخبرتُ ياسين وهايدي أنها مستعدة لمقابلة المهندس والمهندسة ، لكن ليكن اللقاء خارج الفيلا في فندق البارون بمصر الجديدة ، وليكن بدر ويارا معهما .. أخبرتُهما أنها ستعد لهما استقبالا أسطوريا يليق بهما ، وأسرع ياسين يخبر يارا بذلك ، وأسرعت هايدي تخبر بدر . وفرح الجميع .

وجاء دور وعد لأن نتحدث إلى المهندسة أحلام وتدعوها لذلك .. تناولتُ التليفون من ياسين .. أسرعْتُ أحلام ترد ، فقد ظهر عندها الرقم باسم ياسين :

- مساء الخير مدام أحلام
- مساء الخير
- أنا مدام وعد والدة ياسين وهايدي
- أهلا بك يا حبيبتي .. تشرفنا
- ياسين لا يتوقف عن الحديث عنكم
- حبيبي ربنا يبارك فيه
- وهايدي أيضا تقول كلاما جميلا عنك
- هذا من حسن تربية سيادتك لهما يا مدام وعد
- شكرا حبيبتي .. مؤكداً أن الأولاد أخبروا سيادتك .. غدا نلتقي على العشاء
- إن شاء الله يا حبيبتي
- أبلغى سلامي للمهندس معتصم
- إن شاء الله

كانت وعد تحدثها بلهجة راقية تشبه لهجة أرقى الهوانم ، وقد كانت بارعة في ذلك .. أغلقتُ الخط معها والتفتتُ إلى هايدي وياسين لتراهما في قمة السعادة والأمل .. نظرتُ لهما ، وشعرتُ بحسرة وحزن على ما سوف يشعران به غدا من ألم خاصة هايدي .. أحسْتُ بقلبي يؤلمها .. وضعتُ يدها على قلبها .. انتهت لها هايدي ، وانتبه ياسين على رد فعل هايدي .. جلسْتُ هايدي تحت قدميها وقالت :

- ماما .. مالك؟

ربتتُ وعد على رأس هايدي وقالت في وجع :

- لا شيء يا حبيبي

قال ياسين متأثراً :

- لكنك تضعين يدك على قلبك

قالت وهي تبتسم :

- كان ألماً بسيطاً .. لا أشعر بشيء الآن

ابتسمتُ هايدي وقالت :

- كيف يؤلمك قلبك وحبيبه طبيب قلوب؟

ابتسمتُ وعد وقبلتها ثم قالت في نفسها : (طبيب القلوب هو مَنْ يُوجع قلبي يا

هايدي)

وذهبت وعد إلى شقة الحي السادس ليطمئن قلبها على طبيب القلوب .. فوجئتُ

بالباب غير مُغلق .. دفعته ودخلتُ ونادت :

- مالك .. حبيبي . أين أنت؟

دخلتُ إلى حجرة نومه فلم تجده .. أسرعْتُ إلى المطبخ والحمام فلم تجده ،

فأصابها قلقٌ شديد .. اتصلتُ بيعقوب فقابلها على الفور .. ركب بجانبها وقادت

سيارتها بكل شوارع الحي السادس تبحث عنه .. ذهبتُ منه إلى إشارة تقاطع شارعي

الطبران ومصطفى النحاس ، وسألتُ عنه إحدى المتسولات فأخبرتها :

- كان هنا منذ أربع ساعات

وخمّن يعقوب أنه قد يكون عند سور الحديقة الدولية ، فقادت السيارة على

الفور إلى هناك ، فلم يجده .. نزل يعقوب وسأل عمال محل خضراوات وفواكه

أولاد رجب ، فأخبره أحدهم أنه رآه بالفعل جالسا بجوار السور منذ ساعتين ..

انطلقت بسيارتها تبحث عنه في جنون بكل شوارع مدينة نصر ، ثم ذهبت إلى ميدان العباسية وعند مطعم حاتي الميدان ثم كبة الشرقاوى ، ولا أثر له .. قالت ليعقوب وهي تبكي بكاءً شديداً :

- أين مالك يا يعقوب؟

- لا تقلقي يا معلمتي سنجده

وجاءها اتصال من هايدي تطلب منها الذهاب لهما حالا لتختار معهما ملابسهما لمقابلة الغد .. قالت :

- أنا مشغولة يا هايدي

فبكت هايدي ثم شرعت تلح عليها ، فطلبت منها أمها أن تهدأ ، وأخبرتها أنها عائدة إلى الرحاب ثم أغلقت معها ، وقالت ليعقوب في نبرة مهمومة حزينة :

- يعقوب

- نعم يا معلمتي

- ما رأيك أن نتراجع عن موضوع القتل حتى نجد مالك؟

- كما تريد يا معلمتي

- ويبقى لقائي معهم كما هو غدا في الفندق

- لكن رأيي أن يذهب ياسين وهايدي فقط لمقابلتهم .. لا تذهبي أنتِ

- لِمَ؟

- لو ذهبت وعرفاك فسوف يضيع كل شيء وستحطمين قلوب الأولاد .. ولن

يتزوجوا حسب خطتك الجديدة

- إذن ما رأيك أن أوجل اللقاء حتى أغير من شكلي؟

- وضحك يعقوب ثم سألها :
- كيف ستغيرين من شكلك؟
- مجرد عملية تجميل
- نظر لها يعقوب بإعجاب وقال حالما :
- أنت أصلا لا ينقصك جمال
- فقالت في غضب :
- ليس هناك داعٍ لهذا الكلام
- أعاد نظرتة . وقال في حنان :
- حقا أطباء التجميل يجب أن ينظروا لك .. ليجملوا النساء على مثالك
- يعقوب
- نعم
- أنا قلقة جدا على مالك
- لا تقلقي على مالك .. أعدك بأني سأرجعه لك
- حقا يا يعقوب
- حقا يا معلمتي
- يعقوب
- نعم يا أجمل معلمة
- مرًا أكثر من عشرين عاما على خدمتي في بيتهم .. مؤكدا أنهم لن يعرفوني
- وماذا لو عرفوك؟
- طبعا ستكون مصيبة كما قلت .. لن يكون هناك زواج .. إنَّ هايدي ابنتي
- تعشق بدر



- أخشى أن يصيبها الجنون يا معلمتي
- وقتها سيكون لديّ مجنون ومجنونة .. ولن أتحمل ذلك أبدا
- وأيضا ياسين .. ياسين قد يقتلكِ
- لماذا يقتلني ياسين؟
- أنا لا أستبعد أن تعترفي بتبديل الولدين في لحظة ضعف أو يأس
- أنا راضية بالموت .. لكن مَنْ سيعتني بمالك بعد موتي؟ .. مَنْ سيعتني
بهايدي؟ .

- إذن هل ما زلتِ تفكرين في التراجع؟
- أوقفتُ السيارة ، ورمقتُ يعقوب بنظرة جانبية قائلة :
- نَقِذْ مهمتك غدا يا يعقوب .. اقتل معتصم وأحلام
- أمرك يا معلمتي .. لكن
- لكن ماذا؟
- أريد بعض المعلومات عن الفيلا والشارع أمامها والسيارات التي يملكونها
وسائقهم الخاص

- سيكون كل شيء لديك اليوم .. لكن بعد تنفيذ مهمتك لديك مهمة أهم
- أعرفها .. أن أجد لك مالك
- هذا أهم شيء لي
- أمرك يا معلمتي

وكان بدرويارا من فيلتها بالزمالك على اتصالٍ دائمٍ بهايدي وياسين في شقتيها بالرحاب كأنهما يعيشان الحياة سويا لحظة بلحظة .. فهذه الآلة السحرية المسماة بالأيفون أو غيره من أنواع الهواتف المحمولة قد اختصرت كل المسافات ونبشت

كلّ الأسرار حتى إنها قد قادت لكثيرٍ من الجرائم ، وعن طريق كاميرا الفيديو قد عرفتْ هايدي من بدر ورأت بعينها أموراً كثيرة تخصُّ بيتهم الثري ، ومثلها ياسين قد عرف عن طريق يارا كلَّ شبرٍ في فيلتهم وشارعهم وسياراتهم .. حدث ذلك بطريقة بريئة غير متعمدة قبل ذلك من باب الفضول ، ثم بطريقة مأكرة طلبت منهم الشيطانة وعد رؤية كل ذلك كاذبة مدعية أنه من باب الفضول أيضا ، أو من أجل التعرف على كل شيء يخص بدر ويارا .

أمسكتُ وعد بكثيرٍ من المعلومات ، ثم طيَّرتها عبر نفس الآلات السحرية إلى الشيطان يعقوب الأصفر ليبدأ جريمته الشيطانية بالعبث أسفل سيارة معتصم ، وكانت قد أكدت له وعد ما عرفته من هايدي بأنَّ معتصم وأحلام سيركبانها وحدهما دون سائق ، وبدر ويارا سيركبان سيارة بدر التي يقودها بدر .

وصلتُ وعد ومعها هايدي وياسين إلى فندق البارون .. جلسوا ينتظرون .. نظرتُ هايدي لأمها وقالت :

- أنتَ قمريا ماما .. الحمد لله أنكِ متزوجة .. كنتُ سأخاف أن يتركني بدر ليتزوجك

ابتسمتُ وعد ابتسامة حزينة ، ونظرياسين لهايدي وقال لها :

- ما هذا الكلام التافه الذي تقولينه؟

- هل تصف كلامي بأنه تافه؟! .. تأدّب ولا تجعلني أخبر ماما

نظر لها ياسين نظرة غضب كأنه يتوعدها ثم سألتها وعد :

- ماذا تخفيان عني؟

نظرتُ هايدي لياسين ثم سكتتُ ، فراحَت أمها وعدتُ تسألُ ياسين بِالِحاحِ
متواصل فلم يستطعُ أمامَ هذا الإلِحاحِ إلا أنْ قال :

- تلكَ الحمقاء تريدُ أنْ تخبركُ أنْ مدام أحلام مهتمة بي جدا
فقاطعتُه هايدي قائلة :

- نعم مهتمة به جدا .. حتى أكثر من يارا .. يارا أخبرتني أنها صارت تغار من أمها
على ياسين

ابتسمتُ وعدتُ وبالطبع هي في داخلها تعرفُ أنَّ السبب في ذلك هو هذا الإحساس
الأموي الفطري الغائب عنهما ، لكنها نظرتُ لياسين وقالت :

- طبعا لا بد أنْ تهتم بهذا الشاب الوسيم

قالت يارا مسرعة :

- لكنه اهتمام غير عادي يا ماما

- كيف؟

- هل تصدقي أنها تركتهم وخرجتُ قبلهم للكوافير على أن تأتي منه إلى هنا ..

تقول إنَّ ياسين يجب أن يراها أجمل من يارا؟

وهنا برقتُ عينا العجربة وعدتُ وسألتُ :

- مَنْ أخبرك؟

- يارا نفسها

- وهل ستذهب معها يارا؟

- نعم ستذهب معها

- وبدر

- بدر سيركب سيارة عمو معتصم
- وانتفضتْ وعد فجأةً من مكانها واقفة وصرختْ :
- ابني
- فوقف ياسين وهايدي .. قال ياسين :
- نعم يا ماما
- نظرتْ له وتداركتْ أمرها ثم قالت :
- ياسين يا ابني .. اتصل ببدر واسأله لماذا تأخروا
- واتصل ياسين ببدر ، لكنه لم يرد ، فخرجتْ وعد خارج المكان ثم اتصلتْ
- بـيعقوب :
- يعقوب .. أين أنت؟
- أجاب بصوتٍ حذر:
- في طريقي للبحث عن مالك
- يعقوب
- نعم
- هل كنتَ هناك حين غادروا بسياراتهم؟
- نعم كنتُ هناك
- ترددتْ قليلاً ثم سألتْ في قلق :
- مَنْ ركب سيارة معتصم؟
- لم يرد يعقوب ، فصرختْ وعد فيه :
- مَنْ ركب سيارة معتصم يا يعقوب؟

قال يعقوب في صوتٍ متغيرٍ:

- هذا والله حدث رغما عني .. لم يكن ذنبي

أعادت فصرختُ فيه :

- ماذا حدث؟ .. تحدث .. قل كل شيء

قال يعقوب :

- بعد أن أتلفتُ فرامل سيارة معتصم وقفتُ من بعيد أنتظر وأراقب .. نزلتُ

المهندسة أحلام ويارا بصحبة بدر إلى سيارته ، ثم فجأةً عادتُ يارا للفيلا .. وانطلق بدر بسيارته وبجانبه أحلام

تنفستُ وعد الصعداء وأحسَّتْ براحة ثم طالبتَه أن يُكْمِلَ فأكمل :

- بعد نصف ساعة جاء سائقهم مسعود الذي أخبرتني عنه بسيارة غير التي

أتلفتُ فراملها .. فأصابني قلق شديد أن يركب معه معتصم .. لكن تناول منها مسعود شيئا أدخله إلى الفيلا .. ثم خرج وانصرف بالسيارة التي جاء بها

- وماذا بعد؟

- بعد نصف ساعة أخرى نزلتُ يارا مع والدها المهندس معتصم .. وانطلقا

بالسيارة

- أية سيارة؟

- التي أتلفتها

قالت وعد :

- الحمد لله

فسألها يعقوب :

- ماذا يحدث عندك؟

- سلام الآن يا يعقوب
- فأسرع يعيد السؤال غاضبا :
- أخبريني بما يحدث
- لم أعرف بعد .. سلام الآن
- وبنفس اللحظة أقبلتُ هايدي تصرخ وتقول :
- ماما ماما .. عمو معتصم ويارا
- ما لهم؟
- مصيبة يا ماما مصيبة
- ماذا حدث؟
- وقعتُ سيارتهما من أعلى كوبرى أكتوبر

(١٩)

الزائران

اصطدمتُ السيارة بسور كوبري أكتوبر أعلى ميدان العباسية بموازاة مدرسة سانت فاتيما ، فحطمتُ السور وسقطتُ سقوطاً خطيراً ، فاحتترقتُ بمنّ فيها ، وبالفعل كما قال يعقوب كان فيها المهندس معتمد شرف الدين ، وبجواره كانت ابنته يارا المدللة التي يحبها كثيراً وتحبه أكثر .. وكأن يارا أرادت ألا تبقى بدون والدها الحبيب .. فماذا تفعل في الدنيا بغيره؟ فالموت في كل الأحيان راحة لمن يرحل ومعاملة لمن يبقى .

ذهبتُ الشيطانة العجرية وعد للعزاء بصحبة هايدي .. لم تريا بدر .. كان بدر يروح ويجيء في ذهول مشغولاً في استقبال عزاء الرجال إلى جانب همومه وأحزانه إلى جانب السأم والضيق الذي شعر به بسبب عمه مدحت ، حيث لم يتركه العم لحظة واحدة ، كما لم تترك العمه نرمين المهندسة أحلام .. وكيف يُترك هذا الكنز الثمين؟ وعرفتُ وعد نرمين في عزاء النساء ، وأحسستُ بأطماعها في ثروة بدر عن قرب .. كانت معها ابنتها ندى التي لم تفارق أرملة عمها أحلام لحظة واحدة ، والتي لم تنقطع مع أمها نرمين عن ترديد اسم بدر .. عادت وعد وهي تشعر بقلق شديد بسبب ذلك ، وعادت هايدي وهي تصبُّ لعناتها على ندى لحديثها عن بدر كثيراً ، حيث لم تكن ندى في حسابان أي منهما .

لكن كيف ذهبتُ وعد للعرزاء دون أن تخاف من أن أحلام قد تتذكرها وتعرفها؟ .. بالطبع ليستُ وعد ساذجة إلى تلك الدرجة لتنسى ذلك ، لهذا فقد غيَّرتُ كثيرا من شكلها ، ومن ذلك أن لبستُ عدسات بنية اللون لتُخفي عينيها الزرقاوين ، وغيَّرتُ لون شعرها إلى الأسود ، واستخدمتُ من أدوات التجميل الأنواع التي تغيِّر من الوجه الكثير .. وبهذا ذهبتُ وعادت دون أن تنتبه لها أحلام أو نرمين .

لكن كان هناك شخصٌ آخر لم يكن في الحسبان تماما ، انتبه لها وعرفها ، ولم تنتبه إلى أنه عرفها حين مرَّت به بينما كان يقف أسفل الفيلا ، ربما لأنه رجل والرجال لا ينسون شكل المرأة بسهولة خاصة إن كان أحدهم يُضمر في نفسه إعجابا أو شغفا ما بها من أي نوع ، إنه السائق مسعود الذي يحفظ شكلها منذ كانت خادمة في الفيلا ، فقد انشغل بها كثيرا ، وكم تمَنَّى لو تبادلته نظرات الوله بها ، لكنها كانت مشغولة بولي نعمته معتصم ، كما أنه لا ينسى أيضا أنه حاول دهسها بتحريضٍ من ولي النعمة ، لكنها نجتُ وتحطمتُ عظامه .

وحدث بعد ذلك عندما استفاق ياسين من أحزانه أن سأل وعد سؤالا فاجأها :

- لماذا لم تغيّري من شكلك قبل الحادث عندما ذهبنا لمقابلتهم في الفندق؟

جعلها السؤال المفاجيء تشعر بكثير من الاضطراب ثم أجابت إجابة أثارت الشك

عند ياسين وهايدي :

- نسيت

فقال ياسين حزينا متألما :

- الله يرحم يارا ويرحم عمو معتصم .. والله لقد أحببتُ هذا الرجل كثيرا حتى

أكثر من أبي سالم

نظرتُ وعد له بجانب عينها وقالت :

- الله يرحمه

وعقبتُ هايدي في حزن شديد :

- يارب .. ويصبر بدر ويصبر مدام أحلام

مسكينةً تلك المرأة أحلام المصري بسبب ما عانتها على يد خادمة عجزية شيطانة دخلت بيتها للخدمة فزعزعت أركان البيت ودمرتة ، وما زالت ، وما أكثر الخادמות اللاتي تدخلن البيوت كأنهن ملائكة ، ثم يغادرنها وقد صارت خلفهن ناراً ثم رمادا وهباً منثوراً على رؤوس ساكنيها !

لقد عانت أحلام الزوجة والأم معاناة الفقد ضعفين ، اختطف الموت المفاجيء ظلها الرصين معتصم وفلذة كبدها يارا المدللة ، فأصابتها نتيجة ذلك اختلالٌ شديدٌ في قلبها وعقلها وفكرها وكل حياتها ، ولبست السواد لشهور قبل أن تنسى وتعود للحياة امرأة غير متزنة اتزاناً كاملاً ، وقد خفف معاناتها شيئاً ما وجود ياسين بجوارها كل يوم تقريباً ، ولم يكن اهتمام ياسين بتلك المرأة الأرملة المكلومة نابعاً فقط من توجيه وعد له ، بل نشأ في نفسه شيءٌ دفينٌ غريبٌ ساحرٌ كنفس الشيء عند أحلام .. فسّر شيطان ياسين له في النهاية أنّ هذا الشيء الناشئ لديه هو عشقٌ لها كامراً ، وفسرته أحلام بفكرها المختل أنه ليس فقط اهتماماً زائداً بخطيب ابنتها المتوفاة ، فتركت لنفسها العنان معه إلى حيث تسير الأمور لأية حال . أما بدر فقد تألم كثيراً لفقد الركن القوي الذي كان يستند إليه في الحياة ، لكنه في النهاية سلك نفس الحياة صابراً وهائناً ، فقد ورث كل الأملاك التي لا حصر لها ، والتي كانت مثار اهتمام وتديروعد لسنين .. بدر ابنها صار وريث الثراء ، لكن هايدي الحبيبة ما زالت هي النصف الآخر المعلق في مهب الريح ، هي أثيرة وعد التي

تريد لها أروع حياة في ظل أعلى مظاهر الثراء ، وهي أثيرة بدر الذي لا يزال يردد لها أنه لا يمكن أن ينساها أو يتزوج غيرها ، لكن ماذا لو حدث وعرف بدر فتاة غير هايدي؟ ماذا لو نجحت مساعي نرمين وابنتها ندى في الزجّ ببدر وثروته داخل شباكهما؟ .. وماذا لو اقترب ياسين من أحلام أكثر تحت أية علاقة؟ إذ ليس مستبعدا أن يجعلها ذلك تكتب له الكثير من الأملاك .. وماذا لو عرفت أحلام الطيبة لأي سبب وبأية طريقة أنها ضحية مؤامرة شيطانية منذ سنين؟ .. لا شك في أنها ستتحول من خللها النفسي إلى وحشٍ كاسر ، فتطرد بدر إلى وعد إلى السجون ، وتأوي ياسين إلى حضنها إلى القصور .

لكن ما هذه الوسوس يا وعد؟ .. هل أصابك الجنون؟ .. ممّ تخافين ومعك شيطانك اللعين يعقوب الأصفر؟ ويداك ملوثتان بكلّ الشرور ما بين خطفٍ وحرقي وخداعٍ وزنا وقتلٍ وسرقات .. ورغم حياتك الأثمة المظلمة فأنت لم تخلّ من شعاع نور في قبضة حبيبك المسكين مالك الأمير ، فماذا تريدين؟ .. أنت ما زلت مخلصاً لإبليس قرينك اللعين ، والآن يُثمِرُ بالفعل أمام عينيك غرس السنين .. أشجارك أمامك مليئة بالثمار اليانعة تنتظر قطافها .. صار ابنك بدر يملك كلّ الثروة .. صار يحكم وحده كلّ البستان غير بعض الشجيرات المنزوية لأحلام .. فصبرا .. هل يزعجك أنك لا تزالين تمرين بالبستان من بعيد ، تُلقيين عليه فقط بعض النظرات؟ .. تفكرين في أن تنسقي الأسوار .. لا تفعلي ولا تتعجلي ، فإن مفاتيح دخولك تحملها فقط ابنتك هايدي .. لن تدخلني إلا معها ، لكن هناك نسخة ضائعة بين أثواب ياسين ، وما تملكينه أمام عينيك في يد هايدي خير مما ينطوي بين أثواب الغرباء .

نعم .. ماتتُ يارا بدلا من أحلام .. هذا ما حدث .. إذن فسوف يُعاد توزيع الرهانات على المتسابقين .. الحياة أكبر حلبة للسباق ، والميْتُ يخرجُ بالطبع من أي سباق .. ووعد هي أكبر خبيرة في تدابير الفوز .. فلتُسْقِطْ كلَّ رهانها على الحصانين الغاليين الغاليين بدر وهايدي ، ومع ذلك عليها أن تراقب مهارة ياسين وأحلام من بعيد ، فلربما باغتوها قبل خط النهاية بأمتار ، فيأتي دورهم حتما للخروج من السباق .

اتصلتُ وعد ببعقوب الأصفر لتُسْنِدَ له مهمة جديدة هي مراقبة حلبة السباق ، كلُّ مَنْ يدخل فيها أو يخرج منها يجب أن يكون داخل دائرة منظاره من بعيد ، بدر وهايدي وأحلام وياسين ، والأكثر منهم مدحت ونرمين وندى .. تخشى وعد أن تهض ندى في غفلةٍ منها ومن هايدي فتَسْلُبُ قلبَ وعقلَ الشاب الثري بدر صاحب المستقبل الرغيد .

لكنها وسط كل مشاغلها لا تنسى حبيبها مالك يوما .. سألتُ يعقوب عنه ، فأخبرها بنبرة سعيدة :

- إنه يجلس معي

طارت من الفرحة وسألته :

- أين؟

- على مقهى بجوار الحديقة الدولية نشرب شايا

أغلقتُ الخط وطارت له بسيارتها .. نصف ساعة أو أقل ، وكانت هناك .

جلبتُ لهما ألدَّ الطعام ، وجلستُ معهما على المقهى ، وشربتُ الشاي والشيشة .. ضاحكتُ مالك كثيرا ، لكنه لم يكن مالك الذي تعرفه . كانت حالته الجنونية في

ازدياد .. كلماته معدودة ، وجمله قصيرة وإن كانت حكيمة ، كل جملة يُكْتَب فيها كتاب كُشأن أغلب أقوال المجانين .

طلبتُ منه أنْ يعود معها لشقتيها .. نظر إليها ولم يتكلم .. ابتسم فقط ، فأعادت قولها :

- مالك ألا تسمعي؟ .. هيا لنذهب إلى شقتنا
- أشار لها برأسه رافضا .. أعادت طلبها مرارا .. لم يستجب .. قال لها يعقوب :
- اتركيه معي .. سأعتني به
- نظرتُ له وقالت بصوتٍ منخفض :
- ومهمتك الأخرى؟
- سألتها بصوتٍ منخفض :
- هل خذلتك يوما؟
- حتى الآن لا
- ولن يكون فلا تقلقي .. حتى وإن تركته لمهمتي فهو غالبا لا يفارق هذا المربع إلا ليعود إليه

- أنا قلقة عليه يا يعقوب
 - قلتُ لا تقلقي
 - ما رأيك أنْ أرجعه إلى المستشفى؟
 - اطلبي منه ذلك
- وعادت فطلبتُ من مالك أنْ تذهب به إلى المستشفى ، فما كان منه إلا أنْ رمى كوب الشاي من يده وتركهما مسرعا إلى سور الحديقة ، فأعدَّ مكانا ، فنام وراح في النوم بمجرد أنْ وضع رأسه .

ذهبتُ وعد خلفه ، ثم جلستُ بجانبه على الرصيف تمرر أصابعها على شعره وتبكي ، ووقف يعقوب ينظر لمالك بحقدٍ وحسدٍ شديدين ، حيث لم يعد يتحملة ، وصار يُخفي في نفسه تجاهه الكثير من مشاعر الكراهية والنقمة لأنه يوقن أنَّ هذا المجنون هو العثرة الوحيدة في طريقه نحو قلب معلمته التي ستبلغ أعلى غايات الثراء خلال أيام ، لكنه بكل هدوء طلب من وعد أن تنصرف دون قلق وحزن ، فانصرفت قلقة حزينة باكية .

دخلتُ وعد شقتها بالرحاب .. لم يكن ياسين موجودا .. سألتُ هايدي عنه ، فأخبرتها أنه خرج ليقابل المهندسة أحلام ، فضحكتُ ضحكة باردة وسألتها :

- ما حكاية هذه المرأة مع ياسين؟

أجابت هايدي :

- والله لا أعرف يا ماما .. اسأليه عندما يأتي

- مؤكد أن بدر يضايقه ذلك كثيرا

- بدر إنسان متحضر جدا يا ماما

فابتسمتُ وقالت :

- وأنت يا جميل .. ما أخبارك معه؟ وما أخباره معك؟

ابتسمتُ هايدي قائلة :

- بخير يا ماما .. اتصل بي منذ ساعة وتحدثنا كثيرا .. كان يريد أن يتحدث

معك .

وهنا أحسَّتُ وعد فجأة بقلبيها يخفق عندما سمعتُ ذلك وسألتها :

- هل هو من طلب ذلك؟

- نعم هو

فهل يُعَقَّل أن تتحدث وعد إلى ابنها بعد كل هذه السنين؟ .. إنها ستكون المرة الأولى التي تنتقل فيها الكلمات بينهما .. حقا إنه لشعورٌ جديدٌ وجميلٌ بدأ يخالجهما لم تشعر به من قبل .. عاشت طوال عمرها تطرد عن نفسها مثل تلك المشاعر ، كانت تكتفي بأن تراه من بعيد ، وكانت تغيّر كلَّ طريق أو مجال قد يقودهما إلى أن يتواجهان .. قالت لهايدي وقد تظاهرتُ بأنَّ الإرهاق يسيطر عليهما :

- ليس الآن يا هايدي .. أنا متعبة

ودخلتُ حجرتها ، ولم تخرج منها لساعات .. كانت تبكي ، تبكي على كل شيء ، فهذا حبيبها مالك الأمير يعيش شريدا في الشوارع يرافقه جنونه وبصارع شتى أنواع المخاطر ، وهذا ابنها بدر تتحاشى أن تتحدث إليه ، تخشى أن تنفلت منها كلمة أو اعتراف فيفسد كل شيء ، وقد صارت على شفا كلمة واحدة كأن يناديها بكلمة : (أمي) فتنهار وتدمر كل تدابير السنين .

ودخلتُ هايدي عليها حجرتها لتطمئن عليها فوجدتُ خيوطا من الدموع على خديها ، فسألتها :

- هل كنتِ تبكين يا ماما؟

تمالكتُ وعد نفسها وقالت :

- لا يا حبيبتي .. فقط فكرتُ في أنك قد تزوجين قريبا وتتركيني

ابتسمتُ هايدي وقالت :

- ومَن قال إنني سأتركك هنا .. سأخذك معي .. هكذا قال بدر

فنظرتُ لها منشرحة الصدر وسألتها :

- ماذا قال لكِ بدر؟

- قال إنه سيأخذك لتعيشي معنا بالفيلا .. وستكوني معنا في كل مكان ننتقل إليه
- فشعرتُ بفرحةٍ شديدةٍ غطَّت وجهها ثم خفتُ عندما تذكرتُ مالك فقالت :
- والدكتور مالك يا هايدي .. كيف أتركه؟
- بدر أخبرني أنه سيكون هو أيضا معنا .. الفيلا واسعة جدا يا ماما
- أعرف يا حبيبتي أعرف
- وجلستُ هايدي بجوارها وقالت :
- عندي خبر مهم لكِ يا ماما .. مهم جدا وسعيد
- ما هو؟
- بدر سيأتي غدا ليزورنا هنا في شقتنا .. سيأتي وحده
- وهنا خفق قلب وعد وقالت :
- هل هو من قال إنه سيأتي؟
- نعم سيأتي على الغداء .. أخبرني بذلك منذ ساعة
- فنهضتُ وعد من سريرها وهي تنظر حولها بالحجرة وتقول :
- إذن يجب أن نستعد لذلك .. يجب أن نزيّن البيت بالورد والأزهار
- ومدت يديها تطوق كتفي هايدي تسألها :
- ما أنواع الطعام التي يحبها بدر يا هايدي؟
- ماما لا تُتعبني نفسك .. يكفي أن نشترى طعاما جاهزا
- لا يا هايدي .. يجب أن أطبخ لابني الطعام الذي يحبه

ونظرتُ لها هايدي وقالت بكل حب :

- حبيبتي يا ماما .. هل صرتِ تعتبرينه ابنك مثل ياسين .. هو أيضا مثلك
عندما يسأل عنك دائما يقول ماما ..كنتُ أظنه في البداية يقصد المهندسة أحلام ..
ثم عرفتُ أنه يقصدك

فنزلتُ الدموع على خديها وانخرطتُ في البكاء وقالت :

- حبيبي يا ابني

فاحتضنتها هايدي قائلة :

- حبيبتي يا ماما

وخرجتُ وعد من الحجرة وأمسكتُ بورقة ثم ناديت على هايدي وقالت :

- هيا أمليني كل الأكلات والمشروبات التي يحبها بدر

وفي الصباح الباكر خرجتُ وعد ، واشترت كل شيء ثم عادت وجهزتُ أشهى
أنواع الطعام وأروع الثياب ، وملأتُ البيت بالورد والزهور ، ولم يتبق إلا ساعة
واحدة على وصول بدر إلى البيت .

وإذا بوعد وهايدي يُفاجآن بخروج ياسين من حجرتة إليهما مرتديا أحسن
الثياب .. سألته وعد :

- متى عدتَ بالأمس يا ياسين؟ .. انتظرتك حتى غلبني النوم

- عدتُ بعد الساعة الواحدة

- أين كنتَ

وتردّد ياسين في الجواب ثم قال :

- كنتُ مع مدام أحلام

فابتسمتُ وعد وقالت :

- ما شاء الله .. أما زلتَ وفيا لحبيبتك يارا إلى هذه الدرجة؟

ونقل ياسين عينيه بين هايدي ووعد ثم قال :

- ربنا يرحمها

قال ذلك ثم لجأ للصمت ، فقالت وعد :

- هل تعرف أنّ بدر سيكون هنا بعد أقل من ساعة؟

فقال ياسين وقد تفاجأ بذلك :

- لا .. أنا لا أعرف ذلك

ونظرتُ وعد لهايدي قائلة :

- لِمَ لَمْ تُخبري ياسين بذلك يا هايدي؟

- ياسين خارج البيت دائما وتليفونه مُغلق باستمرار .. وعندما عاد كنتُ قد

نمت

نظرتُ وعد إلى ياسين وقالت :

- المهم الآن أنّ بدر قادم وغالبا سيخطب هايدي منا اليوم .. أظنك موافق

- طبعا موافق .. لكن

نظرتُ له وعد تنتظر أن يُكْمِل فلم يُكْمِل فسألته :

- لكن ماذا؟

- لن أكون موجودا

- لِمَ؟

- مدام أحلام دعيتي إلى الغداء عندها في الفيلا اليوم

- ألا تعرف مدام أحلام أنّ بدر قادم إلينا اليوم؟



- هي لم تخبرني بشيء
- عموما كنتُ أفضل وجودك معنا .. لكن أنتَ حر
- ابتسم ياسين وقال :
- سنجلس معا كثيرا الأيام القادمة يا ماما
- ضحكتُ هايدي قائلة لأمها وعد بينما انصرف ياسين :
- يا لتلك الصدف .. ياسين ذاهب لزيارة أم بدر.. وبدر قادم لزيارة أم ياسين
- أجل ، فإنَّ لدينا زائرين ، لكن ليس كما ذكرتُ هايدي ، إنما حقيقة الزائرين أنَّ الأول ياسين النذاهب إلى أمه أحلام ، والآخر بدر الذي سيأتي ويترك الباب الذي خرج منه ياسين منذ نصف ساعة قادمًا إلى أمه وعد ، لكن يا لبشاعة ما صنعته وعد الشيطانة العجرية وتصنعه الأيام ! .. ياسين ذهب إلى أمه عاشقا لها وعاشقة له .. نعم تلك هي الحقيقة التي صارت إليها الأمور ، وبدر قدم إلى أمه ليخطب أخته التي تعشقه ويعشقها .. فهل تستفيق وعد والجميع يقفون على شفا بحر عميقٍ من الوقوع في المحارم التي تهزلها أركان السماوات ؟ أم أنها ستظلُّ تستجيب لشرطانها الذي يدفعها دفعا إلى ترك الجميع يغرقون؟
- دخل ياسين الفيلا للمرة الأولى .. كانت كل اللقاءات السابقة بين أحلام وياسين في الخارج بين الناس .. مشاعر الود والأحاسيس الغريبة الغامضة قد جرت مجراها بينهما لفترة طويلة جدا .. بدأت قبل موت يارا لمرتين ، مرة في طفولة ياسين ، ومرة يوم حفل التخرج ، وكلمات الأسى والحسرة والمودة والبكاء سويا على يارا بدأت تجري بينهما بعد موتها لشهرين ، ثم خَفَّت صوتُ البكاء على الميت ليصير الحي أبقي وأقرب ، وليحل مكان دموع العين خفقان القلب بالعشق الصافي من أحلام المصابة باختلال شديد ، والعشق الممزوج بالطمع من ياسين الممتدة عينه

إلى ثروتها ، وجرى ذلك كله بينهما على وقع عزفٍ شيطاني مثير ليكون هذا اللقاء الحرام .

وكانت أحلام تعرف أنَّ بدر ذاهب لزيارة هايدي في شقتهم بالرحاب ، لكنها لم تخبر ياسين بذلك .. أرادت كامرأة حبيبة أن تختبره أول اختبار حب .. هل سيختار أن يفي بوعدده معها ويذهب لفيلتها في الزمالك أم يستجيب لطلب أمه وأخته فيجلس لاستقبال الزائر؟

ونجح ياسين في اختبار أحلام .. دخل الفيلا ، فصار مأخوذا منذ خطواته الأولى فوق رخام سلامها العتيق .. أذهلته حديقتها الواسعة التي تحوي أنواعا مختلفة من الورود والأزهار والأشجار المثمرة التي تفوح منها روائح طيبة ، وراقه وجود الفيلا في هذا المكان من الحي الراقي الذي تُقاس فيه الأرض بالسنتيمترات ليُدفع فيها أهبط الأثمان .. كل شيء لمستته عيناه كان غاليا ثمينا لا يقدر بأموال .

لعب هذا الثراء الفاحش دورا كبيرا في أن يحرك أوتار الحب بداخل قلبه من يارا لأحلام ، ولم ينسَ بالطبع أنَّ أول عهده بثراء هؤلاء الناس منذ زار المهندس معتصم في شركته .. لا يعرف هذا الشاب الطامع الطامح أن كل ما تقع عليه عيناه حوله إنما كان يجب أن يكون له لو لم تدخل خادمة إبليس تلك الفيلا الثرية ، إنه مالكما الحقيقي إن كانت الأقدار قد جرت دون أفاعيل وعد ، تلك الشيطانة العجرية التي ربتة .. لا يعرف هذا الشاب أن بدر الذي يخافه ويخاف أن يرفضه هو الذي يجب أن يخاف .

فتحت أحلام الباب .. كانت الفيلا خالية من الخدم في هذا اليوم بأمرها .. أعدت بيديها كل أنواع الطعام التي يحبها ياسين ، تماما كما أعدت وعد بيديها الطعام ليدر.. لكن وعد الشريرة أعدته وهي تعرف أنها تعده لابنها ، وأحلام الطيبة أعدته وهي تعرف أنها تعده لحبيبها ، وهو في الأصل ابنها .. يا الله!

نظر لها وتفحصها في أرقى الثياب وأثمنها .. كانت جميلة جدا ، وكانوا تبدو شابة ، ولم لا؟ فهي لم تبلغ الخمسين بعد .. قالت له :

- مرحبا يا حبيبي ادخل

قال لها مبتسما :

- حبيبتى فيلتك جميلة جدا

قال ذلك ثم أمسك بيديها ورفعها إلى فمه وقبلها وهي تقف مبتسمة سعيدة بذلك .. لا بأس .. الأهم أن يقفا عند هذا الحد .. قالت :

- تفضل

دخلا إلى الصالون فجلس هو ، بينما اتجهت هي ناحية منضدة قريبة وصبت كوبين من العصير لهما .. نعم كوبين من العصير لا شيء آخر .. انزوى ياسين بعينه فتأكد أنه لا يوجد غيرهما بالمكان .. شرب بعضا من العصير ، وشربت بعضا مثله ، ودار بينهما كلام لدقائق ، ثم دعت له المائدة الطعام المجهّزة قبل قدومه .

جلسا متقاربين وسط الشموع والزهور وروائح الطعام الشهية تحت الأضواء المتألئة الرومانسية ، وكانت هناك موسيقى تلمس القلب لمسا ساحرا مؤثرا .. قالت له بعد أن تذوق الكثير منه :

- هل يعجبك طعامي؟

- لم أكل طعاما لذيذا هكذا من قبل

- بالهنا والشفاء يا حبيبي
مدت يدها إلى فمه بشوكة بها قطعة من اللحم .. تناولها وشكرها بابتسامة دون
كلام .. قالت له :
- أريدك أن تساعد بدر في إدارة شركتنا
انشرح قلبه وقال :
- طبعا طبعا
بدر يحب أختك هايدي كثيرا
- وهايدي تحبه كثيرا
- وأنت يا ياسين؟ .. من تحب؟
- أنت تعرفين من أحب
- من؟
- أنت يا أحلام
ابتسمت الأم أحلام المصري كحبيبة سمعت للتو اعتراف عاشقها بعشقه لها ،
وسرى في وجهها حمرة الخجل كما لو كانت فتاة في العشرين وحبسها خجلها عن
الكلام فقال ياسين :
- أخشى ألا يوافق بدر على زواجنا
ابتسمت أحلام وقالت :
- اطمئن .. لقد حدثته بالأمس في ذلك .. أجل لقد غضب في البداية .. ثم
أخبرته في صرامة أنني أريدك وأريد أن أتزوجك وأنه ليس في ذلك عيب فافتنع بكلامي
- إذن هل وافق؟

- وافق .. وإن كان يساوره بعض الغضب .. لكن لا تقلق يا حبيبي .. كل شيء سيكون كما أريد

وشعرياسين بكثير من الارتياح ، وكانا قد انتهيا من الطعام ، فنقلنا جليستهما إلى مكان أكثر راحة .. قدمت له أحلام أنواعا كثيرة من العصائر وسط أمواج الموسيقى الهادئة .. انتظرتة أن يطلب منها أن يرقصا سويا .. طلب ذلك ففرحت ، ووقفا ليرقصا .. لا بأس ، طالما أنه مجرد رقص .. قد يرقص هذه الرقصة أخ وأخته ، وأب وابنته ، وابن وأمه .. نعم لا بأس إن كان رقصا فقط دون تلامس مقصود .

وقفا وتشابكت الأيدي ، وشحدث الموسيقى كل كوامن النشوة بداخلهما .. فليرحمهما الله .. يا إلهي ! .. تلامس الجسدان عن قصد متبادل .. يا إلهي ! .. أوشكت السماوات أن تهتز .. اقتربت الشفاه .. يا ربي ! .. زاد اقترابهما .. ارتفعت الأيدي نحو مناطق الحظر المحرمة .. رن جرس هاتف ياسين .. الحمد لله .

أسرع لهاتفه يرد .. كانت هايدي تخبره بأن يحضر حالا ، فقد توفيت الجدة أطفاف .. استأذن ياسين من أحلام سريعا .. وللمرة الأولى تقدم الجدة أطفاف العجربة معروفا وخيرا .. قدمته بعد موتها أن فصلت بين أم وابنها قبل نزول أبشع الحرام .

(٢٠)

النهاية

وكان ما حدث بعد نزول ياسين ذاهبا إلى أحلام بنصف ساعة أن جاء بدر إلى وعد .. دقَّ جرس الباب .. فتحتُ هايدي الباب .. دلف بدر إلى الداخل ليلبس ثيابا أنيقة غاية في الجمال .. تبادل مع هايدي ابتسامة صامتة كسلام .. كانت وعد تقف على بعد أمتار منه تحمل باقة زهور كانت تنقلها من مكانٍ لمكانٍ آخر رأَتْ أنها ستكون أجمل فيه .

وكانت المرة الأولى التي يرى فيها بدر وعد أم هايدي وأمه .. اثنان وعشرون عاما لم تتلامس يد أم وابنها وهما على بعد ساعة أو أقل بالسيارة ، في حين أن هناك أمًّا أخرى وابنها في نفس الوقت أوشكا أن يتلامسا لمسا محرِّما دون أن يعلما .
اتجهتُ وعد ناحية ابنتها بدر ويديها باقة الزهور .. نسيتُ أن تضعها في مكانها الجديد .. جرفها الشوق لأن تحتضنه .. ناولتُ الزهور لهايدي .. احتضنته بكل أشواق السنين .. انتابه هو الآخر إحساسٌ جميلٌ وهو بين ذراعها .. سالت الدموع من الجميع .. قالت له :

- أهلا بك يا حبيبي .. نورتَ البيت

- شكرا يا ماما

كادت تقع على الأرض من وقع هذه الحروف الأربعة على قلبها الأموي الذي راح ينبعث من جديد .. آه يا ربي!! .. ماذا فعلتِ بنفسكِ يا وعد كل هذه السنين؟ .. فلتنذهب أموال الدنيا إلى الجحيم لتغلب كفة هذه الحروف الأربعة .. آه لو وُلِدَ كلُّ جنين من بطن أمه ناطقا بكلمة (ماما) .. إذن لما وجدنا لقيطا يُرْمَى على أرض صفة

المساجد وقارعة الطرق ، وما وجدنا أما قاسية القلب تُهْمِلُ طفلها عند خادمة تربيته لها ، وما وجدنا شيطانة كالفجرية وعد تلك تضحى باثنين وعشرين عاما ضائعة من عمر ابنها بعيدا عنها مقابل أموال تذهب وتجيء .

جلس الابن للطعام بين أمه التي يظنها حماة له وأخته التي جاء يخطبها من أمها ، وتسابقت إليه يدان بأشهى الطعام .. كان يميل أكثر نحو يد الأم ، ولاحظت هايدي الميل الجارف من أمها ناحية خطيبها ، لا تعلم أنه ميل أم لابنها العائد من غربة السنين ، وسألته وعد عن المرأة التي أوته بعدد نفس السنين :

- ما أخبار المهندسة أحلام؟

- بخير يا ماما .. تتمنى أن تراك

- وأنا أيضا

قالت هايدي :

- الله الله .. كأني غير موجودة

فابتسم بدر قائلًا لوعده :

- كنتُ أتمنى هذا اليوم منذ زمن .. هايدي حدثتني كثيرا عن حضرتك وعن

كفاحك ونجاحك

نظرت وعد ناحية هايدي وابتسمت قائلة :

- الدور عليكما لتكملا رحلة حياتنا .. لقد كبرنا وهرمنا

نظر لها بدر ثم قال :

- بالعكس .. حضرتك ما شاء الله تبدين شابة

ضحكت وعد وقالت :

- شكرا يا حبيبي

وقالت هايدي تمازحهما :

- هل يروق لكما أن أنصرف؟ .. لماذا لا أسمع منك هذا الكلام الجميل يا أستاذ؟

وبعد الطعام أخذت هايدي بدر من يده إلى الشرفة التي تطل على حديقة كبيرة جميلة .. جلسا يتحدثان ويضحكان كثيرا ، ثم ذهبْتُ لهما وعد بالشاي والحلوى .. وقف بدر ، وقرَّب لها مقعدا لتجلس .. جلستُ فأخبرها أنه يريد أن يخطب هايدي رسميا .. اضطررتُ وعد ، ولم تعرف بأية كلمة تجيب في هذه اللحظة فلاذت بالصمت ، ثم أخبرها أنه يريد أن يكون الزواج بعد أربعة أشهر ، خلالها يمكنه أن يجلب لها أثاث عشمها الثري من أوروبا فلاذت وعد بالصمت أيضا ولم تعقب .. سألتها بدر عن سبب صمتها ، فاستأذنته دون رد .. ذهبْتُ هايدي خلفها مندهشة من حالة أمها .. سألتها :

- ماما .. ماذا بك؟

- لا شيء يا هايدي .. فقط أشعر بالسعادة

- لكن هذا لا يبدو يا ماما

وسكتتُ وعد فنظرتُ لها هايدي بقلق ، فقالت وعد تراوغها :

- كان يجب أن تأتي معه والدته يا هايدي .. هذا ما أسكتني وجعلني لا أعطيه كلمة

- المرة القادمة ستأتي والدته .. سأخبره بذلك

- إذن عودي إليه يا هايدي .. لا تركيه يجلس وحده

- وأنتِ يا ماما .. ألن تأتي؟

- اذهبي وسأتي خلفك

وعادت هايدي إلى بدر في الشرفة الواسعة ، ثم دقَّ رنين هاتف وعد .. ردت سريعا ، فإذا بمن يخبرها أنّ أمها أطفاف قد ماتت ، فاتجهت وعد إلى الشرفة ، وأخبرت هايدي وبدر وهي تتظاهر بالتأثر والحزن ، فاتصلت هايدي بياسين تخبره وتطلب منه أن يعود سريعا للذهاب معهما للعزاء .

وأراد بدر أن يصطحبهما إلى العزاء ، بل إنه أمسك بهاتفه واتصل بسائقه مسعود الذي كان ينتظره بالأسفل .. طلب من مسعود أن يعود بالسيارة إلى الزمالك وحده ، وسمعه وعد فرفضت ذهابه معهما ، وتحجّجت بأن الطريق طويل ، وأنها قد تبيت هناك .

وبعد واجبات العزاء بيومين اتصلت وعد بالشیطان يعقوب الأصفر كي يقابلها في المكان المعهود .. جاء فسألته أول شيء عن زوجها الدكتور مالك الأمير ، فأخبرها أنه بخير ، وسألته إن كان هناك شيء يعرفه أكثر مما تعرفه في مهمته الجديدة لمراقبة الجميع خاصة مدحت ونرمين وندى ، فأخبرها بأنه قد رصد مقابلات متكررة تجمع أحلام وياسين ، أما هايدي وبدر فإنهما يتقابلان بين وقت وآخر في أماكن بين الناس ، وهناك زيارات دائمة من مدحت ونرمين وندى إلى فيلا الثراء .. قالت ليعقوب :

- شكرا لك يا يعقوب .. إنني أتعبتك كثيرا معي

فابتسم قائلا :

- كل شيء بئمنه يا معلمتي

- هل قصرتُ معك في شيء من قبل يا يعقوب؟

- صراحة لا

- يعقوب .. فعلا ياسين وأحلام لا بد أن يتزوجا سريعا .. لكن فكّر معي كيف أتراجع عن زواج بدروهايدي دون أن أخسر شيئا فأسرع غاضبا يقول :
- أَلن تتوقفي عن هذا التردد؟
- لا أريد أن يتزوج ابني من ابنتي يا يعقوب
- لكن التراجع عن ذلك خطر على الجميع فليحدث ما يحدث
- معلمتي
- نعم
- أَلم يتزوج كل من قابيل وهابيل أختيهما؟
- بلى سمعتُ عن ذلك
- معلمتي
- نعم يا يعقوب
- استمري .. الدنيا كلها ستكون بين يديك ويدي ابنك وابنتك .. لقد علمتُ من مراقبتي لهؤلاء الناس أنهم أثرياء جدا .. عندهم أموال لا حصر لها
- هؤلاء الناس هم بدر ابني يا يعقوب .. هذا يكفي
- وأحلام؟ .. ماذا لو علمتُ بما فعلته بها؟
- ماذا يمكنها أن تفعل يا يعقوب؟
- سيكون انتقامها شديدا قد يصل إلى قتلِك أو قتل كل أحبابك .. فما فعلته بها على مدى سنوات ليس هينا أبدا
- وماذا أيضا؟

- ستأخذ ياسين وتطرد بدر.. ثم تخيّلِي ما قد يفعله ياسين بك وبهايدي وببدر
لوتناثرت الحقيقة

- سأطلب من بدر ألا يخبر أحلام أو ياسين بشيء .. أنسيّت أنه ابني؟

- أساسا قد لا يصدقك بدر.. وقد يحبسك هو أيضا

- معقولة!! .. هل هناك ابن يحبس أمه؟

- فضحك يعقوب ضحكة ساخرة وقال :

- وهل هناك أم تحرم ابنها منها لما يزيد على عشرين سنة؟

- لا نقل أي كلام يا يعقوب .. لقد فعلتُ ذلك من أجله

- صدقيني لن يصدق بدر بسهولة .. ففكري جيدا

- فسكتت قليلا ثم قالت :

- إذن يمكنني أن أرفض زواج بدر من هايدي و فقط دون أن أخبره بالحقيقة

- وهل ستحملين قضاء بقية عمرك بعيدة عنه؟ .. وأيضا هل ستحملين أن

تكسري قلب هايدي؟ .. وأيضا هل ستحملين أن يتزوج بدر من ندى أو غيرها

لتستحوذ زوجته الغالية على الثروة؟

- أه يا يعقوب .. أنا حائرة جدا

- احذري من أن تظلي هكذا .. غالبا تكون الحيرة الدائمة بداية السقوط

- أنا حقيقي لا أعرف ماذا أفعل

- هوني على نفسك يا معلمتي

- كيف؟

- كأنك لا تعلمين شيئا

- كيف؟

- هذا العالم الواسع .. هل تنكرين أن فيه أخوة وأخوات تزوجوا وأنجبوا وماتوا دون أن يعلموا بحقيقة أنهم في الأصل إخوة وأخوات؟
 - بالطبع هذا أمر وارد يا يعقوب .. لكنني أعرف أنهما أخ وأخت
 - اعتبري نفسك لا تعرفين
 - أنتَ شيطانُ يا يعقوب
 - وأنتِ شيطانة يا معلمتي
 - لكني شيطانة تريد أن تتوب
 - اعلمي يا معلمتي أن التوبة تحرق الشيطان
 - وماذا في ذلك؟ .. إن هذا أمر مطلوب
 - وهل سيصمت الشيطان بينما تحاولين حرقه؟
 - ماذا قد يفعل؟
 - الكثير يا معلمتي فاحذري .. واستمري فيما بدأته من سنين .. حان وقت قطف الثمار .. ويجب ألا ننشغل عنها أو نتأخر حتى لا تسقط الثمار إلى الأرض وتذبل تحت الأقدام
 - يمكنني أن أحفظ نفسي وأولادي من ذلك يا يعقوب ، وليحدث ما يحدث
 - في زمن السقوط الكل خاسر يا معلمتي
- ومرَّ أسبوع ثم حدث شيءٌ جعل وعد تمضي في طريقها كما نصحتها يعقوب ، بل جعلها تُعجِّل بمسألة الزواج ، ليس فقط بين ياسين وأحلام ، بل أيضا بين بدر وهايدي ، فقد دخل ياسين على وعد يوما بينما كانت جالسة مع هايدي يتحدثان عن بدر وينتظران أن تزورهما المهندسة أحلام معه ..



جلس ثم قال :

- ماما .. هناك موضوع أريد أن أفاتحك به منذ فترة .. لكنني كنت مترددا

- تحدث يا ياسين .. أي موضوع هذا؟

- أحلام

- ما لها؟

- أعرف أن الموضوع غريب ولكن

ابتسمتُ وعد ، فقد خَمَّنتُ مع هايدي ما يدور بذهنه فقالت :

- أنتَ تريد أن تتزوج أحلام .. أنا أعرف

فتشجَّع ياسين وقال :

- إنها غنية جدا يا ماما .. جدا

وبدا على هايدي علامات الاستغراب والضييق في حين ضحكتُ وعد وسألته :

- هل تحبها؟

- طبعا أحبها وأحب ثروتها .. وإن كان شعوري بحبها أراه غريبا و.....

قاطعته وعد قائلة :

- هذا بسبب فارق السن .. الأهم لماذا بقيت كل هذه الفترة دون أن تخبرني

بحبك لها؟

- كنتُ خائفا من رد فعلك

- ولماذا أخبرتي الآن؟ .. ألم تعد تخاف من رد فعلي؟

سكت ياسين لحظة كأنه يفكر ثم قال :

- ما جعلني أخبرك الآن هو خوفي من أن تضيع أحلام من يدي

- وما الذي يُضَيِّعها من يدك؟ .. ألا تحبك؟

- طبعا تحبني .. لكن تقدم لها مدحت أخو المرحوم زوجها معتصم .. يريد أن يتزوجها وكل العائلة توافقه وتضغط على أحلام .. كلهم طبعا ظامعون فيها
- وقاطعته وعد مسرعة تسأله باهتمام :
- كيف عرفت ذلك؟
- أحلام نفسها هي من أخبرني
- وبم أخبرتك أيضا غير ذلك؟
- فنظر لها يدي ثم قال :
- نرمين عمه بدرهي أيضا تريد أن تزوج ابنتها ندى لبدر .. وأيضا كل عائلتهم يريدون ذلك
- فوقفتُ وعد غاضبة وقد شعرتُ بتوتر شديد وقالت :
- وبدر .. ما رأيه؟
- لا أعرف
- فنظرتُ وعد لها يدي وسألتها :
- هل أخبرك بدر بشيء من هذا؟
- لا يا ماما
- وراحت وعد تذهب وتجيء أمامهما في الشقة ثم سألتُ ياسين :
- وما موقف أحلام من ذلك؟
- فأسرع ياسين قائلا :
- الحقيقة أنَّ أحلام تشعر بضيق شديد أمام كل هذا الضغط من العائلة
- والمعارف

فأسرعتُ وعدتُ تسأله :

- وما رأيها في النهاية؟ .. ماذا ستفعل؟

- طلبتُ مني أنْ نسارع بالزواج

فصاحت وعد :

- طبعا معها حق .. لا بد أنْ نسارع بالزواج

وطلبتُ وعد من ياسين الاتصال بأحلام .. أرادت أنْ تحدثها سريعا ، واتصل ياسين على الفور ثم أعطى الهاتف لوعده .. أخبرتها في التليفون في مودة ورفق أنْ بدر خطب منها هايدي وقد وافقتُ ، وما هي تخطبها لياسين وستزورها غدا للاتفاق على إجراءات الزواج ، فوافقته أحلام في كل شيء .

وأوقفتُ وعد سيارتها بجانب الفيلا .. نزلتُ منها ، وبالطبع لم تنسَ قبل الذهاب أنْ تتحول إلى شكلها الجديد بالعينين البنيتين والشعر الأسود ، وكان الاثنان ياسين وهايدي يسيران بجانبها ، وحدث أنْ رمقها السائق مسعود بنظراتٍ كارهة بينما كان ينظف السيارة ، وانتهت وعد لنظراته ..

سألتُ ياسين :

- ما لهذا السائق مسعود ينظرلنا هكذا؟

قال ياسين يوافقها :

- إنه فعلا شخص غريب لا يتوقف عن النظر لي هكذا كلما رأني مع أحلام

- دعك منه فهو هكذا منذ كنتُ أعمل هنا منذ سنوات

وصعد الثلاثة سلالم الفيلا .. استقبلهم بدر وأحلام استقبالا جيدا بعد أنْ دخلوا من بوابتها الرئيسية الكبيرة .. جلس الجميع ، ثم دخلتُ خادمتان بأكواب وكؤوس العصائر وأطباق الحلوى .. نظرتُ لهما العجربة وعد .. كانت إحداهما

كبيرة السن ، وكانت الأخرى شابة جميلة .. ابتسمتُ وعدتُ ابنتسامة لم يفهمها أحد وشردتُ بذكريتها .. لقد سافرتُ بها خلال بضع ثوانٍ عبر أكثر من عشرين عاما إلى الوراء ، وعادت لتقرر أن تطرد الخادمة الشابة بمجرد أن تسكن الفيلا مع هايدي وبدر ، وإنها خائفة جدا من مثل ذلك ، فمن يدري؟ .. ربما تفعل هذه الخادمة الشابة بيدرما فعلته هي بمعصم شرف الدين ، وانتهت على صوت أحلام تسألها :

- أين الدكتور مالك؟ .. لماذا لم يأت معكم؟

وأجابت وعدت كاذبة بابتسامة قلقة :

- قد سافر لحضور مؤتمر طبي في لندن

- ربنا يوفقه

قالتها أحلام وهي تعيد النظر لوعدها تكرارا ، فقد شعرت أنها تعرفها ، وإنها عندما رأتها المرة الوحيدة السابقة يوم العزاء لم تكن في وعيها الطبيعي بسبب صدمة فقد ابنتها وزوجها معا ، ولم ترَ يومها وجهه وعد هكذا عن قريب كما تراه اليوم .. وهي الآن وإن كانت غير متزنة كما يجب إلا أنها شعرت شعورا طاغيا أنها تعرفها .. سألتها :

- أين رأيتكِ قبل ذلك يا مدام وعد؟

اضطربتُ وعدتُ واهتزَّ كأسُ العصير بيدها ثم قالت :

- ربما في التليفزيون .. أجروا لقاء معي ذات يوم منذ فترة عن الصناعة

وتعمد ياسين أن يغيّر مجرى الحديث بسرعة ، فسأل أحلام عن توقيت

الزفاف وإعدادات الزواج التي تريدها .. فالتفتتُ له وقالت في سعادة :

- الأمر لكم .. أنا موافقة على كل شيء

وقالت وعد :

- رأي أن نعقد القران للجميع في يوم واحد في فندق تيوليب بالتجمع .. به قاعة احتفالات كبيرة وراقية جدا

قالت أحلام بابتسامة متفائلة :

- أنا موافقة

فقالت وعد :

- ما رأيكم أن يتمّ كل ذلك يوم الخميس القادم؟

-

هزّت أحلام رأسها بالموافقة . فنظرتُ وعد لبدروسألته :

- ما رأيك يا بدر؟

- موافق طبعا .. وسنعيش جميعنا هنا في الفيلا في البداية ثم ننتقل أنا

وهايدي لفيلتنا في التجمع بعد تجهيزها كما تريد هايدي

فنظرتُ وعد لهايدي وابتسمتُ ثم قالت :

- طبعا هذا سيكون أفضل حتى تكونا قريبين مِني في الرحاب وأزوركما

باستمرار

فأسرع بدرقائلا لوعد في أدب :

- ماما .. أينما نسكن فأنتِ والدكتور مالك ستكونان معنا

ونظرتُ له وعد بحنانٍ وشغف ، وسالت على عينيها الدموع ، فنظرتُ لها أحلام ، وقامت على الفور من مكانها بعلبة مناديل ورقية .. ناولتها مندبلا ، ثم جلستُ

بجوارها وربتتُ على كتفيها واحتضنتها قائلة :

- من اليوم أصبحنا جميعا عائلة واحدة

لكن .. لماذا بكتُ الشيطانة العجرية؟ .. بالطبع بكتُ لأسبابٍ كثيرةٍ .. بكتُ لأنها صارت تسمع كثيرا كلمة (ماما) من بدرانها .. وبكتُ لأنَّ ابنتها حريصٌ على أن تسكن أمه معه ، ليس هي فقط ، بل ومعها زوجها وحبيبها قرة العين مالك الذي اشتاقت له كثيرا ، وبكتُ لأنها اطمأنت على مستقبل ابنتها الحبيبة هايدي ، وبكتُ لأنَّ ياسين بزواجه من أحلام قد أنهى أطماع مدحت ونرمين ، وبكتُ لأنَّ حُلْمَ الثراء يتحقق أمام عينها ، وبكتُ لأنَّ النهاية التي أرادت لها لكل معاناتها وصبرها قد بدأت ترتسم لها رائعة كاملة كما أرادت لها ، وبكتُ لأنَّ الخميس القادم هو آخر عهدها بالشقاء ، وأول عهدها بالنعيم .

وانشغلت بقية الأسبوع ، فلم تذهب لرؤية مالك والاطمئنان عليه ، ولم تكن قد ذهبت لرؤيته قبل ذلك اليوم ببضعة أيام ، فاتصلت بيعقوب الأصفر لتطمئن منه عليه ولتخبره بأخر الأخبار . فكان هاتفه مغلقا .. أعادت الاتصال كثيرا ، لكنه في كل مرة كان مغلقا ، فالتفتت لتجهيزات الزواج وهي في غاية القلق على مالك ، فكانت لا تترك نصف ساعة تمر عليها دون اتصال .

وجاء صباح الخميس الموعد ، ولم تكن وعد قد توقفت طوال الليل عن معاودة الاتصال بيعقوب .. تغفو ثم تفيق فزعة فتسرع لتتصل بيعقوب فلا تجد إلا هاتفها مغلقا ، فتغفو ثم تصحو لتتصل ، وهكذا كانت حتى غلبها النوم قبل الفجر بساعة فلم تستيقظ منه إلا الثامنة .. فتحت عينها ، فكان أول ما فعلته أن مدَّت يديها على هاتفها بجانبها فأعادت الاتصال به ، لكن هاتف يعقوب كان لا يزال مغلقا كالعادة .. ساورتها شكوكٌ كثيرة لا تبشر بخير ، كلُّها حول مالك ، وكلُّها مقلقة .

وأكملت استعداداتها في هذا اليوم الفاصل على مضضٍ حتى جاءت الساعة الثانية ظهرا دون أن تسمع صوتَ يعقوب ، فلم تتحمل الانتظار أكثر من ذلك .. أسرعَتْ وارتدتْ ملابس الخروج دون تردد .. اتصلتْ بهايدي وهي في طريقها لسيارتها تخبرها أنها ستغيب لساعتين ، وكانت هايدي قد ذهبتْ للكوافير قبل ذلك بساعات بصحبة صديقاتها .. ردتْ هايدي تسألها :

- أين تذهبين في هذا اليوم يا ماما؟
- هما ساعتان فقط وسأعود سريعا
- لا تتأخري أرجوك يا ماما
- قلتُ سأعود سريعا
- لكن ماذا لو تأخرتِ؟
- اذهبا أنتما ومعكما أصدقاؤكما
- حسنا يا ماما .. لكن أرجوك لا تتأخري .. واعلمي أنَّ المأذون سيعقد القران

الثامنة

وصرختُ فيها وعد :

- وما الذي سيؤخرني حتى الثامنة؟
- وقادت وعد سيارتها ، وليس بذهنا غير مالك ، لا ترى غير صورته ، ولا تسمع غير صوته ، ولا تتمنى في لحظتها تلك غير لمسات يده الحانية ، وكانت تقود السيارة على سرعة زائدة مجنونة ، تهب الطريق نهبا ، تريد أن تصل إليه وتطمئن عليه ثم تعود سريعا ، وما زالت تتصل بيعقوب تكرارا ، وما زال هاتفه مغلقا .
- وصلتُ حتى سور الحديقة الدولية .. تمننتُ منذ وصلتُ لو ترى يعقوب فورا فيخبرها أنَّ هاتفه قد ضاع أو سُرِق أو تَلِف ، وأنَّ مالك هناك بخير ينام بجانب

السور أو يجلس بالمقهى يشرب شايا ، لكنها لم تجد يعقوب .. قررت أن تذهب وتساءل أحدا في المقهى .

أوقفت سيارتها جانبا ثم نزلت منها وتقدمت مباشرة ناحية صبي صغير يعمل في المقهى .. سألته :

- هل تعرف أين أجد مجنونا اسمه مالك يأتي كثيرا إلى هنا؟

قاطعها الصبي :

- هل تقصدين مالك المجنون الذي كان ينام بجوار سور الحديقة؟

- أجل هو

- مات

قالها الصبي هكذا بكل بساطة ، فابتسمت وعد ابتهامة جوفاء ، وأعدت :

- أنا أسأل عن مالك المجنون

قاطعها الصبي بنفس البساطة :

- أعرفه أعرفه .. وقلت لحضرتك إنه مات .. مات مقتولا

داربها المكان ، وتحجرت داخلها كل الكلمات حتى أنها لم تستطع أن تفتح فمها لتسأل سؤالا آخر .. راح يتحدث لها الصبي ويحكي كيف وجدوه والسكين مغروسة في رقبته إلى آخره . وقال كلاما كثيرا آخر ، لكنها لم تلتقط من كلامه غير القليل ، حتى أنها لم تنتبه للصبي وهو يخبرها بأن رجال الشرطة أخذوا المجنون الآخر يعقوب واتهموه بقتله .. لقد صارت في عالم آخر .

ولم تخرج من حالتها تلك إلا لتجد نفسها في شقة الحي السادس لتغرق في حالة أخرى ، وكلاهما مؤلتمان مليئتان بالحسرة والأسى .. أسرعن إلى هناك لتبكي

البكاء الذي لم تبكه منذ وُلِدَتْ .. وكأنها أرادت أن تبكي وتغرق في الحزن دون أن يراها أحد ، ودون أن يربّت على كنفها أحد .. فمن كان يملك وحده اليد الحانية قد مات .. أرادت أن تعيش قليلاً أو كثيراً مع أطياف مالك بالمكان .. لا يهم أي شيء آخر. وفي دقائق كانت قد استعادت كل قصتها مع حبيبها من أولها إلى آخرها .. تمنّت لو كان الزمن قد توقّف عند آخريوم عاشاه سويا قبل الذهاب لرؤية بيت مالك بالمقطم .. كم نعمت على حنان .. كم تمنّت أن تراها .. أقسمت أن تقتلها ، ثم عادت وتخيّلت مالك يأتي من ورائها ويمرر يديه الحانيتين على شعرها فتلتفت له فيساعدها على النهوض حتى يكونا وجها لوجه فيمسح دموعها باسمها قائلاً لها :

- حبيبي لا تحزني .. أنا معك

قالت :

- أحقا أنت معي يا مالك؟

انتظرت أن يجيبها ، لكنها لم تسمع له صوتاً فعادت تقول :

- أين أنت يا حبيبي .. كيف لمنّ قتلك أن يقتلك؟! .. ألم ينظر إلى عينيك

الوديعتين؟ .. ألم يشعر بطيبة قلبك؟ .. ألم يسمع صوتك الهادىء الرزين؟ .. مالك يا

حبيبي أين أنت؟

فخيل لها أنها سمعته يقول لها :

- أنا في الجنة .. تعالى لي يا وعد .. أنا أنتظرك

قالت وعد :

- كيف أتيتك إلى الجنة وأنا مُحَمَّلة بكل الخطايا؟!

وَحَيْلٌ لَهَا كَأَنَّهَا سَمِعَتْ مَالِكَ يَقُولُ :

- اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا وَعْدٌ .. فَقَطُّ تَوْبِي وَاسْتِغْفَرِي ثُمَّ انْهَضِي وَاسْتَقِيمِي

وَتَعَالَى إِلَى الْجَنَّةِ

قَالَتْ وَعْدٌ :

- كَيْفَ يَا حَبِيبِي؟! .. إِنَّ جُرُوحِي غَائِرَةٌ .. فَكَيْفَ أَنْهَضُ؟ .. كَيْفَ آتِي؟

جَاءَهَا الصَّوْتُ :

- فَقَطُّ عَلَيْكَ النَّدَمُ وَالتَّوْبَةُ وَعَلَى اللَّهِ مَدَاوَاةَ الشَّرُوحِ

مَسَحَتْ دُمُوعَهَا بِكُلِّ إِصْرَارٍ وَقَالَتْ :

- أَنَا نَادِمَةٌ يَا مَالِكَ .. أَنَا تَائِبَةٌ .. فَادْعُ رِبْكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي

سَمِعَتْ صَوْتًا مِنْ دَاخِلِهَا :

- رَبِّي وَرِبْكَ رَبُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ .. فَقَطُّ هِيَ انْهَضِي وَأَوْقِفِي الْخَطَايَا

نَهَضَتْ بِكُلِّ الْعِزْمِ ، وَنَظَرَتْ لِسَاعَتِهَا فَكَانَتْ الْخَامِسَةَ .. تَذَكَّرَتْ أَنَّ عَقْدَ الْقِرَانِ

فِي الثَّامِنَةِ .. حَمَدَتْ اللَّهَ ، فَمَا زَالَ الْوَقْتُ لَدَيْهَا لِتَلْحَقَ بِالْجَمِيعِ وَتُوقِفَ زَوْاجَ الْأُمِّ

مِنْ ابْنَتِهَا ، وَزَوْاجَ الْأَخْتِ مِنْ أَحْمِهَا .

وَهُنَا سَمِعَتْ صَوْتًا طَرِقَ عَلَى الْبَابِ .. ظَنَّتْ أَنَّهُ كَالصَّوْتِ الْوَهْمِيِّ الَّذِي

كَانَتْ تَسْمَعُهُ مِنْذُ قَلِيلٍ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَبِيبِهَا مَالِكَ ، وَقَدْ كَانَ صَوْتُ ضَمِيرِهَا .

عَادَ الطَّرْقُ .. حَيْلٌ لَهَا أَنَّهُ مَالِكٌ .. لَمْ يَطْرُقْ هَذَا الْبَابَ عَلَيْهَا أَبَدًا أَحَدٌ غَيْرُهُ ..

رَاحَتْ تُمَيِّئُ نَفْسَهَا قَائِلَةً بِصَوْتِ حَالِمٍ : (مَالِكُ حَيٌّ .. رُبَّمَا كَانَ صَبِي الْمَقْبَرَةِ كَاذِبًا أَوْ

كَانَ يَقْصِدُ مَالِكَ آخَرَ)

تقدمتُ نحو الباب وعلى فمها ابتسامة قلقة .. فتحتته ، فأسرع الطارق بالدخول وهو يدفعها إلى الداخل .. أغلق خلفه الباب سريعا .. برقتُ عيناها وهي تنظر إليه قائلة في ذهولٍ وحزنٍ شديدين :

- يعقوب !!

- نعم أنا

وشعرتُ منذ رأتهُ وجهه أنه ينوي شرا بها .. سألته :

- كيف عرفتَ مكان الشقة؟

- كنتُ أراقبكِ

- ماذا تريد؟

- ألم تعرفي بعد؟

- ماذا أعرف؟

- أني أحبك

- ألهدا قتلتَ مالك؟

- فضحك يعقوب قائلا :

- نعم قتلتته .. فموته راحة له ولنا يا وعد

وشعرتُ بحقدٍ وغيظٍ لا حد لهما ، لكنهما تماكنتُ نفسها وقالت :

- بهذه السهولة تقتل صديقك يا يعقوب؟!

اقترب منها وقال :

- من أجلك أفعل أي شيء في الدنيا يا وعد .. ألم تفهمي بعد؟

فبكتُ وعد وهي تقول :

- أتقتله وأنت أكثر من يعرف كم كنتُ أحبه؟

فصرخ فيها يقول :

- لماذا تحبينه؟ .. لماذا؟

قالت وعد :

- أحبه .. فقط أحبه

- ما فائدة مجنون كهذا لك؟

- أحبه

فقال يعقوب يذكرها بشيء :

- ألم تقولي لي يوما لو أنّ مالك غير موجود فربما تحبينني؟

- أجل قلتُ ذلك .. لكن أتقتله يا يعقوب!؟

- من أجل أن أفوز بقلبك يا وعد أفعل أي شيء

- لكنك قتلتَ قلبي عندما قتلتَ مالك

- قتلته لتحبيني

- كيف أحبك وقد جعلتني بلا قلب!؟

فاقترب يعقوب منها قائلاً وهي تتراجع ناحية الحائط :

- دعك من قلبك .. أريد الآن جسدك

فوقفتُ مستسلمةً وقالت له :

- هذا جسدي يا يعقوب .. تعال خذ منه ما تريد

فأقبل عليها يتحسس جسدها ويقبلها في رقبتها وهو يقول :

- انتظرتُ هذا اليوم كثيرا يا وعد

لم تَرُد ، إنما تظاهرتُ بأنها قد صارت تغرقُ معه في النشوة قائلة :

- وأنا أيضا يا يعقوب

أحسَّ بالزهو ، وأرختُ نفسها معه لتنسابَ جالسة على الأرض لتقتربَ من حقيبتها ، وهو يتبعها بالقبلات ، ثم تمددتُ تحته على الأرض تتظاهر بأنها تجاوبه ، فراحت تتحسسها بإحدى يديها في حين راحت بيدها الأخرى تحاول الوصول لحقيبتها على منضدةٍ صغيرة . فظَلَّت تنقل جسدها وهو لا يزال يتبعها غائبا غارقا في النشوة ، وتعمَّدتُ أنْ تصرف انتباهه عن مقصدها ، فراحت تسأله :

- اتصلتُ بك كثيرا .. لماذا لم ترد على اتصالاتي؟

- كان مقبوضا علىَّ

- وكيف خرجتْ؟

- جعلتهم يظنون أني كنتُ مسجوناً وقت القتل

- كيف؟

- المال يشتري كل شيء

- أنتَ شيطان يا يعقوب

- وأنتِ أجمل امرأةٍ عجيبةٍ يا معلمتي

وكانت يدها قد وصلتُ إلى حقيبتها في نفس اللحظة التي بدأ ينزع ثيابها عنها ، فأخرجتُ من الحقيبة سكيناً حادة تعودت أن تجعلها معها دائما .. راحت تثبتُ السكين في يدها من خلفه وتستعدُّ لضربه ، وبكلِّ ما استطاعت من قوة غرستُ السكين في رقبتِه وهي تردد :

- معلمتكِ ثابتٌ يا إبليس

ودفعته من فوقها في حين راح يعقوب يشير لها ذاهلا متألما دون كلام بنظراتٍ
وغمغماتٍ غير مفهومة ، ثم برقت عيناه وفارق الحياة .

ونفضت واقفة تردد (بدر .. هايدى .. أحلام .. ياسين .. لا بد أن أوقف هذا
الزواج) .. لكنها عادت فنظرت إلى جثة يعقوب .. ماذا تفعل بها؟ .. لا بد أن تنقلها
من الشقة .. لكن كيف؟ .. إنه ضخّم ثقيل .

نزلت مسرعة واشترت كثيرا من الأدوات كمنشار وسكاكين وأكياس وحقائب ،
وعادت مسرعة فأدارت موسيقى هادئة على هاتفها ، ثم راحت تبكي وتغني معا
لمالك : (أنا بعشقتك أنا .. أنا كلّي لك أنا)

وبينما هي تغني كانت قد بدأت التقطيع إلى أشلاء صغيرة ، ثم وزّعها على
حقائب كثيرة يسهل حملها .. أنزلتها إلى سيارتها على مراتٍ كثيرة .. فكّرت في
الصحراء المجاورة لمدينة الرحاب .. أرادت أن تدفنها هناك في أماكن متفرقة لتخفي
الجريمة وتندم الشبهات .

ومنذ خرجت من الحي السادس بمدينة نصر كانت الساعة تقترب من الثامنة
.. خشيت أن يُعقد القران قبل وصولها .. اتصلت بهايدي فكان جرسا ولم ترد ،
فاتصلت بياسين فكان جرسا ولم يرد .

أصابها القلق الشديد ، وقادت سيارتها بأقصى سرعة وصورة مالك معها كأنه
يصحبها بالطريق ومعها أيضا يعقوب بسيارتها ، لكنه أشلاء .. تريد إخفاءها سريعا
مع الماضي اللعين لها ثم الذهاب حيث عقد القران بقاعة احتفال فندق تيوليب
بالتجمع الخامس .

وصلت إلى مكانٍ خالٍ وسط الصحراء قريبا من الرحاب ، وقد أظلمت الدنيا ،
وصارت الرؤية شبه منعدمة .. أخرجت أشلاء يعقوب من سيارتها ، وألقت بها وهي

تلعنه في جرفٍ عميقٍ .. انتهتُ منه ، لكنها ما أن استدارت لتعود إلى سيارتها حتى ظهر من ورائها شخصٌ لا يفصله عنها غير مد ذراع ، فأصابها رعب شديد وقالت :

- أنت؟!!

- نعم أنا

- لماذا أنت هنا؟!!

- فقط لأقتلك

وطعنها على الفور بسكين ، ثم ألقى بها في نفس الجرف العميق مع أشلاء يعقوب .. بعدها أمسك هاتفه واتصل قائلًا في ثبات وثقة :

- تمّت العملية يا مدام

وأخذ هذا الشخص حقيبتها ومفاتيح سيارتها ثم انصرف مسرعا وهو على يقين أنها قد ماتت .

وبعد ثلاثة أيام إذا بها تسترد وعيها على رائحةٍ كريهةٍ جدا صادرةً عن أشلاء يعقوب ، وإذا بها أيضا لا تقوى على النهوض بسبب طعنة السكين ، فاستمرت تصرخ وتصرخ من أسفل الجرف العميق ، وأتى من سمعها وأخرجها من الجرف إلى مستشفى بالتجمع الخامس ، وهناك عالج الأطباء جرح طعنتها وجرحا آخر برأسها نتج عن ارتطامها بحجر حين سقوطها ، ثم راحوا يسألونها عن اسمها ، فإذا بها تذكر لهم أنها لا تتذكر اسمها أو أي شيء آخر، وأنها قد فقدت الذاكرة .

تمت بحمد الله ..

الفهرس

٧	الدكتور مالك المجنون
٢٣	وعد العجربة
٣٧	وبدأ طموح الشر
٤٩	بيت الدكتور مالك الأمير
٦٣	كيد النساء
٧٩	فيلا أحلام المصري
٨٩	داخل مستشفى الولادة
١٠١	تامر الغمراوي
١١٩	وداعا تامر الغمراوي
١٣٣	بين ياسين وبدر
١٤٩	الشيطانة العجربة تعشق
١٦٩	يعقوب الأصفر
١٨٣	ماس كهربائي
١٩٥	همسات عاشقة
٢٠٧	المفاجأة



٢٢١

زيارة مؤلمة

٢٣٥

قواعد العشق عند وعد

٢٥١

العجربة الحائرة

٢٦٧

الزائران

٢٨٣

النهاية